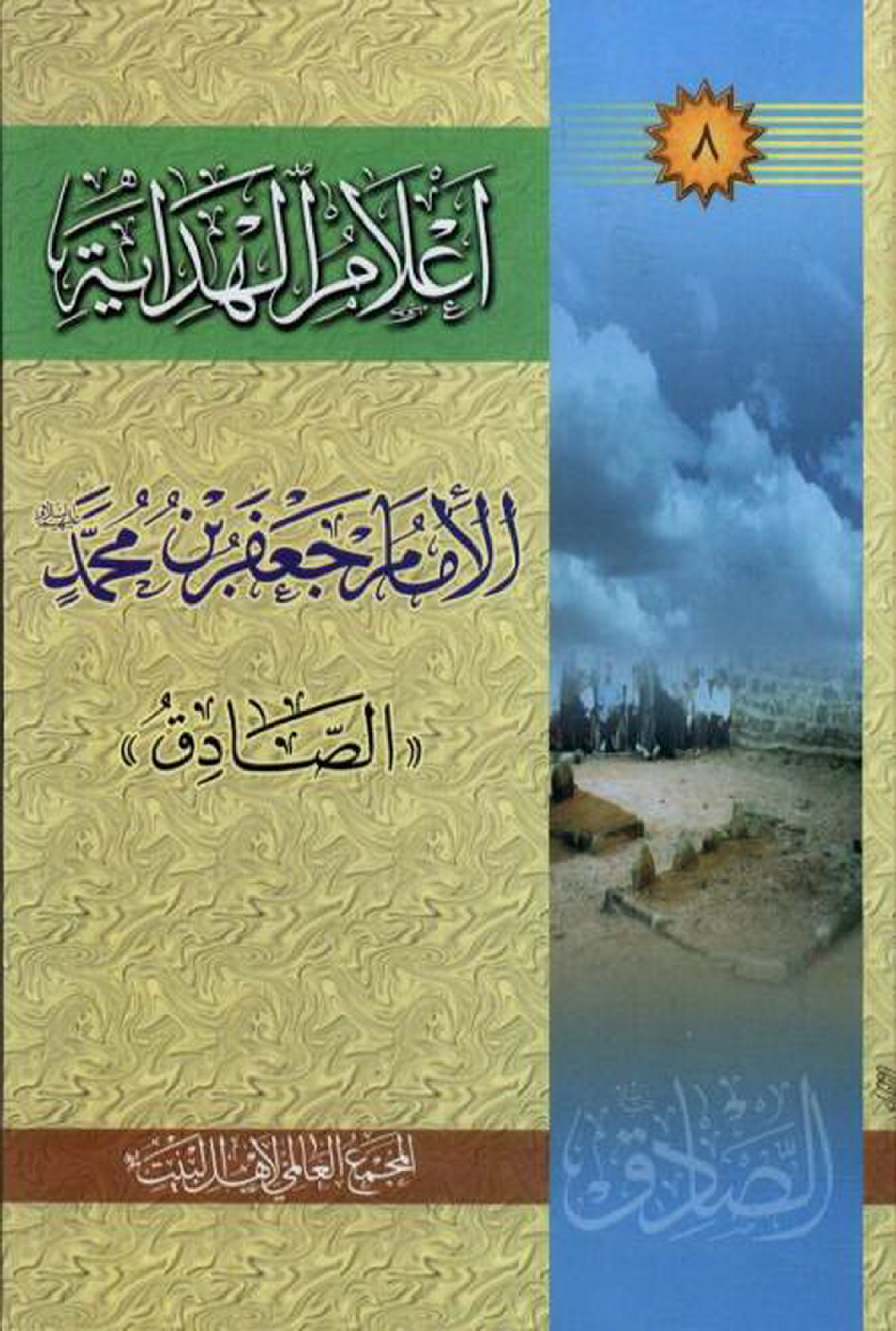
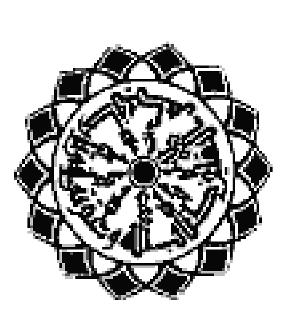

٨
أعلام الهداية
الإمام جعفر بن محمد عليه السلام
«الصادق»
المجمع العالمي لأهل البيت
الصادق





اسم الكتاب: أعلام الهداية (ج٨)

الإمام جعفر بن محمدالصادق عليه السلام

المؤلف: لجنة التأليف

الموضوع: كلام وتاريخ

الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة الاولى: ١٤٢٢ هـ ق

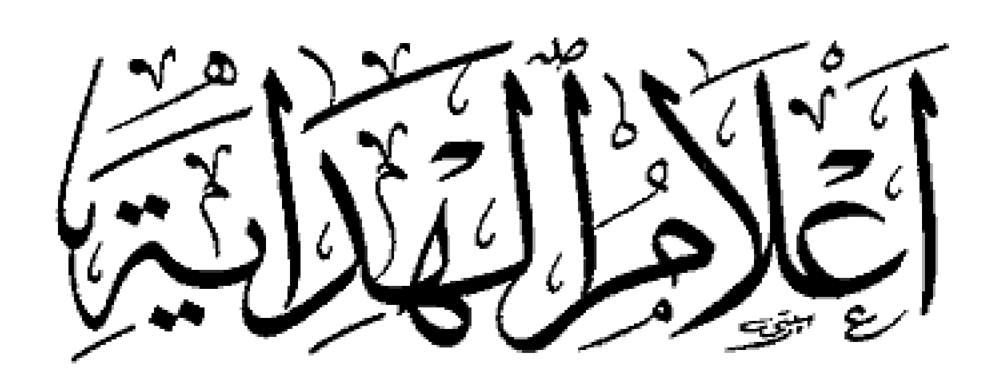
الطبعة الثانية: ١٤٢٥ هـ ق

المطبعة: ليلى

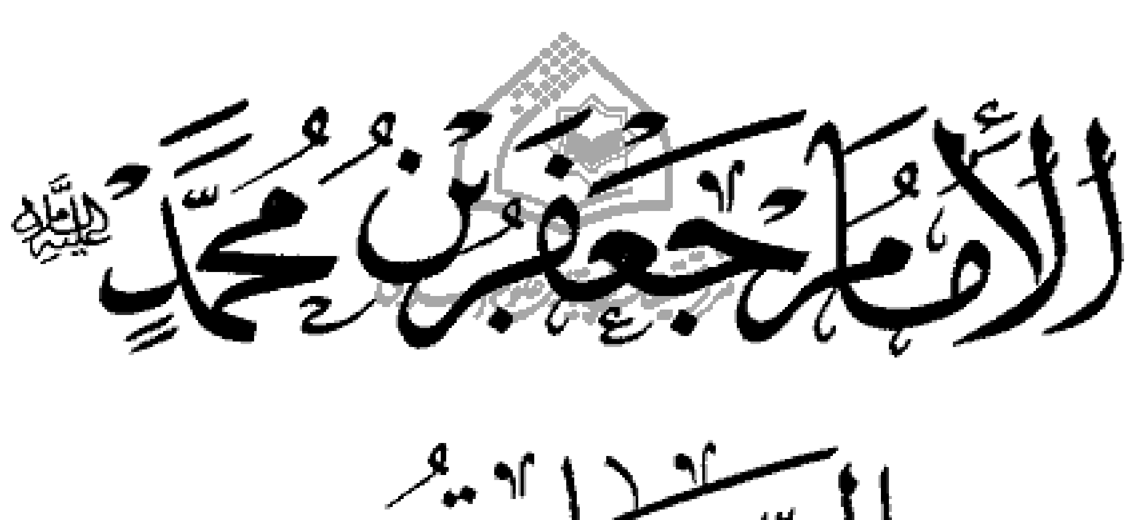
الكمية: ٥٠٠٠

شابک: ٨-٢٤-٥٦٨٨-٩٦٤ ISBN: 964-5688-24-8

www.ahl-ul-bayt.org



أعلام الهداية

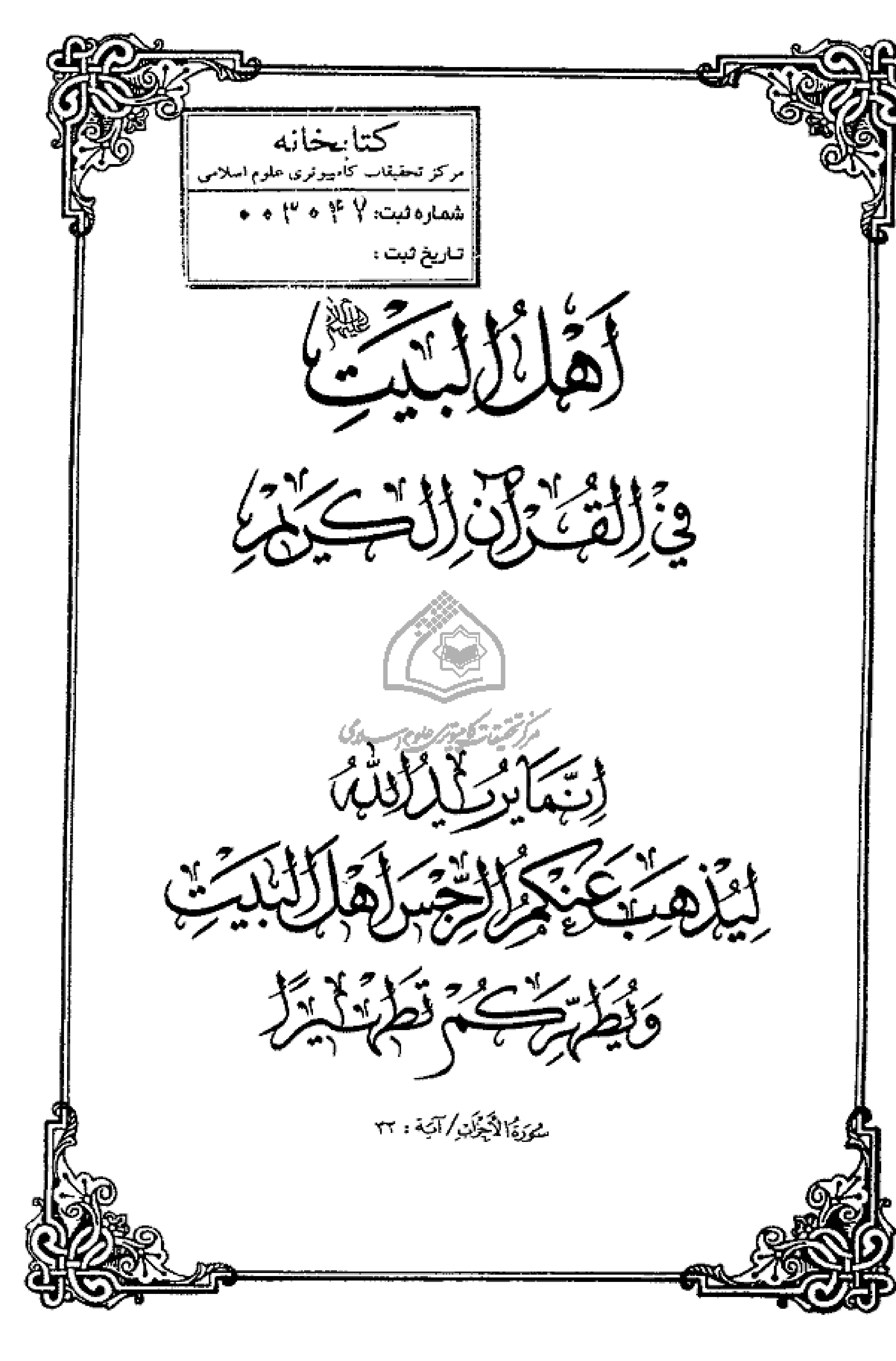


الإمام جعفر بن محمد عليه السلام
«الصادق»



المجمع العالمي لأهل البيت

قم المقدسة



أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا

سورة الأحزاب / آية : ٣٣



إني تارك فيكم الثقلين

كتاب الله وعترتي أهل بيتي

ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا

«الصحاح والمسانيد»

فهرس اجمالي


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدىٰ، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداةً لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيّد الرسل والأصفياء أبو القاسم المصطفىٰ محمد (صلى الله عليه وآله) وعلىٰ آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الانسان وزوّده بعنصري العقل والإرادة، فبالعقل يبصر ويكتشف الحقّ ويميّزه عن الباطل، وبالإرادة يختار ما يراه صالحاً له ومحقّقاً لأغراضه وأهدافه.

وقد جعل الله العقل المميّز حجةً له على خلقه، وأعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنّه هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وأرشده إلى طريق كماله اللائق به، وعرّفه الغاية التي خلقه من أجلها، وجاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها.

وأوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية وآفاقها ومستلزماتها وطرقها، كما بيّن لنا عللها وأسبابها من جهة، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهةٍ أُخرىٰ.

قال تعالى:

﴿ قُلْ إنّ هُدى الله هو الهُدىٰ ﴾ [الانعام (٦) : ٧١] .

﴿ والله يهدي من يشاء إلىٰ صراطٍ مستقيم ﴾ [البقرة (٢): ٢١٣] .

﴿ والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل ﴾ [الاحزاب (٣٣) : ٤] .

﴿ ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [آل عمران (٣) : ١٠١] .

﴿ قل الله يهدي للحقّ أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتّبع أ مّن لا يهدّي إلّا أن يُهدى فمالكم كيف تحكمون﴾ [يونس (١٠) : ٣٥] .

﴿ ويرى الذين أُوتوا العلم الذي أُنزل اليك من ربّك هو الحقّ ويهدي إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [سبأ (٣٤) : ٦] .

﴿ ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغير هدىً من الله ﴾ [القصص (٢٨) : ٥٠] .

فالله تعالى هو مصدر الهداية. وهدايته هي الهداية الحقيقية، وهو الذي يأخذ بيد الانسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحقّ القويم.

وهذه الحقائق يؤيدها العلم ويدركها العلماء ويخضعون لها بملء وجودهم.

ولقد أودع الله في فطرة الانسان النزوع إلى الكمال والجمال ثمّ مَنّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، وأسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال، ومن هنا قال تعالى : ﴿ وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلّا ليعبدونِ﴾ [الذاريات (٥١): ٥٦]. وحيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، كانت المعرفة والعبادة طريقاً منحصراً وهدفاً وغايةً موصلةً إلى قمّة الكمال .

وبعد أن زوّد الله الانسان بطاقتي الغضب والشهوة ليحقّق له وقود الحركة نحوالكمال؛ لم يؤمَن عليه من سيطرة الغضب والشهوة؛ والهوى الناشئ منهما، والملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان ـ بالإضافة إلى عقله وسائر

أدوات المعرفة ـ الى ما يضمن له سلامة البصيرة والرؤية؛ كي تتمّ عليه الحجّة، وتكمل نعمة الهداية، وتتوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير والسعادة، أو طريق الشرّ والشقاء بملء إرادته.

ومن هنا اقتضت سُنّة الهداية الربّانية أن يُسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي، ومن خلال الهداة الذين اختارهم الله لتولّي مسؤولية هداية العباد وذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة وإعطاء الارشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة.

وقد حمل الأنبياء وأوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ وعلى مدى العصور والقرون، ولم يترك الله عباده مهملين دون حجةٍ هاديةٍ وعلمٍ مرشدٍ ونورٍ مُضيء، كما أفصحت نصوص الوحي ـ مؤيّدةً لدلائل العقل ـ بأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه، لئلا يكون للناس على الله حجّة، فالحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق، ولو لم يبق في الأرض إلّا اثنان لكان أحدهما الحجّة، وصرّح القرآن ـ بشكلٍ لا يقبل الريب ـ قائلاً: ﴿ إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد ﴾ [الرعد (١٣): ٧].

ويتولّى أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم الهداة المهديّون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، والتي تتلخّص في:

١ ـ تلقّي الوحي بشكلٍ كامل واستيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة. وهذه المرحلة تتطلّب الاستعداد التام لتلقّي الرسالة، ومن هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأناً من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلاً: ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ [الانعام (٦): ١٢٤] و﴿ الله يجتبي من رسله من يشاء ﴾ [آل عمران (٣): ١٧٩].

٢ ـ إبلاغ الرسالة الإلهية الى البشرية ولمن أُرسلوا إليه، ويتوقّف الإبلاغ على الكفاءة التامّة التي تتمثّل في «الاستيعاب والإحاطة اللازمة» بتفاصيل الرسالة وأهدافها ومتطلّباتها، و «العصمة» عن الخطأ والانحراف معاً، قال تعالى: ﴿ كان الناسُ أُمّةً واحدةً فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتابَ بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ [البقرة (٢): ٢١٣].

٣ ـ تكوين أُمةٍ مؤمنةٍ بالرسالة الإلهية، وإعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها وتطبيق قوانينها في الحياة، وقد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمّة مستخدمةً عنواني التزكية والتعليم، قال تعالى: ﴿ يزكّيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمة ﴾ [الجمعة (٦٢): ٢] والتزكية هي التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. وتتطلّب التربية القدوة الصالحة التي تتمتّع بكلّ عناصر الكمال، كما قال تعالى: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة ﴾ [الاحزاب (٣٣): ٢١].

٤ ـ صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياع في الفترة المقرّرة لها، وهذه المهمة أيضاً تتطلّب الكفاءة العلمية والنفسية، والتي تسمّىٰ بالعصمة.

٥ ـ العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية وتثبيت القيم الأخلاقية في نفوس الأفراد وأركان المجتمعات البشرية وذلك بتنفيذ الأُطروحة الربّانية، وتطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيانٍ سياسيٍّ يتولّىٰ إدارة شؤون الأمة علىٰ أساس الرسالة الربّانية للبشرية، ويتطلّب التنفيذ قيادةً حكيمةً، وشجاعةً فائقةً، وثباتاً كبيراً، ومعرفةً تامةً بالنفوس وبطبقات المجتمع والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية وقوانين الإدارة والتربية وسنن الحياة، ونلخّصها في الكفاءة العلمية لإدارة دولةٍ عالميةٍ دينية، هذا فضلاً عن العصمة التي تعبّر عن الكفاءة النفسية التي تصون القيادة

الدينية من كلّ سلوكٍ منحرفٍ أو عملٍ خاطئٍ بإمكانه أن يؤثّر تأثيراً سلبيّاً على مسيرة القيادة وانقياد الأُمة لها بحيث يتنافىٰ مع أهداف الرسالة وأغراضها .

وقد سلك الأنبياء السابقون وأوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامي، واقتحموا سبيل التربية الشاقّ، وتحمّلوا في سبيل أداء المهامّ الرسالية كلّ صعب، وقدّموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان المتفاني في مبدئه وعقيدته، ولم يتراجعوا لحظة، ولم يتلكّأوا طرفة عين.

وقد توّج الله جهودهم وجهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله (ﷺ) وحمّله الأمانة الكبرىٰ ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالباً منه تحقيق أهدافها. وقد خطا الرسول الأعظم(ﷺ) في هذا الطريق الوعر خطواتٍ مدهشة، وحقّق في أقصر فترةٍ زمنيةٍ أكبر نتاجٍ ممكنٍ في حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية ، وكانت حصيلة جهاده وكدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلي :

١ ـ تقديم رسالةٍ كاملةٍ للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة والبقاء .

٢ ـ تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ والانحراف .

٣ ـ تكوين أُمةٍ مسلمةٍ تؤمن بالإسلام مبدءاً، وبالرسول قائداً، وبالشريعة قانوناً للحياة .

٤ ـ تأسيس دولةٍ إسلاميةٍ وكيانٍ سياسيٍّ يحمل لواء الإسلام ويطبّق شريعة السماء .

٥ ـ تقديم الوجه المشرق للقيادة الربّانية الحكيمة المتمثّلة في قيادته (ﷺ) .

ولتحقيق أهداف الرسالة بشكلٍ كاملٍ كان من الضروري :

أ ـ أن تستمرّ القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدي العابثين الذين يتربّصون بها الدوائر .

ب ـ أن تستمرّ عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربٍّ كفوءٍ علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة حسنة في الخلق والسلوك كالرسول (صلى الله عليه وآله)، يستوعب الرسالة ويجسّدها في كل حركاته وسكناته .

ومن هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتّم على الرسول (صلى الله عليه وآله) إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبويّة العظيمة والهداية الربّانية الخالدة بأمر من الله سبحانه وصيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين، وتربية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التي تولّوا تبيين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مرّ العصور، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وتجلّى هذا التخطيط الربّاني في ما نصّ عليه الرسول (صلى الله عليه وآله) بقوله: **«إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»** .

وكان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرّفهم النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالى لقيادة الأُمّة من بعده.

إنّ سيرة الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) تمثّل المسيرة الواقعية للاسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ودراسة حياتهم بشكلٍ مستوعبٍ تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الاسلام الأصيل الذي أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الأُمة بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) ،

فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) يعملون على توعية الأُمة وتحريك طاقتها باتجاه إيجاد وتصعيد الوعي الرساليّ للشريعة ولحركة الرسول (صلى الله عليه وآله) وثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكّم في سلوك القيادة والأُمة جمعاء.

وتبلورت حياة الأئمة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم وانفتاح الأُمة عليهم والتفاعل معهم كأعلامٍ للهداية ومصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلّاء على الله وعلى مرضاته، والمستقرّين في أمر الله، والتامّين في محبته، والذائبين في الشوق اليه، والسابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنساني المنشود.

وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر على طاعة الله وجفاء أهل الجفاء حتىٰ ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالىٰ، ثم اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذلّ، حتى فازوا بلقاء الله سبحانه بعد كفاحٍ عظيمٍ وجهادٍ كبير.

ولا يستطيع المؤرّخون والكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطرة ويدّعوا دراستها بشكلٍ كامل، ومن هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبساتٍ من حياتهم، ولقطاتٍ من سيرتهم وسلوكهم ومواقفهم التي دوّنها المؤرّخون واستطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة والتحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية تبدأ برسول الإسلام وخاتم الأنبياء **محمد بن عبدالله** (صلى الله عليه وآله) وتنتهي بخاتم الأوصياء، **محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر** عجّل الله تعالى فرجه وأنار الأرض بعدله.

ويختص هذا الكتاب بدراسة حياة الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) سادس أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً وهو المعصوم الثامن من أعلام الهداية الربّانية في دين الاسلام . وكل مذاهب المسلمين مَدينة الى علمه وفقهه كما ان الحضارة الانسانية في عصرنا هذا ترى نفسها مستظلة بظلال علومه ومعارفه .

ولا بدَّ لنا من ذكر كلمة شكرٍ لكلّ العاملين الذين بذلوا جهداً في إخراج هذا المشروع ، لا سيما لجنة التأليف بإشراف سماحة السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى .

وأخيراً نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لإتمام سائر أجزاء هذه الموسوعة المباركة، وهو حسبنا نعم المولى ونعم النصير .



المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)

قم المقدسة



فيه فصول :



الفصل الأول :

الإمام الصادق (عليه السلام) في سطور

الفصل الثاني :

انطباعات عن شخصيته (عليه السلام)

الفصل الثالث :

مظاهر من شخصيته (عليه السلام)


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأوّل

الإمام الصادق (عليه السلام) في سطور

الإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام) سادس الأئمة الأطهار من أهل البيت المعصومين الذين نص الرسول (صلى الله عليه وآله) على خلافتهم من بعده.

ولد في سنة (٨٣ هـ) وترعرع في ظلال جدّه زين العابدين وأبيه محمّد الباقر (عليهما السلام) وعنهما أخذ علوم الشريعة ومعارف الإسلام. فهو يشكّل مع آبائه الطاهرين حلقات نورية متواصلة لا يفصُل بينها غريب أو مجهول، حتّى تصل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لذا فهو يغترف من معين الوحي ومنبع الحكمة الإلهية.

وبهذا تميزت مدرسة أهل البيت التي أشاد بناءها الأئمة الأطهار ولا سيما الإمام الباقر والإمام الصادق (عليهما السلام) فهي مدرسة الرسالة المحمّدية التي حفظت لنا أصالة الإسلام ونقاءه.

وهكذا تبوّأ الإمام الصادق مركز الإمامة الشرعية بعد آبائه الكرام وبرز إلى قمّة العلم والمعرفة في عصره مرموقاً مهاباً فطأطأت له رؤوس العلماء اجلالاً وإكباراً حتّى عصرنا هذا.

لقد كان عامة المسلمين وعلماؤهم يرون جعفر بن محمّد (عليه السلام) سليل

النبوّة وعميد أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً.

فهو الرمز الشرعي للمعارضة التي قادها أهل بيت الوحي(عليهم السلام) ضد الظلم والطغيان الأُموي والعبّاسي معاً.

كما كان العلماء يرونه بحراً زاخراً وإماماً لا ينازعه أحد في العلم والمعرفة واستاذاً فذاً في جميع العلوم التي عرفها أهل عصره والتي لم يعرفوها آنذاك.

لقد عايش الإمام الصادق (عليه السلام) الحكم الأُموي مدة تقارب (أربعة) عقود وشاهد الظلم والارهاب والقسوة التي كانت لبني أُمية ضد الأُمة الإسلامية بشكل عام وضد أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) وشيعتهم بشكل خاص.

وكان من الطبيعي ـ بعد ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ـ أن يكون آل البيت هم الطليعة والقيادة المحبوبة لدى الجماهير المسلمة، ومن هنا بدأت فصائل العباسيين تتحرك باسم أهل البيت وتدعو إلى الرضا من آل محمّد (صلى الله عليه وآله) وخلافة ذرية فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله).

لقد انسحب الإمام الصادق (عليه السلام) من المواجهة المكشوفة ولم تنطل عليه الشعارات التي كان يستخدمها بنو العباس للوصول إلى الحكم بعد سقوط بني أُمية بعد أن ازداد ظلمهم وعتوهم وارهابهم وتعاظمت نقمة الأُمة عليهم.

لقد سقط سلطان بني أُمية سنة (١٣٢ هـ) ، ثمّ آلت الخلافة إلى بني العباس فعاصر حكم أبي العباس السفّاح وشطراً من حكم المنصور الدوانيقي بما يقرب من عشر سنوات.

لقد انصرف الإمام الصادق (عليه السلام) عن الصراع السياسي المكشوف إلى بناء الأُمة الاسلامية علمياً وفكرياً وعقائدياً وأخلاقياً، بناءاً يضمن سلامة

الخط الاسلامي على المدى البعيد بالرغم من استمرار الانحرافات السياسية والفكرية في أوساط المجتمع الاسلامي.

لقد انتشرت الفرق الاسلامية كالمعتزلة والاشاعرة والخوارج والكيسانية والزيدية في عصره واشتد الصراع بينها، كما بدأت الزندقة تستفحل وتخترق اجواء المجتمع الاسلامي فتصدى الإمام الصادق (عليه السلام) للردّ على الملاحدة من جهة وتصدى لمحاكمة الفرق المنحرفة من جهة أُخرىٰ.

لقد اهتمّ الإمام (عليه السلام) ببناء الجماعة الصالحة التي تتحمّل مسؤولية تجذير خط أهل البيت في الأُمة الاسلامية إلى جانب اهتمامه ببناء جامعة أهل البيت الاسلامية وتخريج العلماء في مختلف فنون المعرفة ولا سيما علماء الشريعة الذين يضمنون للأُمة سلامة مسيرتها على مدى المستقبل القريب والبعيد ويزرعون بذور الثورة ضد الطغيان.

ولم يغفل الإمام (عليه السلام) عن تقوية الخط الثوري والجهادي في أوساط الأُمة من خلال تأييده لمثل ثورة عمه زيد بن علي بن الحسين(عليهما السلام) ومن تلاه من ثوار البيت العلوي الكرام.

ولم يكن الإمام الصادق (عليه السلام) ليسلم من هذه المحنة ـ محنة الثورة على الظلم العباسي ـ فقد كان المنصور يطارده الخوف من الإمام الصادق (عليه السلام) ويتصور أنّه اليد التي تحرّك كل ثورة ضد حكمه، ممّا أدّى إلى استدعائه إلى العراق أربع مرات وضيّق عليه وأجرى عليه محاكمة يجل الإمام عن مثلها ليشعره بالرقابة والمتابعة ثمّ خلّىٰ سبيله.

بل قد ذكرت بعض المصادر أن المنصور قد نوى قتله أكثر من مرّة الا أن الله سبحانه حال بينه وبين ما أراد.

وهكذا عاش الإمام الصادق (عليه السلام) الفترة الأخيرة من حياته ـ وبعد أن استقرّت دعائم الحكم العباسي ـ حياة الاضطراب والارهاب، وفي جوّ مشحون بالعداء والملاحقة، إلاّ انه استطاع أن يؤدي رسالته بحكمة وحنكة وقوّة عزم ويفجّر ينابيع العلم والمعرفة ويبني الأُمة الاسلامية من داخلها ويربّي العلماء والفقهاء الأُمناء على حلاله وحرامه ويشيد بناء شيعة أهل البيت الذين يمثّلون الجماعة الصالحة التي عليها تتكئ دعائم الخطّ النبوي لتحقيق مهامّه الرسالية بعد أن عصفت الرياح الجاهلية بالرسالة الخاتمة وتصدّى لقيادة الأُمة رجال لم يكونوا مؤهلين لذلك.



الفصل الثاني

انطباعات عن شخصية الإمام الصادق (عليه السلام)

أشاد الإمام الباقر (عليه السلام) أمام أعلام شيعته بفضل ولده جعفر الصادق (عليه السلام) قائلاً: **هذا خير البريّة**[1].

وأفصح عمه الشهيد زيد ابن الإمام علي زين العابدين (عليه السلام) عن عظيم شأنه فقال: في كل زمان رجل منّا أهل البيت يحتج الله به على خلقه، وحجة زماننا ابن أخي جعفر لا يضلّ من تبعه ولا يهتدي من خالفه[2].

وقال مالك بن أنس: ما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمّد الصادق علماً وعبادة وورعاً[3].

وقال المنصور الدوانيقي مؤبّناً الإمام الصادق (عليه السلام): إنّ جعفر بن محمّد كان ممّن قال الله فيه: ﴿**ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**﴾ وكان ممن اصطفى الله وكان من السابقين بالخيرات[4].

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (٣٢٧ هـ): سمعت أبي يقول:

---

(١) الكافي: ١ / ٣٠٧.

(٢) المصدر السابق: ٣٠٦.

(٣) تهذيب التهذيب: ٢ / ١٠٤.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ٣ / ١٧.

جعفر بن محمّد ثقة لا يُسأل عن مثله.

وقال: سمعت أبا زرعة وسئل عن جعفر بن محمّد عن أبيه وسهيل بن أبي صالح عن أبيه والعلاء عن أبيه أيّما أصح؟ قال: لا يقرن جعفر بن محمّد إلى هؤلاء[١].

وقال ابو حاتم محمّد بن حبّان (٣٥٤ هـ) عنه: كان من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلاً[٢].

وقال أبو عبد الرحمٰن السلمي (٣٢٥ ـ ٤١٢ هـ) عنه: فاق جميع أقرانه من أهل البيت(عليهم السلام) وهو ذو علم غزير وزهد بالغ في الدنيا وورع تام عن الشهوات وأدب كامل في الحكمة[٣].

وعن صاحب حلية الأولياء (٤٣٠ هـ) : ومنهم الإمام الناطق ذو الزمام السابق أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق، أقبل على العبادة والخضوع وآثر العزلة والخشوع ونهى عن الرئاسة والجموع[٤].

وأضاف الشهرستاني (٤٧٩ ـ ٥٤٨ هـ) على ما قاله السلمي عنه: وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه ويفيض على الموالين له أسرار العلوم ثمّ دخل العراق وأقام بها مدّة، ما تعرّض للامامة قط ، ولا نازع في الخلافة أحداً[٥]، ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط، ومن تعلّى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حطّ[٦].

---

(١) الجرح والتعديل : ٢ / ٤٨٧.

(٢) الثقات : ٦ / ١٣١ .

(٣) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ٥٨/١.

(٤) حلية الأولياء: ٧٢/١.

(٥) إن كان يقصد بذلك التعرض الظاهر للإمامة الظاهرة كما يفهم من قول: «ولا نازع في الخلافة» ، فهذا صحيح وإلّا فلا .

(٦) الملل والنحل : ١ / ١٤٧ .

وذكر الخوارزمي (٥٦٨ هـ) في مناقب أبي حنيفة أنّه قال: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمّد. وقال: لولا السنتان لهلك النعمان. مشيراً إلى السنتين اللتين جلس فيهما لأخذ العلم عن الإمام جعفر الصادق[1].

وقال ابن الجوزي (٥١٠ ـ ٥٩٧ هـ) : جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين كان مشغولاً بالعبادة عن طلب الرئاسة[2].

وقال محمّد بن طلحة الشافعي (٦٥٢ هـ) عنه: هو من عظماء أهل البيت (عليهم السلام) وساداتهم ذو علوم جمّة وعبادة موفورة وأوراد متواصلة وزهادة بيّنة، وتلاوة كثيرة، يتتبع معاني القرآن الكريم ويستخرج من بحره جواهره ويستنتج عجايبه، ويقسم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليها نفسه، رؤيته تذكّر الآخرة، واستماع كلامه يزهّد في الدنيا، والاقتداء بهديه يورث الجنة، نور قسماته شاهد أنه من سلالة النبوّة، وطهارة أفعاله تصدع أنه من ذريّة الرسالة، نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من الأئمة وأعلامهم وعدّوا أخذهم عنه منقبة شرّفوا بها وفضيلة اكتسبوها.

واما مناقبه وصفاته فتكاد تفوت عدّ الحاضر ويحار في أنواعها فهم اليقظ الباصر حتّى أنّ من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوىٰ، صارت الأحكام التي لا تدرك عللها، والعلوم التي تقصر الأفهام عن الإحاطة بحكمها، تضاف إليه وتروىٰ عنه.

وقد قيل انّ كتاب الجفر الذي بالمغرب ويتوارثه بنو عبد المؤمن هو من كلامه (عليه السلام) وان في هذه لمنقبة سنيّة، ودرجة في مقام الفضائل عليّة، وهي

---

(١) مناقب أبي حنيفة : ١ / ١٧٢ ، والتحفة الاثني عشرية : ٨.

(٢) صفوة الصفوة: ٢/٩٤.

نبذة يسيرة مما نقل عنه[١].

وفي تهذيب الأسماء (٦٣١ ـ ٦٧٦ هـ) عن عمرو بن أبي المقدام قال: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمّد علمت أ نّه من سلالة النبيين[٢].

وقال ابن خلكان (٦٠٨ ـ ٦٨١ هـ) : أبو عبدالله جعفر الصادق ... أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية وكان من سادات أهل البيت، ولقّب بالصادق لصدقه في مقالته، وفضله أشهر من أن يذكر وله كلام في صنعة الكيميا، والزجر والفال ... ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه أبو محمّد الباقر وجدّه علي زين العابدين وعمّ جده الحسن بن علي (رضي الله عنهم اجمعين) فلله درّه من قبر ما أكرمه وأشرفه[٣].

وقال البخاري في فصل الخطاب (٧٥٦ ـ ٨٢٢ هـ) : اتفقوا على جلالة الصادق (عليه السلام) وسيادته[٤].

وقال ابن الصبّاغ المالكي (٧٨٤ ـ ٨٥٥ هـ) : نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته وذكره في سائر البلدان، ولم ينقل من العلماء عن أحدٍ من أهل بيته ما نقل عنه من الحديث.

وروى عنه جماعة من أعيان الأُمة... وصّى إليه أبو جعفر (عليه السلام) بالإمامة وغيرها وصيّة ظاهرة، ونصّ عليها نصّاً جليّاً [٥].

(١) مطالب السؤول: ٢/٥٦.
(٢) تهذيب الاسماء: ١ / ١٤٩.
(٣) وفيات الأعيان : ١ / ٣٢٧.
(٤) ينابيع المودّة : ٣/١٦٠، وهذا البخاري هو محمّد خواجه پارساي.
(٥) الفصول المهمّة : ٢٢٢.

الفصل الثالث

مظاهر من شخصية الإمام الصادق (عليه السلام)

سعة علمه :

لقد شقق الإمام الصادق (عليه السلام) العلوم بفكره الثاقب وبصره الدقيق، حتى ملأ الدنيا بعلومه، وهو القائل: «**سلوني قبل أن تفقدوني فإنه لا يحدثكم أحد بعدي بمثل حديثي**»[1]. ولم يقل أحد هذه الكلمة سوى جده الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).

وأدلى (عليه السلام) بحديث أعرب فيه عن سعة علومه فقال: «**والله إني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأنه في كفي، فيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فيه تبيان كل شيء﴾**»[2].

وقد كان من مظاهر سعة علمه أنه قد ارتوى من بحر علومه أربعة آلاف طالب وقد أشاعوا العلم والثقافة في جميع الحواضر الإسلامية ونشروا معالم الدين وأحكام الشريعة[3].

---

(١) تأريخ الإسلام للذهبي: ٤٥/٦، تذكرة الحفاظ: ١٥٧/١، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٧٩/٥.

(٢) اصول الكافي : ١ / ٢٢٩ .

(٣) الارشاد: ١٧٩/٢ وعنه في إعلام الورى : ٣٢٥، ومناقب آل أبي طالب: ٢٤٧/٤ والمعتبر للمحقق الحلّي: ٥ .

كرمه وجوده:

لقد كان الإمام الصادق (عليه السلام) من أندى الناس كفاً، وكان يجود بما عنده لإنعاش الفقراء والمحرومين، وقد نقل الرواة بوادر كثيرة من كرمه، كان من بينها ما يلي:

١ـ دخل عليه أشجع السلمي فوجده عليلاً، وبادر أشجع فسأل عن سبب علّته، فقال (عليه السلام): **تعدّ عن العلة، واذكر ما جئت له** فقال:

ألبسك الله منه عافية   في نومك المعتري وفي أرقك
يخرج من جسمك السقام   كما أخرج ذل السؤال من عنقك

وعرف الإمام حاجته فقال لغلامه: **أي شيء معك؟** فقال: أربعمائة. فأمره بإعطائها له[١].

٢ـ ودخل عليه المفضل بن رمانة وكان من ثقاة أصحابه ورواته فشكا إليه ضعف حاله، وسأله الدعاء، فقال (عليه السلام) لجاريته: **هاتِ الكيس الذي وصلنا به أبوجعفر**، فجاءته به، فقال له: **هذا كيس فيه أربعمائة دينار فاستعن به**، فقال المفضل: لا والله جُعلت فداك ما أردت هذا، ولكن أردت الدعاء، فقال (عليه السلام): **لا أدع الدعاء لك**[٢].

٣ـ سأله فقير فأعطاه أربعمائة درهم، فأخذها الفقير، وذهب شاكراً، فقال (عليه السلام) لخادمه: **ارجعه**، فقال الخادم: سُئلت فأعطيت، فماذا بعد العطاء؟ قال (عليه السلام): **قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «خير الصدقة ما أبقت غنى»، وإنّا لم نغنه، فخذ هذا الخاتم فاعطه فقد أعطيت فيه عشرة آلاف درهم، فإذا احتاج فليبعه بهذه القيمة**[٣].

---

(١) أمالي الطوسي: ١/٢٨٧، مناقب آل أبي طالب: ٤/٢٩٦.

(٢) اختيار معرفة الرجال للكشي: ٢/٤٢٢ ح ٣٢٢ ترجمة مفضل بن قيس بن رمانة.

(٣) الإمام جعفر الصادق، أحمد مغنية: ٤٧.

٤ ـ ومن بوادر جوده وسخائه وحبه للبر والمعروف أنه كانت له ضيعة قرب المدينة تسمى (عين زياد)، فيها نخل كثير، فإذا نضج التمر أمر الوكلاء أن يثلموا في حيطانها الثلم، ليدخل الناس ويأكلوا من التمر[١].

وكان يأمر لجيران الضيعة الذين لا يقدرون على المجيء كالشيخ والعجوز والمريض لكل واحد منهم بمدّ من التمر، وما بقي منهم يأمر بحمله إلى المدينة فيفرّق أكثره على الضعفاء والمستحقين، وكانت قيمة التمر الذي تنتجه الضيعة أربعة آلاف دينار، فكان ينفق ثلاثة آلاف منها، ويبقى له ألف[٢].

٥ ـ ومن بوادر كرمه أنه كان يطعم ويكسو حتّى لم يبق لعياله شيء من كسوة أو طعام[٣].

ومن كرمه أنه مرّ به رجل، وكان(عليه السلام) يتغدّى، فلم يسلّم الرجل فدعاه الإمام إلى تناول الطعام، فأنكر عليه بعض الحاضرين، وقال له: السنة أن يسلم ثم يُدعى، وقد ترك السلام على عمد ... فقابله الإمام (عليه السلام) ببسمات مليئة بالبشر وقال له: **هذا فقه عراقي، فيه بخل...**[٤].

صدقاته في السرّ:

أما الصدقات في السر فإنها من أفضل الأعمال وأحبها لله لأنها من الأعمال الخالصة التي لا يشوبها أي غرض من أغراض الدنيا، وقد ندب إليها أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، كما أنها كانت منهجاً لهم، فكل واحد منهم كان يعول

---

(١) الإمام جعفر الصادق: ٤٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تأريخ الإسلام: ٦/٤٥، مرآة الزمان: ٦/١٦٠، تهذيب الكمال: ٥/٨٧.

(٤) حياة الإمام الصادق (عليه السلام): ١/٦٤ عن نثر الدرر.

جماعة من الفقراء وهم لا يعرفونه. وكان الإمام الصادق(عليه السلام) يقوم في غلس الليل البهيم فيأخذ جراباً فيه الخبز واللحم والدراهم فيحمله على عاتقه ويذهب به إلى أهل الحاجة من فقراء المدينة فيقسمه فيهم، وهم لا يعرفونه، وما عرفوه حتّى مضى إلى الله تعالى فافتقدوا تلك الصِلات فعلموا أنها منه [1].

ومن صلاته السرية ما رواه إسماعيل بن جابر قائلاً: أعطاني أبوعبدالله (عليه السلام) خمسين ديناراً في صرة، وقال لي: «**ادفعها إلى شخص من بني هاشم، ولا تعلمه أني أعطيتك شيئاً**»، فأتيته ودفعتها إليه فقال لي: من أين هذه؟ فأخبرته أنها من شخص لا يقبل أن تعرفه، فقال العلوي: ما يزال هذا الرجل كل حين يبعث بمثل هذا المال، فنعيش بها إلى قابل، ولكن لا يصلني جعفر بدرهم مع كثرة ماله [2].

تكريمه للضيوف:

ومن بوادر كرمه وسخائه حبه للضيوف وتكريمه لهم، وقد كان يشرف على خدمة ضيوفه بنفسه، كما كان يأتيهم بأشهى الطعام وألذّه، وأوفره، ويكرر عليهم القول وقت الأكل: «**أشدكم حبّاً لنا أكثركم أكلاً عندنا...**».

وكان يأمر في كل يوم بوضع عشر ثبنات [3] من الطعام يتغدى على كل ثبنة عشرة [4].

---

(١) الإمام جعفر الصادق: ٤٧.

(٢) مجموعة ورام: ٢/٨٢.

(٣) الثبنات: مفردها ثبنة وهي الوعاء الذي يوضع فيه الطعام.

(٤) الإمام جعفر الصادق: ٤٦.

تواضعه:

ومن مظاهر شخصيته العظيمة نكرانه للذات وحبه للتواضع وهو سيد المسلمين، وإمام الملايين، وكان من تواضعه أنه كان يجلس على الحصير[١]، ويرفض الجلوس على الفرش الفاخرة، وكان ينكر ويشجب المتكبرين حتّى قال ذات مرة لرجل من إحدى القبائل: «**من سيد هذه القبيلة؟** فبادر الرجل قائلاً: أنا، فأنكر الإمام (عليه السلام) ذلك، وقال له: **لو كنت سيدهم ما قلت: أنا..**»[٢].

ومن مصاديق تواضعه ونكراته للذات: أن رجلاً من السواد كان يلازمه، فافتقده فسأل عنه، فبادر رجل فقال مستهيناً بمن سأل عنه: إنه نبطي... فردّ عليه الإمام قائلاً: «**أصل الرجل عقله، وحسبه دينه، وكرمه تقواه، والناس في آدم مستوون...**».

فاستحيى الرجل[٣].

سمو أخلاقه:

كان الإمام الصادق (عليه السلام) على جانب كبير من سمو الأخلاق، فقد ملك القلوب، وجذب العواطف بهذه الظاهرة الكريمة التي كانت امتداداً لأخلاق جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي سما على سائر النبيين بمعالي أخلاقه.

وكان من مكارم أخلاق الإمام وسمو ذاته أنه كان يحسن الى كل من أساء إليه، وقد روي أن رجلاً من الحجاج توهم أن هميانه[٤] قد ضاع منه، فخرج

---

(١) النجوم الزاهرة: ١٧٦/٥.

(٢) الطبقات الكبرى: ٣٢/١.

(٣) حياة الإمام الصادق (عليه السلام): ٦٦/١ عن مطالب السؤول.

(٤) الهميان: وهو كيس يجعل فيه ويشدّ على الوسط، وجمعه همايين، وهو معرب عن الفارسية، كما نقله الطريحي عن الأزهري في مجمع البحرين: ٣٣٠/٦.

يفتش عنه فرأى الإمام الصادق (عليه السلام) يصلي في الجامع النبوي فتعلق به، ولم يعرفه، وقال له: أنت أخذت همياني؟

فقال له الإمام بعطف ورفق: ما كان فيه؟

قال: ألف دينار ، فأعطاه الإمام ألف دينار، ومضى الرجل إلى مكانه فوجد همیانه فعاد إلى الإمام معتذراً منه، ومعه المال فأبى الإمام قبوله وقال له: شيء خرج من يدي فلا يعود إلي، فبهر الرجل وسأل عنه، فقيل له: هذا جعفر الصادق، وراح الرجل يقول بإعجاب: لا جرم هذا فعال أمثاله[١].

إن شرف الإمام (عليه السلام) الذي لا حدود له هو الذي دفعه إلى تصديق الرجل ودفع المال له.

وقال (عليه السلام): «إنّا أهل بيت مروءتنا العفو عمن ظلمنا»[٢].

وكان يفيض بأخلاقه الندية على حضار مجلسه حتّى قال رجل من العامّة: والله ما رأيت مجلساً أنبل من مجالسته[٣].

صبره :

ومن الصفات البارزة في الإمام (عليه السلام) الصبر وعدم الجزع على ما كان يلاقيه من عظيم المحن والخطوب، ومن مظاهر صبره أنه لما توفي ولده إسماعيل الذي كان ملأ العين في أدبه وعلمه وفضله ـ دعا (عليه السلام) جمعاً من أصحابه فقدّم لهم مائدة جعل فيها أفخر الأطعمة وأطيب الألوان، ولما فرغوا من تناول الطعام سأله بعض أصحابه، فقال له: يا سيدي لا أرى عليك أثراً من

(١) الإمام جعفر الصادق: ٤٨.

(٢) الخصال: ١/١٠.

(٣) أصول الكافي: ٢/٦٥٧.

آثار الحزن على ولدك؟ فأجابه (عليه السلام): **«وما لي لا أكون كما ترون، وقد جاء في خبر أصدق الصادقين** - يعني جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) - **إلى أصحابه: إني ميت وإياكم»**[١].

إقباله على العبادة:

أما الإقبال على عبادة الله تعالى وطاعته فإنه من أبرز صفات الإمام، فقد كان من أعبد الناس لله في عصره، وقد أخلص في طاعته لله كأعظم ما يكون الإخلاص، وإليك صورة موجزة عن عباداته:

أ - صلاته: ان الصلاة من أفضل العبادات وأهمها في الإسلام، وقد أشاد بها الإمام الصادق (عليه السلام) في كثير من أحاديثه:

قائلاً (عليه السلام): **«ما تقرب العبد إلى الله بعد المعرفة أفضل من الصلاة»**[٢].

وقال (عليه السلام): **«إن أفضل الأعمال عند الله يوم القيامة الصلاة، وما أحسن من عبد توضأ فأحسن الوضوء»**[٣].

وقال (عليه السلام): **«الصلاة قربان كل تقي»**[٤].

وقال (عليه السلام): **«أحب الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ الصلاة، وهي آخر وصايا الأنبياء، فما أحسن الرجل يغتسل أو يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يتنحى حيث لا يراه أنيس فيشرف الله عليه وهو راكع أو ساجد إن العبد إذا سجد فأطال السجود نادى إبليس: يا ويله أطاعوا وعصيت، وسجدوا وأبيت»**[٥].

وقال أبو بصير: دخلت على أُم حميدة - زوجة الإمام الصادق (عليه السلام) -

(١) الإمام جعفر الصادق: ٤٩.
(٢) مجموعة ورام: ٢ / ٨٦.
(٣) وسائل الشيعة: ٦/٤٣٢ و ١٢٩/٨.
(٤) المصدر السابق: ٤٣/٤ - ٤٤ و ٢٦٢/٧.
(٥) المصدر السابق: ٢٦/٣.

أُعزّيها بأبي عبد الله (عليه السلام) فبكت وبكيت لبكائها، ثم قالت: يا أبا محمّد لو رأيت أبا عبد الله عند الموت لرأيت عجباً فتح عينيه ثم قال: «**اجمعوا كل من بيني وبينه قرابة**». قالت فما تركنا أحداً إلّا جمعناه، فنظر إليهم ثمّ قال: «**إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة**»(١).

ومن الجدير بالذكر أن الإمام (عليه السلام) لم يدع نافلة من نوافل الصلاة إلّا أتى بها بخشوع وإقبال نحو الله.

وكان (عليه السلام) إذا أراد التوجّه إلى الصلاة اصْفَرّ لونه، وارتعدت فرائصه خوفاً من الله تعالى ورهبة وخشية منه. وقد أثرت عنه مجموعة من الأدعية في حال وضوئه، وتوجهه إلى الصلاة وفي قنوته، وبعد الفراغ من صلاته(٢).

ب ـ صومه : انّ الصوم من العبادات المهمة في الإسلام، وذلك لما يترتب عليه من الفوائد الاجتماعية والصحية والأخلاقية، «**وهو جُنّة من النار**» ـ كما قال الإمام الصادق (عليه السلام) ـ(٣).

وقد حث الإمام الصادق (عليه السلام) الصائم على التحلي بالأخلاق والآداب التالية، قال (عليه السلام): «**وإذا صمت فليصم سمعك، وبصرك، ولسانك من القبيح والحرام، ودع المراء، وأذى الخادم، وليكن عليك وقار الصيام، ولا تجعل يوم صومك مثل يوم فطرك سواء..**»(٤).

وكان (عليه السلام) صائماً في أغلب أيامه تقرباً إلى الله تعالى. أما شهر رمضان المبارك فكان يستقبله بشوق بالغ، وقد أثرت عنه بعض الأدعية المهمة عند رؤيته لهلاله، كما أثرت عنه بعض الأدعية في سائر أيامه وفي ليالي القدر

(١) وسائل الشيعة : ٣ / ١٧.

(٢) راجع الصحيفة الصادقية. وهي مجموعة الأدعية المأثورة عن الإمام الصادق(عليه السلام).

(٣) وسائل الشيعة : ٣ / ٢٩٠.

(٤) المصدر السابق : ١/١٦٥.

المباركة وفي يوم عيد الأضحى الأغرّ [١].

ج ـ حجّه : أما الحج فهو بالإضافة إلى قدسيته فإنه من أهم المؤتمرات العبادية السياسية التي تعقد في العالم الإسلامي، حيث تعرض فيه أهم المشاكل التي تواجه المسلمين سواء أكانت من الناحية الاقتصادية أم الاجتماعية أو المشاكل السياسية الداخلية والخارجية، مضافاً إلى أنه من أهم الروابط التي يعرف بها المسلمون بعضهم بعضاً.

وقد حجّ الإمام الصادق(عليه السلام) مرات متعددة والتقى بكثير من الحجاج المسلمين، وقد كان المعلم والمرشد لهم على مسائل الحج، فقد جهد هو وأبوه الإمام محمد الباقر (عليه السلام) على بيان أحكام الحجّ بشكل تفصيلي، وعنهما أخذ الرواة والفقهاء أحكام هذه الفريضة، ولولاهما لما عرفت مسائل الحجّ وأحكامه.

وكان الإمام الصادق (عليه السلام) يؤدّي بخضوع وخشوع مراسيم الحج من الطواف، والوقوف في عرفات ومنى، وقد روى بكر بن محمد الأزدي فقال: خرجت أطوف، وإلى جنبي الإمام أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) حتّى فرغ من طوافه ثم مال فصلّى ركعتين بين ركن البيت والحجر، وسمعته يقول في أثناء سجوده: «**سجد وجهي لك تعبّداً ورقّاً، لا إله إلّا أنت حقاً حقاً، الأول قبل كلّ شيء، والآخر بعد كلّ شيء، وها أنا ذا بين يديك، ناصيتي بيدك فاغفر لي إنه لا يغفر الذنب العظيم غيرك، فاغفر لي، فإني مقرٌّ بذنوبي على نفسي، ولا يدفع الذنب العظيم غيرك**».

ثم رفع رأسه الشريف، ووجهه كأنما غُمس في الماء من كثرة البكاء [٢].

وروى حمّاد بن عثمان فقال: رأيت أبا عبد الله جعفر بن محمد

(١) راجع الصحيفة الصادقية ، باقر شريف القرشي : ٥/١١٩ ـ ١٤٧ .

(٢) قرب الإسناد: ٢٨.

بالموقف رافعاً يده إلى السماء... وكان في موقف النبيّ (صلى الله عليه وآله) وظاهر كفّيه إلى السماء[١].

وكان (عليه السلام) إذا خرج من الكعبة المقدسة يقول: «**الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، اللهم لا تجهد بلاءنا، ولا تشمت بنا أعداءنا، فإنك أنت الضار النافع**»[٢].

وروىٰ حفص بن عمر ـ مؤذن علي بن يقطين ـ فقال: كنا نروي أنه يقف للناس في الحجّ سنة (١٤٠ هـ) خير الناس، فحججت في تلك السنة، فإذا إسماعيل بن عبد الله بن العباس واقف فداخلنا من ذلك غمّ شديد، فلم نلبث، وإذا بالإمام أبي عبد الله (عليه السلام) واقف على بغلة له، فرجعت أبشّر أصحابي، وقلت: هذا خير الناس الذي كنا نرويه[٣].

وكان من أعظم الخاشعين والداعين في مواقف الحجّ، فقد روي أنّ سفيان الثوري قال: والله رأيت جعفر بن محمّد (عليه السلام) ولم أر حاجّاً وقف بالمشاعر، واجتهد في التضرّع والابتهال أكثر منه، فلمّا وصل عرفات أخذ من الناس جانباً، واجتهد في الدعاء في الموقف[٤].

---

(١) قرب الاسناد : ٣١.

(٢) المصدر السابق : ٣.

(٣) المصدر السابق: ٩٨.

(٤) حياة الإمام الصادق (عليه السلام): ١/ ٧١ نقلاً عن ضياء العالمين.



فيه فصول:



الفصل الأول:

نشأة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

الفصل الثاني:

مراحل حياة الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)

الفصل الثالث:

الإمام الصادق (عليه السلام) في ظل جدّه وأبيه


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول

نشأة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

الأسرة الكريمة :

إنّ أُسرة الإمام الصادق (عليه السلام)، هي أجلّ وأسمى أسرة في دنيا العرب والإسلام، فإنّها تلك الأسرة التي أنجبت خاتم النبيين وسيد المرسلين محمّد (صلى الله عليه وآله)، وأنجبت أيضاً عظماء الأئمة وأعلام العلماء، وهي على امتداد التأريخ لا تزال مهوى أفئدة المسلمين، ومهبط الوحي والإلهام.

من هذه الأسرة التي أغناها الله بفضله، والقائمة في قلوب المسلمين وعواطفهم تفرّع عملاق هذه الأُمة، ومؤسس نهضتها الفكرية والعلمية الإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام)، وقد ورث من عظماء أسرته جميع خصالهم العظيمة فكان ملء فم الدنيا في صفاته وكمالاته.

الأب الكريم :

هو الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) سيد الناس لا في عصره، وإنما في جميع العصور على امتداد التأريخ علماً وفضلاً وتقوى، ولم يظهر من أحد في ولد الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) من علم الدين والسنن وعلم القرآن

والسير، وفنون الأدب والبلاغة مثل ما ظهر منه[١].

لقد فجّر هذا الإمام العظيم ينابيع العلم والحكمة في الأرض، وساهم مساهمة إيجابية في تطوير العقل البشري، وذلك بما نشره من مختلف العلوم. لقد أزهرت الدنيا بهذا المولود العظيم الذي تفرّع من شجرة النبوة ودوحة الإمامة ومعدن الحكمة والعلم، ومن أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

الأُم الزكية :

هي السيّدة المهذّبة الزكيّة (أُم فروة) بنت الفقيه القاسم[٢] بن محمّد بن أبي بكر[٣] وكانت من سيدات النساء عفة وشرفاً وفضلاً، فقد تربت في بيت أبيها وهو من الفضلاء اللامعين في عصره، كما تلقت الفقه والمعارف الإسلامية من زوجها الإمام الأعظم محمّد الباقر (عليه السلام)، وكانت على جانب كبير من الفضل، حتى أصبحت مرجعاً للسيدات من نساء بلدها وغيره في مهام أُمورهن الدينية وحسبها فخراً وشرفاً أنها صارت أُمّاً لأعظم إمام من أئمة المسلمين، وكانت تعامل في بيتها بإجلال واحترام من قبل زوجها، وباقي أفراد العائلة النبوية.

---

(١) الفصول المهمة: ١٩٢.

(٢) أُصول الكافي: ٤٧٢/١، وتاريخ أهل البيت: ١٢٢، والارشاد: ١٨٠/٢، وتذكرة الخواص: ٣٠٦ و ٣٠٧.

(٣) القاسم بن محمد بن أبي بكر كان من الفقهاء الأجلاء، وكان عمر بن عبد العزيز يجله كثيراً وقد قال: لو كان لي من الأمر شيء لوليت القاسم بن محمّد الخلافة، وقد عمر طويلاً وذهب بصره في آخر عمره، ولما احتضر قال لابنه: سن عليّ التراب سناً ـ أي ضعه علي سهلاً ـ وسوّي على قبري، والحق بأهلك، وإياك أن تقول: كان أبي . وكانت وفاته بمكان يقال له قديد، وهو إسم موضع يقع ما بين مكة والمدينة، راجع ترجمته في صفة الصفوة: ٥١/٢ ـ ٥٢ والمعارف: ١٠٢، ومعجم البلدان: ٣ / ٣١٣، ووفيات الأعيان: ٤ / ٥٩.

ولادة النور:

ولم تمضِ فترة طويلة من زواج السيّدة (أُم فروة) بالإمام محمّد الباقر (عليه السلام) حتّى حملت، وعمّت البشرى أفراد الأسرة العلوية، وتطلعوا إلى المولود العظيم تطلعهم لمشرق الشمس، ولما أشرقت الأرض بولادة المولود المبارك سارعت القابلة لتزف البشرى إلى أبيه فلم تجده في البيت، وإنما وجدت جده الإمام زين العابدين (عليه السلام) فهنّأته بالمولود الجديد، وغمرت الإمام موجات من الفرح والسرور لأنه علم أن هذا الوليد سيجدد معالم الدين، ويحيي سنّة جدّه سيّد المرسلين (صلى الله عليه وآله) وأخبرته القابلة بأن له عينين زرقاوين جميلتين، فتبسم الإمام (عليه السلام) وقال: «**إنه يشبه عيني والدتي**»[1].

وبادر الإمام زين العابدين (عليه السلام) إلى الحجرة فتناول حفيده فقبّله، وأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعية، فأذّن في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرى.

لقد كانت البداية المشرقة للإمام الصادق (عليه السلام) أن استقبله جدّه الذي هو خير أهل الأرض، وهمس في أذنه:

«**الله أكبر**»

«**لا إله إلّا الله**»

وقد غذاه بهذه الكلمات التي هي سرّ الوجود لتكون أنشودته في مستقبل حياته.

---

(١) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ٧٢.

تاريخ ولادته :

اختلف المؤرخون في السنة التي وُلد فيها الإمام الصادق (عليه السلام) فمن قائل إنه وُلد بالمدينة المنورة سنة (٨٠ هـ)[١].

وقال آخرون إنه وُلد سنة (٨٣ هـ) يوم الجمعة أو يوم الإثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول[٢].

وقال ثالث إنه وُلد سنة (٨٦ هـ)[٣].

تسميته وألقابه :

أما اسمه الشريف فهو (جعفر) ونصّ كثير من المؤرخين على أن النبيّ (صلى الله عليه وآله) هو الذي سمّاه بهذا الاسم، ولقّبه بالصادق[٤].

لقد لُقِّب الإمام (عليه السلام) بألقاب عديدة يمثل كل منها مظهراً من مظاهر شخصيّته وإليك بعض هذه الألقاب الكريمة :

١ ـ **الصادق:** لقّبه بذلك جدّه الرسول (صلى الله عليه وآله) باعتباره أصدق إنسان في حديثه وكلامه[٥] .

وقيل: إن المنصور الدوانيقي الذي هو من ألدّ أعدائه، هو الذي أضفى عليه هذا اللقب، والسبب في ذلك: أن أبا مسلم الخراساني طلب من الإمام

(١) تأريخ ابن الوردي: ٢٦٦/١، الاتحاف بحب الأشراف: ٥٤، سر السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري: ٣٤، ينابيع المودة: ٤٥٧، تذكرة الحفاظ: ١٥٧/١، نور الأبصار للشبلنجي: ١٣٢، وفيات الأعيان: ١٩١/١.

(٢) أصول الكافي: ٤٧٢/١، وتاريخ أهل البيت : ٨١، والارشاد: ١٧٩/٢ وإعلام الورى: ٥١٤/١ .

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٢٠٨/٤.

(٤) موسوعة الإمام الصادق(عليه السلام) القزويني: ١٦٢/١ .

(٥) قال السمعاني في أنسابه : ٣ / ٥٠٧، الصادق لقب لجعفر الصادق لصدقه في مقاله.

الصادق (عليه السلام) أن يدلّه على قبر جده الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فامتنع، وأخبره أنه إنما يظهر القبر الشريف في أيام رجل هاشمي يقال له أبو جعفر المنصور، وأخبر أبو مسلم المنصور بذلك في أيام حكومته وهو في الرصافة ببغداد، ففرح بذلك، وقال: هذا هو الصادق[١].

٢ ـ **الصابر**[٢]: ولقب بذلك لأنه صبر على المحن الشاقّة والخطوب المريرة التي تجرّعها من خصومه الأُمويين والعباسيين.

٣ ـ **الفاضل**[٣]: لقّب بذلك لأنه كان أفضل أهل زمانه وأعلمهم لا في شؤون الشريعة فحسب وإنما في جميع العلوم، فهو الفاضل وغيره المفضول.

٤ ـ **الطاهر**[٤]: لأنه أطهر إنسان في عمله وسلوكه واتجاهاته في عصره.

٥ ـ **عمود الشرف**[٥]: لقد كان الإمام (عليه السلام) عمود الشرف، وعنوان الفخر والمجد لجميع المسلمين.

٦ ـ **القائم**[٦]: لأنه كان قائماً بإحياء دين الله والذبّ عن شريعة سيد المرسلين.

٧ ـ **الكافل**[٧]: لأنه كان كافلاً للفقراء والأيتام والمحرومين، فقد قام بالإنفاق عليهم وإعالتهم.

---

(١) موسوعة الإمام الصادق: ١ / ٢٢.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٠٧، مرآة الزمان: ٥ / ورقة ١٦٦ من مصورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين.

(٣) تاريخ أهل البيت: ١٣١، وتذكرة الخواص: ٣٠٧.

(٤) مرآة الزمان: ٥ / ورقة ١٦٦.

(٥) سر السلسلة العلوية: ٣٤.

(٦) مناقب آل أبي طالب: ٢٨١/٤.

(٧) مناقب آل أبي طالب: ٢٨١/٤.

٨ـ المنجي[1]: من الضلالة، فقد هدى من التجأ إليه، وأنقذ من اتصل به.
فهذه بعض ألقابه الكريمة التي تحكي بعض صفاته، ومعالم شخصيته.

كُناه:

وكني الإمام الصادق (عليه السلام) بأبي عبد الله، وأبي إسماعيل، وأبي موسى[2].

ذكاؤه:

كان الإمام الصادق (عليه السلام) في سنه المبكّر آية من آيات الذكاء، فلم يجاريه أحد بمثل سنه على امتداد التأريخ بهذه الظاهرة التي تدعو إلى الإعجاب والإكبار، والتي كان منها أنه كان يحضر دروس أبيه وهو صبي يافع لم يتجاوز عمره الثلاث سنين، وقد فاق بتلقيه لدروس أبيه جميع تلاميذه من كبار العلماء والرواة. ومن الجدير بالذكر أن دروس أبيه وبحوثه لم تقتصر على الفقه والحديث، وتفسير القرآن الكريم، وإنما شملت جميع أنواع العلوم، وقد ألمّ بها الإمام الصادق (عليه السلام) أحسن إلمام. ويدلّ على ذلك ما نقله الرواة من أن الوليد بن عبد الملك أمر عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز بتوسعة المسجد النبوي، فأنجز عمر قسماً كبيراً منه، وأعلمه بذلك، وسافر الوليد إلى المدينة ليطّلع بنفسه على ما أنجزه عمر من أعمال التعمير والتوسيع، وقد استقبله عمر من مسافة خمسين فرسخاً، وأعدّ له استقبالاً رسمياً، وخرجت أهالي المدينة بجميع طبقاتها لاستقباله والترحيب به، وبعدما انتهى إلى المدينة دخل إلى الجامع النبوي ليشاهد ما أنجر من أعمال

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤/٢٨١.
(٢) المصدر السابق.

التعمير، وقد رأى الإمام الباقر (عليه السلام) على المنبر، وهو يلقي محاضرة على تلاميذه فسلّم عليه، فردّ الإمام السلام عليه، وتوقف عن التدريس تكريماً له، فأصرّ عليه الوليد أن يستمرّ في تدريسه، فأجابه إلى ذلك، وكان موضوع الدرس (الجغرافيا) فاستمع الوليد، وبهر من ذلك، فسأل الإمام: ما هذا العلم؟

فأجابه الإمام: «**إنه علم يتحدث عن الأرض والسماء، والشمس والنجوم**».

ووقع نظر الوليد على الإمام الصادق، فسأل عمر بن عبد العزيز: من يكون هذا الصبي بين الرجال؟.

فبادر عمر قائلاً: إنه جعفر بن محمّد الباقر...

وأسرع الوليد قائلاً: هل هو قادر على فهم الدرس واستيعابه؟.

فعرفه عمر بما يملكه الصبي من قدرات علمية، قائلاً: إنه أذكى من يحضر درس الإمام وأكثرهم سؤالاً ونقاشاً.

وبهر الوليد، فاستدعاه، فلما مثل أمامه بادر قائلاً: «ما اسمك؟».

وأجابه الصبي بطلاقة قائلاً: «**اسمي جعفر**».

وأراد الوليد امتحانه، فقال له: «أتعلم من كان صاحب المنطق ـ أي مؤسسه ـ ؟»

فأجابه الصبي: «**كان أرسطو ملقباً بصاحب المنطق، لقبه إياه تلامذته، وأتباعه**».

ووجه الوليد إليه سؤالاً ثانياً قائلاً: «من صاحب المعز؟».

فأنكر عليه الإمام وقال: «**ليس هذا اسماً لأحد، ولكنه اسم لمجموعة من النجوم، وتسمى ذو الأعنة**»[1].

واستولت الحيرة والذهول على الوليد، فلم يدر ما يقول، وتأمل كثيراً ليستحضر مسألة أُخرى يسأل بها سليل النبوة، وحضر في ذهنه السؤال الآتي

---

(١) هذه المجموعة من النجوم تسمى في اصطلاح العلم الحديث «أوريكا» أو «أريجا».

فقال له: «هل تعلم من صاحب السواك؟».

فأجابه الإمام فوراً: «**هو لقب عبد الله بن مسعود صاحب جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله)**».

ولم يستحضر الوليد مسألة يسأل بها الإمام، ووجد نفسه عاجزاً أمام هذا العملاق العظيم، فراح يبدي إكباره وإعجابه بالإمام، ويرحّب به، وأمسك بيده، ودنا من الإمام الباقر (عليه السلام)، يهنّئه بولده قائلاً: إن ولدك هذا سيكون علّامة عصره[1].

وصدق توسم الوليد، فقد أصبح الإمام الصادق (عليه السلام) أعلم علماء عصره على الإطلاق، بل أعلم علماء الدنيا على امتداد التأريخ، وليس هناك تعليل مقنع لهذه الظاهرة التي اتّصف بها سليل النبوة في حال طفولته، إلّا القول بما تذهب إليه الشيعة من أن الله تعالى منح أئمة أهل البيت (عليهم السلام) العلم والحكمة في جميع أدوار حياتهم كما منح أنبياءه ورسله.

معرفته بجميع اللغات :

وكان في سنّه المبكّر عارفاً بجميع لغات العالم إذ كان يتكلّم مع كل أهل لغة كأنه واحد منهم. وإليك نماذج تشير الى ذلك :

١ ـ روى يونس بن ظبيان النبطي أن الإمام الصادق (عليه السلام) تحدّث معه باللغة النبطية فأخبره عن أول خارجة خرجت على موسى بن عمران، وعلى المسيح، وعلى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بالنهروان، وأعقب كلامه بقوله: «مالح ديربير ماكي مالح». ومعناه أن ذلك عند قريتك التي هي بالنبطية[2].

---

(١) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ١٠٨ ـ ١١٢.

(٢) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ٤٨.

٢ ـ روى عامر بن علي الجامعي، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): جُعلت فداك، إنا نأكل كل ذبائح أهل الكتاب، ولا ندري أيسمّون عليها أم لا ؟ فقال (عليه السلام): إذا سمعتموهم قد سمّوا فكلوا، أتدري ما يقولون على ذبائحهم؟

فقلت: لا .

فقرأ شيئاً لم أعرفه ثم قال: بهذا أُمروا.

فقلت: جعلت فداك إن رأيت أن نكتبها.

قال (عليه السلام): اكتب «نوح أيوا ادينو بلهيز مالحوا عالم اشرسوا أورصوبنوا (يوسعه) موسق ذعال اسطحوا»[١].

وفي رواية أُخرى أنّ النص كالآتي «باروح أتا ادوناي إيلوهنوا ملخ عولام اشرفدشنوا عبسوتا وسينوانوا على هشخيطا» ومعناه تباركت أنت الله مالك العالمين، الذي قدسنا بأوامره، وأمرنا على الذبح[٢].

٣ـ روى أبو بصير قال: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) وعنده رجل من أهل خراسان وهو يكلمه بلسان لا أفهمه[٣] وكانت الفارسية.

ووفد عليه قوم من أهل خراسان، فقال (عليه السلام) لهم: «من جمع مالاً يحرسه عذبه الله على مقداره» فقالوا له باللغة الفارسية: لا نفهم العربية، فقال (عليه السلام) لهم: «هركه درم اندوزد جزايش دوزخ باشد»[٤].

٤ ـ روى أبان بن تغلب قال: غدوت من منزلي بالمدينة وأنا أريد أبا عبد الله فلما صرت بالباب وجدت قوماً عنده لم أعرفهم، ولم أر قوماً أحسن زيّاً منهم، ولا أحسن سيماءً منهم كأن الطير على رؤوسهم، فجعل

(١) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب : ٤٧ .

(٢) المصدر السابق : ٤٨.

(٣) الاختصاص: ١٨٣.

(٤) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ٤٦.

أبو عبدالله (عليه السلام) يحدّثنا بحديث فخرجنا من عنده، وقد فهّم خمسة عشر نفراً، متفرقي الألسن، منهم العربي، والفارسي، والنبطي، والحبشي، والصقلبي، فقال العربي: حدّثنا بالعربية، وقال الفارسي: حدّثنا بالفارسية، وقال الحبشي: حدّثنا بالحبشية، وقال: الصقلبي: حدّثنا بالصقلبية وأخبر (عليه السلام) بعض أصحابه بأن الحديث واحد، وقد فسره لكل قوم بلغتهم[١].

٥ـ ودار الحديث بين الإمام (عليه السلام) وبين عمار الساباطي باللغة النبطية فبهر عمار وراح يقول: (ما رأيت نبطياً أفصح منك بالنبطية).

فقال (عليه السلام) له: «يا عمار وبكل لسان»[٢].

هيبته ووقاره:

كانت الوجوه تعنو لهيبة الإمام الصادق (عليه السلام) ووقاره، فقد حاكى هيبة الأنبياء، وجلالة الأوصياء، وما رآه أحد إلّا هابه إذ كانت تعلوه روحانية الإمامة، وقداسة الأولياء. وكان ابن مسكان وهو من خيار الشيعة وثقاتها لا يدخل عليه شفقة أن لا يوافيه حق إجلاله وتعظيمه، فكان يسمع ما يحتاج إليه من أُمور دينه من أصحابه، ويأبى أن يدخل عليه[٣].

(١) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ٤٦ ـ ٤٧.

(٢) الاختصاص: ٢٨٣.

(٣) الاختصاص: ٢٠٣.

الفصل الثاني

مراحل حياة الإمام الصادق (عليه السلام)

ولد الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) في مرحلة ازدهار الدولة الأُموية حين ابتعد الخلفاء كثيراً عن طريق الحق وترسّخت صيغة الملك المتوارث.

عاصر جدّه إثنتا عشرة سنة في المدينة وعاش مع أبيه بعد جدّه تسع عشرة سنة. نهل خلالها جميع العلوم والمعارف من أبيه (عليه السلام) وفاق الجميع بسعة إدراكه وشدّة ذكائه .

وشارك أباه محنة الصبر على تولّي الظالمين والتعرض للبلاء كما ساهم مع أبيه في نشر العلوم الإسلامية من خلال حلقات الدرس التي أسّسها لكي لا تضيع الرسالة وتندرس معالم الدين.

وتمكّن من أن يواصل بعد أبيه (عليه السلام) خلال مدة إمامته التي استمرّت أربعاً وثلاثين سنة تربية أجيال عديدة من العلماء والفقهاء الصالحين ممن ينهج نهج أهل البيت (عليهم السلام).

وكما عاصر الإمام الصادق (عليه السلام) مرحلة انحطاط الدولة الأُموية وأُفولها عاصر كذلك ظهور الدولة العباسية التي تعجّلت في ممارسة الظلم بالنسبة لأهل البيت(عليهم السلام) والتعدّي عليهم.

وتمكّن الإمام الصادق (عليه السلام) في هذه الفترة من المعترك السياسي المرير ان يحافظ على كيان المذهب الشيعي وسلامة الجماعة الصالحة وتنميتها، تلك الجماعة التي عمل على بنائها وتوسعتها آباؤه الطاهرون.

ومن هنا نقسّم حياته إلى عصرين متميّزين:

١ ـ عصر ما قبل التصدّي للإمامة وقد عاصر فيه كلّاً من الوليد بن عبدالملك وسليمان بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز ويزيد بن الوليد وهشام بن عبدالملك وينقسم إلى مرحلتين:

المرحلة الأُولى: حياته مع جدّه وأبيه (٨٣ ـ ٩٥ هـ).

المرحلة الثانية: حياته مع أبيه الباقر (عليه السلام) (٩٥ ـ ١١٤ هـ).

٢ ـ عصر امامته (عليه السلام) وينقسم إلى مرحلتين أيضاً:

المرحلة الأُولى : فترة انهيار الدولة الأُموية حتّى أُفولها (١١٤ ـ ١٣٢ هـ).

والمرحلة الثانية: فترة تأسيس الدولة العباسية حتى استشهاده (١٣٢ ـ ١٤٨ هـ).

وعاصر في المرحلة الأُولى منهما كلّاً من: هشام بن عبدالملك والوليدبن يزيد ثم يزيد بن الوليد المعروف بالناقص ثمّ أخيه إبراهيم بن الوليد ثم مروان بن محمد المعروف بـ(مروان الحمار) آخر ملوك الدولة الأُموية التي عاثت في الأرض فساداً.

كما عاصر في الثانية منهما كلّاً من: السفاح وأبي جعفر المنصور ، واستشهد في حكم المنصور العباسي بعد اجراءات قاسية قام بها هذا الحاكم الذي تربّع على كرسي الخلافة باسم أهل البيت (عليهم السلام).

وسنوافي القارئ الكريم بتفاصيل ما جرى على الإمام (عليه السلام) في هذه المرحلة القاسية من حياته الشريفة.

الإمام الصادق في ظل جدّه وأبيه (عليهما السلام)

ملامح عصر الإمام زين العابدين (عليه السلام) ومواقفه

لقد واجه الإمام زين العابدين (عليه السلام) بعد استشهاد أبيه الحسين (عليه السلام) ما يلي:

١ - التعاطف مع أهل البيت (عليهم السلام) تعاطفاً كان يفتقد الوعي ويقتصر على الشعور الإيجابي بالولاء مع خلوّه عن الموقف العملي الجادّ.

٢ - ثورات انتقاميّة كانت تتحرّك نحو هدف محدود، وثورات نفعية مصلحيّة، ونشوء حركات منافقة، وظهور وعّاظ السلاطين لاسباغ الشرعية على السلطة القائمة.

٣ - بروز ظاهرة الشعور بالإثم عند الأُمّة بسبب ما ارتكبته من خذلان لأبيه الحسين السبط (عليه السلام) لكن هذا الشعور كما هو معروف كان بلا ترشيد واضح، والعقليات المدبّرة للثورة على الوضع القائم كانت تفكّر بالثأر فحسب.

وهنا خطّط الإمام زين العابدين (عليه السلام) لعمله على مرحلتين أو خطوتين:

الخطوة الاولى : تناول الإمام (عليه السلام) ظاهرة الشعور بالاثم وعمل على ترشيدها بعد أن عمّقها بشكل متواصل عبر تذكيره الأُمّة بمأساة كربلاء والمظالم التي لحقت بآل البيت (عليهم السلام). وقد استغرق هذا التذكير زمناً طويلاً،

حيث حاول إعطاء ظاهرة الشعور بالإثم بُعداً فكرياً صحيحاً ليجعل منه أداة دفع وتأثير في عملية البناء والتغيير.

وبعد أن تراكم هذا الشعور شكّل في نهاية الأمر خزيناً داخلياً كانت لا تقوىٰ الأُمّة أن تصبر عليه طويلاً وأصبح الإلحاح على مخرج تعبّر به الأُمّة عن ألمها أمراً جدّياً، حتّى حدثت الثورة الكبرىٰ. وطبيعي أنّ هذا الجوّ المشحون الذي كان ينبئ بالثورة والاطاحة بالأُمويين جعلهم يشدّدون الرقابة علىٰ الإمام زين العابدين (عليه السلام) باعتباره الرأس المدبّر لهذه المطالبة ولكونه الوريث الشرعي للخلافة بعد أبيه الحسين (عليه السلام). ومن هنا كانت الحكومة الأُمويّة تفسّر أيّ حركة تصدر من الإمام (عليه السلام) علىٰ أنها تمهيد للثورة.

الخطوة الثانية : توزّع نشاط الإمام(عليه السلام) في هذه الخطوة على عدّة اتّجاهات.

الاتجاه الأوّل : قام الإمام (عليه السلام) ببلورة العواطف الهائجة وحاول أن يدفعها باتّجاه الفكر الصحيح ويضع لها الأُسس العقائديّة ويجعل منها مقدمة لعملية التغيير التي ينشدها الإمام (عليه السلام)، وقد تمثّلت في إيجاد الفكر الإسلامي الصحيح الذي طالما تعرّض للتشويه والتحريف. ثم إعداد الطليعة الواعية التي تشعر بالمسؤولية وتكون أهلاً لحمل الأمانة الإلٰهيّة.

الاتّجاه الثاني : تحرّك الإمام زين العابدين (عليه السلام) انطلاقاً من مسؤوليته في حماية الإسلام وبقائه كشريعة دون تحريف وتشويه لمحتواه ضمن عدّة نشاطات:

١ ـ **النشاط الأول :** واجه الإمام (عليه السلام) الحركات الانحرافية والفرق الضالّة والمغالية التي كانت تستهدف الفكر الإسلامي وتعتمد الاسرائيليات والنظريات الهندية واليونانية حول الكون والحياة في فهم القرآن والحديث

الشريف، وقام بنشر مختلف العلوم والفنون وتبيان الصيغة الصحيحة للعلاقات الاجتماعية والسياسية والاخلاقية التي كان قد أصابها الفساد، كما يتضح ذلك بجلاء في رسالته المعروفة برسالة الحقوق، كما ساهم في حلّ المشاكل التي كانت تهدّد كرامة الدولة الإسلامية كما يلاحظ ذلك جلياً فيما حدث في جوابه على رسالة ملك الروم حين هدّد الخليفة بالحصار الاقتصادي[١].

النشاط الثاني : إنّ الأُمويين كانوا قد ضيّقوا على حركة الإمام (عليه السلام) ونشاطه مع الأُمّة إلّا أن الإمام (عليه السلام) استخدم الدعاء سلاحاً للارتباط الفكري والمعنوي بها. وحيث انّ هذا السلاح لم يستهدف الأُمويين مباشرة، توفّر للإمام (عليه السلام) مجالٌ أوسع لمعالجة الظواهر المرضية والانحرافات الأخلاقية.

الاتّجاه الثالث : التأكيد على أهمّية العمل الثوري ومكافحة الظلم والانحراف وايقاد روح الجهاد التي كانت خمدت في الأُمّة عبر سنوات الانحراف، كما يتجلّى ذلك في دعائه للمختار الذي طالب بثأر الحسين وكان على اتّصال دائم بالإمام (عليه السلام) أثناء ثورته من خلال عمّه محمد بن الحنفيّة.

الاتّجاه الرابع : لم يكن موقف الإمام (عليه السلام) من الحكّام موقف المواجهة والتحدّي المباشر؛ إذ لو كان قد فعل الإمام زين العابدين (عليه السلام) ذلك لما كان يستطيع أن يحقّق ما حقّقه من مكاسب في الأُمة في مجال التربية، ولما توفّرت أجواء سليمة وفرص واسعة لنشاط الإمام الباقر (عليه السلام) من بعده وللجماعة الصالحة التي ربّاها.

لكنّ هذا لا يعني أن الإمام (عليه السلام) لم يوضّح رأيه في الحكومة فلم يترك

---

(١) البداية والنهاية : ٩/١٢٢.

الأمر ملتبساً على شيعته بل كانت للإمام زين العابدين (عليه السلام) مواقف مع الحكّام سوف نشير إلى بعض منها، وكان هدفه منها إعطاء خطّ في التربية والتغيير حفاظاً على الشيعة من الضياع ؛ إذ لم تكن الجماعة الصالحة على سبيل المواجهة ولكنّها كانت كافية في التحصين في تلك المرحلة على مستوى التربية والإعداد وتأسيساً لمستقبل سياسي أفضل.

ونستطيع أن نلاحظ موقف الإمام (عليه السلام) مع السلطة من خلال رسالته الجوابية إلى عبد الملك حين لامَ عبدالملك الإمام (عليه السلام) على زواجه بأمته التي كان قد أعتقها.

إنّ ردّ الإمام (عليه السلام) على عبد الملك كان يتضمّن تحدّياً للخليفة الذي كان يفكّر بعقلية جاهلية؛ فإنّ الإمام (عليه السلام) وضّح فيها الموقف الإسلامي الذي يلغي كل الامتيازات التي وضعتها الجاهلية بقوله (عليه السلام): **«فلا لوم على امرئ مسلم إنّما اللومُ لوم الجاهلية»**.

يظهر هذا التحدّي ممّا جاء في مصادر التأريخ من أن الخليفة الأُموي بعد أن قرأها هو وابنه سليمان، قال الابن: يا أمير المؤمنين لَشدَّ ما فخر عليك علي بن الحسين!! فردّ الخليفة على ابنه قائلاً: «يا بنيّ لا تَقل ذلك فإنّها ألسن بني هاشم التي تَفلق الصخر وتغرف من بحر، إنّ عليّ بن الحسين يا بني يرتفع من حيث يتّضع الناس[1].

وفي هذا الجواب إشارة إلى أنّ المواجهة مع الإمام من قبل الخليفة لا تخدم سلطان بني أُمية.

ومن مواقف الإمام زين العابدين (عليه السلام) نجاه السلطة أيضاً موقفه من

---

(١) بحار الأنوار: ١٦٥/٤٦ عن فروع الكافي: ٣٤٤/٥، والعقد الفريد : ١٢١/٧.

الزهري ذلك المحدث الذي كان مرتبطاً بالبلاط الأُموي ـ فقد أرسل إليه الإمام (عليه السلام) رسالة قرّعه فيها على شنيع فعله[1]، وان كان قد علم الإمام بأنه غارق إلى هامته في موائد السلطان ولهوه، إلّا أنّها رسالة للأجيال.

ومن الأحاديث التي وضعها هذا الرجل دعماً لسياسة بني أُمية حينما منعوا حجّ بيت الله الحرام لمّا كان ابن الزبير مسيطراً على الحرمين الشريفين ما رواه عن النبي (صلى الله عليه وآله) بقوله: لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى.

ملامح عصر الإمام محمد الباقر (عليه السلام)

استشهد الإمام زين العابدين (عليه السلام) سنة (٩٥ هـ) في أيام حكم الوليد بن عبد الملك وتولّى الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) مسؤولية الإمامة بوصية من أبيه حيث أعلن عن امامته أمام سائر أبنائه وعشيرته حين سلّمه صندوقاً فيه سلاح رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال له : **«يا محمّد هذا الصندوق فاذهب به إلى بيتك، ثم قال (عليه السلام): أما إنه لم يكن فيه دينار ولا درهم ولكنه مملوءٌ علماً»**[2].

إذن فهو صندوق يرمز لمسؤولية القيادة الفكرية والعلمية كما أنّ السلاح يرمز لمسؤولية القيادة الثورية.

وبالرغم من توالي الثورات التي تلت واقعة الطف والتي كان الإمام الباقر (عليه السلام) قد عاصرها جميعاً مع أبيه (عليه السلام) بقي موقف الأعمّ الأغلب من الناس الاستجابة لمنطق السيف الأُموي إلى جانب القسم الآخر الذي آمن بأنّ الحكّام الأُمويين يمثّلون الخلافة الإسلامية.

---

(١) تحف العقول : ٢٧٢ ـ ٢٧٧.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٤/٤ و ٤٨، وأُصول الكافي: ٣٠٥/١ ح ١ و ٢ وعنهما في بحار الأنوار: ٢٢٩/٤٦ .

كما أنه عاصر عمليات الهدم الفكري والتحريف والمسخ الثقافي الذي مارسه الأُمويون بحق الرسالة والقيم الإسلامية.

وعند مجيء سليمان بن عبد الملك إلى الحكم بعد وفاة أخيه الوليد بن عبد الملك سنة (٩٦ هـ) أصدر قرارات جديدة استراحت الأُمّة بسببها قليلاً حيث أمر بالتنكيل بآل الحجاج بن يوسف الثقفي وطرد كلّ عمّاله وولاته[١] كما أطلق سراح المسجونين في سجون الحجّاج[٢].

وفي سنة (٩٩ هـ) تقلّد الحكم الأُموي عمر بن عبد العزيز فازدادت الحرّيات في مدّة خلافته القصيرة، كما يراه بعض المؤرّخين، كما انه عالج مشكلة الخراج التي قال عنها بأنها سنّة خبيثة سنّها عمّال السوء[٣].

وعامل العلويين معاملة خالف فيها أسلافه فقد جاء في كتابه لعامله على المدينة: «فأقسم في ولد علي من فاطمة رضوان الله عليهم عشرة آلاف دينار فطالما تخطّتهم حقوقهم»[٤] ورَدَّ فدكاً ـ التي كان قد صادرها الخليفة الأوّل ـ على الإمام الباقر (عليه السلام)[٥] ورفع سبّ الإمام عليّ (عليه السلام) الذي كان قد سنّه معاوية[٦].

أما الناحية الفكرية : فتبعاً للتغيّرات السياسية نلمس تطوّراً في الجانب الفكري أيضاً. فقد برزت في هذا الظرف تيارات فكرية جديدة واتّجه الناس

---

(١) الكامل لابن الأثير: ١٣٨/٤.

(٢) تاريخ ابن عساكر: ٨٠/٤.

(٣) تاريخ الطبري: ١٣٩/٨، وعنه في الكامل لابن الأثير: ٢٩/٥ .

(٤) مروج الذهب: ١٩٤/٣.

(٥) الكامل: ١٦٤/٤، والمناقب: ٢٢٥/٤ وسفينة البحار: ٤٩٤/٦ و ٤٥/٧ عن المجلد الثامن من بحار الأنوار الطبعة الحجرية و ٣٢٠/٤٦ و ٣٢٧، وفي الكامل للجزري: ١٦٤/٤ .

(٦) انظر الفكر السامي: ٢٧٦/١ عن صحيح مسلم، وتاريخ اليعقوبي : ٢٢٣/٢ و ٢٣٠ و ٢٣٥ و ٣٠٥، وشرح النهج للمعتزلي : ٩٨/١٥ في قنوت معاوية على علي والحسن والحسين! تاريخ الخميس: ٣١٧/٢.

للبحث والدرس وتلقي المعرفة الإسلامية ورفع المنع الحكومي عن تدوين الحديث النبوي وبدأت تتميز مدرسة أهل الحديث عن مدرسة أهل الرأي ومال الموالي من غير العرب إلى مدرسة أهل الرأي في الكوفة، وتزعّم أبو حنيفة هذه المدرسة في حينها ضدّ مدرسة أهل الحديث في المدينة[١].

وكنتيجة طبيعية للإخفاق الذي سجّلته الحركات الفكرية، ظهرت فكرة الاعتزال التي نادىٰ بها واصل بن عطاء في البصرة عندما اعتزل حلقة درس أُستاذه الحسن البصري وهي تعتبر تعديلاً لفكرة الخوارج التي لم تلقَ رواجاً حينما قالت بكفر مرتكب الكبيرة[٢] والمرجئة التي قالت بأ نّه لا تضرّ مع الإيمان معصية[٣] فقال واصل (مؤسس اتّجاه الاعتزال والمتوفى في (١٣١ هـ): إنّ صاحب الكبيرة ليس بمؤمن بإطلاق بل هو في منزلة بين منزلتين أي انّ مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر لكنّه فاسق والفاسق يستحق النار بفسقه[٤].

هذه صورة مجملة عن الواقع الذي عايشه الإمام الصادق(عليه السلام) خلال مرحلة قيادة أبيه الباقر(عليه السلام).

متطلّبات عصر الإمام الباقر (عليه السلام)

ونلخّص دور الإمام الباقر(عليه السلام) في ثلاثة خطوط أساسية:

الخط السياسي، وإكمال بناء الجماعة الصالحة وتأسيس جامعة أهل البيت(عليهم السلام) العلمية.

---

(١) ضحى الإسلام لاحمد امين: ٢/١٧٨.

(٢) الملل والنحل: ١/١٥٨.

(٣) تاج العروس، مادة رجأ.

(٤) الأغاني: ٧ / ١٥.

١ ـ الخط السياسي للإمام الباقر (عليه السلام)

لقد كان الخيار السياسي للإمام الباقر (عليه السلام) في فترة تصدّيه للإمامة هو الابتعاد عن الصدام والمواجهة مع الأُمويين. وهذا واضح من خلال تصريحه الذي تضمّن بياناً للجوّ السائد وحالة الأُمّة ومستوى وعيها آنذاك حيث قال(عليه السلام): **«إنْ دَعَوْناهم لم يستجيبوا لنا»**(١).

كما نجده فيما بعد يستوعب سياسة الانفتاح والاعتدال التي أبداها عمر ابن عبد العزيز، سواء كان هذا الاعتدال بدافع ذاتي لعلاقته بالإمام (عليه السلام) أم بدافع الضغوط الخارجيّة وخوفه من انهيار الدولة الأُموية.

إنّ الإمام قد رسم خطّه السياسي مع عمر بن عبدالعزيز عبر أُسلوبين:

الأُسلوب الأوّل: التصريح برأيه حول عمر بن عبد العزيز وحكومته قبل تصدّيه للخلافة . فعن أبي بصير، قال: كنت مع أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في المسجد ودخل عمر بن عبدالعزيز وعليه ثوبان ممصّران(٢) متكئاً على مولىً له فقال (عليه السلام): **«لَيَلِيَنّ هذا الغلام** [أي سوف يتولّى السُلطة] **فيظهر العدل ويعيش أربع سنين (كذا) ثم يموت فيبكي عليه أهل الأرض ويلعنه أهل السماء!**

قال أبو بصير: فقلنا: يا ابن رسول الله أليس ذكرت إنصافه وعدله؟!

فقال: **يجلس في مجلسنا ولا حقّ له فيه»**(٣).

الأُسلوب الثاني: اسلوب المراسلة واللقاء. فقد روي أنّ عمر بن

(١) الارشاد، للشيخ المفيد: ٢/١٦٧، ١٦٨ وعنه في مناقب آل أبي طالب: ٤/٢٠٦ وعنهما في بحار الأنوار: ٤٦/٢٨٨.

(٢) الممصّر: الثوب المصبوغ بصفرة خفيفة ـ النهاية: ٤/٣٣٦.

(٣) الخرائج والجرائح: ١/٢٧٦ ح٧ وعنه في بحار الأنوار: ٤٦/٢٥١ و٣٢٧ وعنه في سفينة البحار: ٦/٤٩٥ و٤٩٦.

عبدالعزيز كرّم الإمام أبا جعفر(عليه السلام) وعظّمه وأرسل خلفه فنون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وكان من عُبّاد أهل الكوفة فاستجاب له الإمام(عليه السلام) وسافر إلى دمشق فاستقبله عمر استقبالاً رائعاً واحتفىٰ به وجَرَت بينهما أحاديث وبقي الإمام الباقر(عليه السلام) أيّاماً في ضيافته[1].

وروي أيضاً أنّه كتب عمر للإمام (عليه السلام) بقصد الاختبار فأجابه الإمام برسالة فيها موعظة ونصيحة له[2].

ولكن سياسة الابتعاد عن الصدام المباشر لم تمنع الإمام الباقر (عليه السلام) من أن يقف من الأُمة بشكل عام ومن الأُمويين وهشام بن عبد الملك بشكل خاص موقف التحدي الفكري والعقائدي والعلمي لبيان الحق المغتصب وكشف ستار الباطل الذي كان قد أسدله الحكّام على الحق ورموزه.

فحين حجّ هشام بن عبد الملك بن مروان سنة من السنين وكان قد حجّ في تلك السنة محمّد بن علي الباقر (عليه السلام) وابنه جعفر، قال جعفر بن محمد(عليه السلام) في بعض كلامه: **«الحمد لله الذي بعث محمّداً نبيّاً وأكرمنا به، فنحن صفوة الله علىٰ خلقه وخيرته من عباده فالسعيد من اتّبعنا والشقيّ مَن خالفَنا، ومن الناس من يقول: إنه يتولّانا وهو يتولّىٰ أعدائنا ومن يليهم من جلسائهم وأصحابهم، فهو لم يسمع كلام ربّنا ولم يعمل به ...»**[3].

فبيّن الإمام(عليه السلام) مفهوم القيادة الإلهية ومصداقها الحقيقي والذي كان يمثّلها هو آنئذٍ.

وهذا الطرح وان كان فيه نوع مجابهة صريحة للحاكم وماكان يدور في

---

(١) تاريخ دمشق: ٣٨/٥١.
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/٣٠٥.
(٣) دلائل الامامة: ١٠٤ ـ ١٠٩، بحار الأنوار: ٤٦/٣٠٦.

أذهان الناس لكنه لم يكن مغامرة؛ لأنّ الظرف كان بحاجة إلى مثل هذا الطرح والتوضيح بالرغم من أنه قد أدّىٰ ـ فيما بعد ـ إلى أن يستدعي هشام، الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) إلى الشام.

٢ ـ إكمال بناء الجماعة الصالحة

لم تكن عملية بناء الجماعة الصالحة وليدة عصر الإمام الباقر (عليه السلام) فقد باشرها الرسول(صلى الله عليه وآله) ثم الإمام علي(عليه السلام)، حيث نجد لمالك الأشتر وهاشم المرقال، ومحمد بن أبي بكر، وحجر بن عدي، وميثم التمار، وكميل بن زياد، وعبد الله بن العباس دوراً كبيراً في الصراع الذي خاضه الإمام علي (عليه السلام) مع مناوئيه، وهؤلاء يشكّلون اللبنة الأُولى للجماعة الصالحة في عصر الإمام علي(عليه السلام).

واستمرت عملية البناء هذه بشكل فاعل في عصر الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) ثم تقلّص النشاط المباشر في بناء هذه القاعدة وتوسيعها، ثم استمرّت عملية البناء في العقود الأخيرة من حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام). وتكاملت في عصر الإمام الباقر (عليه السلام) حيث سنحت الفرصة له بأن يتحرّك نحو تطوير الجماعة الصالحة بتوضيح أهدافها التي تمثلت في الدفاع عن المجتمع الإسلامي وحفظ الشريعة الإسلامية من التحريف إلى جانب توسيع القاعدة كمّاً مع تطويرها كيفاً.

ونقتصر فيما يلي على بعض ما قام به الإمام الباقر (عليه السلام) من خطوات:

الخطوة الأُولىٰ: أخذ الإمام (عليه السلام) يعمّق ويوضح صفات الجماعة الصالحة الموالية لأهل البيت (عليهم السلام) ودورها في المجتمع فقد جاء في وصفه لهذه الجماعة قوله (عليه السلام): «**إنما شيعتنا ـ شيعة علي ـ المتباذلون في ولايتنا المتحابون في**

مودتنا، المتزاورون لإحياء أمرنا الذين إذا غضبوا لم يظلموا، وإذا رضوا لم يسرفوا، بركة على مَنْ جاوروا، سلم لمن خالطوا»(١)، وقال أيضاً: «شيعتنا من أطاع الله»(٢).

وبهذا أراد الإمام (عليه السلام) أن يرسّخ الكمالات الإنسانية في جانبي الأخلاق والعبادة التي تعرّضت للضياع طيلة سنوات المحنة، ويوضّح أن الانتماء لخطّ أهل البيت (عليهم السلام) هو بالعمل والتحلي بهذهِ الصفات.

الخطوة الثانية: قام الإمام (عليه السلام) ـ بالإضافة إلى توضيح مستوى الروح الإيمانية التي ينبغي أن يتمتّع بها أفراد الجماعة الصالحة ـ بشحذِ هممها وتربيتها على روح الصبر والمقاومة لكي تمتلك القدرة على مواصلة العمل في سبيل الله ومواجهة التحديات المستمرة وعدم التنازل أمام الإغراءات أو الضغوط الظالمة، فقد جاء في كلامه (عليه السلام) لرجل حين قال له: والله إني لأُحبّكم أهل البيت. فقال (عليه السلام): «فاتّخذ للبلاء جلباباً، فوالله إنه لأسرع إلينا وإلى شيعتنا من السيل في الوادي، وبنا يبدو البلاء ثم بكم، وبنا يبدو الرخاء ثم بكم»(٣).

هكذا رسم الإمام (عليه السلام) معالم الطريق الشائك أمامه، إنه طريق مفروش بالدماء والدموع، والإمام رائد المسيرة على هذا الطريق يصيبه البلاء أوّلاً قبل أن يصيب شيعته.

وقد كان الإمام (عليه السلام) يذكّرهم بمعاناة شيعتهم وأتباعهم قبل هذا الظرف بقوله (عليه السلام): «قتلت شيعتنا بكلّ بلدة وقُطِعت الأيدي والأرجل على الظنة وكان مَن يذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سُجن ونُهب مالُه وهُدِمَت داره»(٤).

ومن الأعمال التي قام بها الإمام (عليه السلام) في بناء الجماعة الصالحة هو إلزام

(١ و ٢) تحف العقول: ٢٩٥ و ٣٠٠.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي: ٩٥، وعنه في بحار الأنوار: ٣٦٠/٤٦.

(٤) حياة الإمام الحسن (عليه السلام) دراسة وتحليل: ٢٥٧/٢.

أتباعه وخاصّته بمبدأ التقيّة حفاظاً عليهم من القمع والإرهاب والإبادة التي طالما تعرّضوا لها. وقد اعتبر هذا المبدأ من الواجبات الشرعية ذات العلاقة بالإيمان، فكان يوصيهم بالتقيّة قائلاً: **«التقيّة من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقيّة له»**[1].

ومن المبادئ التي تتداخل مع التقيّة: مبدأ كتمان السرّ، فقد جاء عنه (عليه السلام) في وصيّته لجابر بن يزيد الجعفي في أوّل لقاء له بالإمام (عليه السلام): **أن لا يقول لأحد أنه من أهالي الكوفة، وليظهر بمظهر رجل من أهل المدينة**... وجابر الجعفي هذا قد أصبح فيما بعد صاحب سرّ الإمام (عليه السلام)، ولشدّة فاعليته وتأثيره في الأُمة أمر هشام بن عبد الملك واليه في الكوفة بأن يأتيه برأس جابر، لكنّ جابراً قد تظاهر بالجنون قبل أن يصدر الأمر بقتله حسب إرشادات الإمام الباقر (عليه السلام) التي كانت تصله سرّاً، فقد جاء في كتاب هشام إلى واليه: أن أُنظر رجلاً يقال له: جابر بن يزيد الجعفي، فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه.

فالتفت الوالي إلى جلسائه فقال لهم: مَن جابر بن يزيد الجعفي؟

قالوا: أصلحك الله، كان رجلاً له علم وفضل وحديث وحجّ فجنّ وهو ذا في الرحبة مع الصبيان على القصب يلعب معهم.

فأشرف عليه فإذا هو مع الصبيان يلعب على القصب. فقال: الحمد لله الذي عافاني من قتله[2].

وكان في هذه المرحلة رجال كتموا تشيّعهم وما رسوا نشاطات مؤثرة في حياة الأُمّة فكريّة وعسكريّة وفقهيّة مع الاحتفاظ بعلاقاتهم. منهم: سعيدبن المسيّب، والقاسم بن محمد، فقد كانا بارزين بين علماء ذلك العصر

(١) أصول الكافي: ٢/ ٢١٩.

(٢) أصول الكافي: ٣٩٦/١ وعنه في بحار الأنوار: ٢٨٢/٤٦.

في الفقه وغيره إلَّا أنّه لم تكن لهم صبغة التشيع الصريح، فقد شاع عن سعيد ابن المسيّب أنه كان يجيب أحياناً برأي غيره من علماء عصره أو برأي من سبقه من الصحابة مخافة أن يصيبه ما أصاب سعيد بن جبير ويحيىٰ بن اُمّ الطويل، وغيرهما ممّن تعرضوا للقتل والتشريد بسبب تشيّعهم.

وهذا موسىٰ بن نصير من رجالات الكوفة العسكريين وزهّادها المؤمنين ممّن عرف بولائه لأهل البيت(عليهم السلام) هو وأبوه نصير، ولقد غضب عليه معاوية؛ إذ لم يخرج معه لصفّين، وموسىٰ هو الذي فتح الفتوحات العظيمة في بلاد المغرب وكان تحت امرته مولاه طارق بن زياد وولده عبد العزيز وبسبب تشيّعه غضب عليه سليمان بن عبد الملك وقبل أن يقتله عرّضه لأنواع العذاب فقتل ولده أمامه وألزمه بدفع مبلغ كبير[1].

وكان لجابر الجعفي وزرارة وأبان بن تغلب وغيرهم دور بالغ في نجاح حركة الإمام الباقر(عليه السلام) الفكرية وأصبحوا فيما بعد النواة لجامعته وبقي هؤلاء بعد وفاته بصحبة ولده الإمام الصادق (عليه السلام) ليمارسوا مسؤولياتهم بحجم أكبر كما سيأتي توضيحه.

٣ ـ تأسيس جامعة أهل البيت (عليهم السلام)

لقد أصبح تشكيل النواة الاُولى لجامعة علمية إسلامية في هذه المرحلة ضرورة حضارية لمواجهة التحدّي الحاضر ونسف البنىٰ الفكرية لكل الاطروحات السابقة التي وجدت في ظروف المحنة مناخاً مناسباً لبثّ أفكارها.

انّ من الضروري وجود تيارٍ فكري يبلور الأفكار الإسلامية الأصيلة

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢/٢٩٤.

ويعبّئ بها ذهن الأُمة ويفوّت الفرصة على الظالمين في حالة تبدّل الظروف.

ويمكن تلخيص الأسباب التي شكّلت عاملاً مهمّاً في التهيئة لنجاح هذه الجامعة فيما يلي :

١ ـ لقد أُبعدت الأُمة عن تبنّي أفكار الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) وفقههم أكثر من قرن وبقيت تتناقله الخواصّ في هذه الفترة عن طريق الكتابة والحفظ شفاهاً وبالطرق السرّية.

٢ ـ في هذه الفترة طرحت على العالم الإسلامي تساؤلات فكرية ومستجدّات كثيرة لم تمتلك الأُمّة لها حلّاً بسبب اتّساع البلاد الإسلامية وتبدّل الظروف وحاجات المسلمين.

٣ ـ شعر المسلمون في هذا الظرف بأهمّية البحث عن مبدأ فكري يتكفّل حلّ مشكلاتهم؛ لأنّ النصّ المحرّف واجتهادات الصحابة أصبح متخلّفاً عن المواكبة بل أصبح بنفسه مشكلة أمام المسلم لتعارضه مع العقل والحياة.

٤ ـ في هذا العصر ظهرت مدارس فكرية متطرّفة مثل مدرسة الرأي القائلة بالقياس والاستحسان. زاعمة أنّ النصوص التي نقلت عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قليلة[1] لا تفي بالغرض، الأمر الذي تسرّب فيه العنصر الذاتي للمجتهد ودخل الإنسان بذوقه الخاص إلى التشريع[2]، كما ظهرت مدرسة الحديث قبال

---

(١) هذا في غير مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) الذين حرصوا على نقل تراث الرسول (صلى الله عليه وآله) وواجهوا منع تدوين السنّة النبوية بالحثّ على التدوين والنقل والتعليم لئلّا تندرس معالم الدين.

للمزيد يراجع ج١ من دروس في فقه الإمامية للدكتور الشيخ الفضلي، ومقدمتي القول السديد في الاجتهاد والتقليد، والروضة البهية، للشيخ الآصفي، وتدوين السنة الشريفة للسيد الحسيني الجلالي.

(٢) فقد عرف عن أبي حنيفة أنه لم يصح عنده من أحاديث الرسول الفقهية سوى سبعة عشر حديثاً. راجع الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ٢٩٦/١ نقلاً عن مقدمة ابن خلدون: ٣٧٢.

مدرسة الرأي والتي عرفت بالجمود على ظاهر النص ولم تتفرّغ لتمييز صحيح النصوص من غيره.

٥ ـ غياب القدوة الحسنة والجماعة الصالحة التي تشكّل مناخاً لنموّ الفضيلة وزرع الأمل في نفوس الأُمّة باتّجاه الأهداف الربّانيّة.

في هذا الظرف الذي ذهب فيه الخوف واستطاع المسلم أن يبحث عن المعرفة وعن حلٍّ لمشكلاته الفكرية، قام الإمام الباقر (عليه السلام) بتشكيل حلقاته العلمية في مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) فكان وجوده (عليه السلام) مركز جذب لقلوب طلّاب الحقيقة فالتفّ حوله صحابة أبيه الإمام زين العابدين(عليه السلام)، وبدأ منذ ذلك الحين بالتركيز على بناء الكادر العلمي آملاً أن يواجه به المشكلات الفكرية التي بدأت تغزو الأُمّة المسلمة. وكان يشكّل هذا الكادر فيما بعد الأرضية اللازمة لمشروع الإمام الصادق (عليه السلام) المرتقب فتناول الإمام (عليه السلام) أهمّ المشكلات الفكرية التي كان لها ارتباط وثيق بحياة الناس العقائدية والأخلاقية والسياسية.

وزجّ الإمام بكادره العلمي وسط الأُمة بعد أن عبّأه بكل المؤهّلات التي تمكنهُ من خوض المعركة الفكرية حينما قال لأبان بن تغلب: **«جالس أهل المدينة فانّي أحبّ أن يرىٰ في شيعتنا مثلك»**[1].

وعندما يدرك الاصحاب مغزى هدف الإمام من هذا التوجيه وضرورة الحضور مع الناس يتصدّىٰ هؤلاء بأنفسهم لمعالجة المشكلات الفكرية وإبطال الشبه عن طريق الحوار والمناظرة حسب الخطّ الذي رسمه لهم الإمام (عليه السلام) في وقت سابق.

---

(١) اختيار معرفة الرجال للكشي: ٦٢٢/٢، ح ٦٠٣ مولى بني جرير، وعن رجال النجاشي: ١٠، حرف الألف برقم ٧: **«اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس فإنّي أحبّ أن يُرى في شيعتي مثلك»**.

قال عبد الرحمن بن الحجّاج: كنّا في مجلس أبان بن تغلب فجاء شاب فقال له: يا أبا سعيد أخبرني كم شهد مع علي بن أبي طالب من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله)؟ وأدرك أبان مراده فانبرىٰ قائلاً: كأنك تريد أن تعرف عليّاً بمن تبعه من أصحاب رسول الله؟ فقال هو ذاك .

فأجابه أبان : والله ما عرفنا فضلهم ـ أي الصحابة ـ إلّا باتّباعهم إيّاه.

وتعميقاً لهذا التوجيه وبنفس السياق يبادر محبوب أهل البيت(عليهم السلام) ولسانهم مؤمن الطاق ليواجه أفكار الخوارج ويردّ على جرأتهم في التشكيك بموقف الإمام علي (عليه السلام) من مسألة التحكيم[1].

فقد دخل مؤمن الطاق علىٰ بعض زعماء الخوارج في الكوفة فقال له: أنا علىٰ بصيرة من ديني وقد سمعتك تصف العدل فأحببت الدخول معك، فقال الخارجي لأصحابه: إن دخل هذا معكم نفعكم.

فقال له مؤمن الطاق: لِمَ تبرأتم من عليّ بن أبي طالب واستحللتم قتله وقتاله؟

فأجابه الخارجي: لأنّه حكّم الرجال في دين الله.

فقال له: وكلّ من حكّم في دين الله استحللتم قتله ؟

فأجاب الخارجي: نعم.

فقال له: أخبرني عن الدين الذي جئت أُنظارك به لأدخل معك فيه، إن غلبت حجتي حجتك، من يوقف المخطئ منّا عن خطئه ويحكم للمصيب بصوابه ؟

فأشار الضحّاك إلى رجل من أصحابه وقال: هذا هو الحكم بيننا.

---

(١) معجم رجال الحديث : ٢١/١ ـ ٢٢ وتنقيح المقال: ٤/١.

هنا توجه مؤمن الطاق إلى من كان حاضراً من الخوارج وقال: زعيمكم هذا قد حكّم في دين الله[1]. وهكذا أفحمهم بحجّته البالغة ومنطقه القويم.

وقبل أن ننتهي من حياة الإمام الباقر(عليه السلام) نشير إلى ثلاث وقائع تاريخية لها صلة بالمرحلة التي سوف يتصدىٰ لها الإمام الصادق(عليه السلام).

الواقعة الأُولى : ان هشام بن عبد الملك هو واحد من الحكّام الأُمويين الّذين نصبوا العداوة لأهل البيت(عليهم السلام)، بل نراه قد زاد على غيره حتّى أنه على أثر الخطبة التي خطبها الإمام الصادق (عليه السلام) في مكة والتي أوضح فيها معنىٰ القيادة ولمن تكون القيادة، يأمر هشام فور رجوعه إلى الشام بجلب الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) إلى دمشق لغرض التنكيل بهما.

وبعد اللقاء بهشام تفوّق الإمام الباقر (عليه السلام) في البلاط الأُموي في الحوار الذي أجراه مع هشام ثم حواره مع عالم النصارى في الشام ، يسمح لهما هشام بالرجوع إلى المدينة ولكنّه يأمر أمير (مدين) ـ وهي المدينة الواقعة في طريقهما ـ بإيذائهما فقد جاء في رسالته: إنّ ابني أبي تراب الساحرين محمّدبن علي وابنه جعفر الكذابين فيما يظهران من الإسلام، قد وردا عليّ فلما صرفتهما إلى المدينة مالا إلى القسيسين والرهبان من كفّار النصارى، وتقربا إليهم بالنصرانية فكرهت أن أُنكّل بهما لقرابتهما، فإذا قرأت كتابي هذا فنادِ في الناس: برئت الذمّة ممّن يشاربهما، أو يبايعهما، أو يصافحهما، أو يسلّم عليهما فإنّهما قد ارتدّا عن الإسلام، ورأىٰ أمير المؤمنين أن تقتلهما ودوابهما وغلمانهما ومن معهما شرّ قتلة والسلام[2].

ولم يترك هشام الإمام الباقر(عليه السلام) حُرّاً يتحرّك في المدينة، ولم يسترح

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ٢/ ٧٢.

(٢) دلائل الإمامة: ١٠٤ـ ١٠٩ وعنه في بحار الأنوار: ٤٦ / ٣٠٦.

من تواجده في الساحة الإسلامية حتّى أقدم على قتله غيلةً بالسمّ سنة (١١٤ هـ)[١].

الواقعة الثانية: في هذه الفترة تحفّز زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام) وصمّم على الثورة ضد هشام بن عبد الملك على أثر تصرّفات الأُمويين، ولا سيّما تصرّف هشام المهين بحقّ زيد، والنيل من كرامته، وماكان يفعله هشام بحقّ الشيعة بشكل خاص.

لقد دخل زيد على هشام فسلّم عليه بالإمرة فلم يردّ السلام إهانةً له، بل أغلظ في الكلام ولم يفسح له في المجلس.

فقال زيد: السلام عليك يا أحول، فإنّك ترىٰ نفسك أهلاً لهذا الاسم. فغضب هشام وجرت بينهما محاورة كان نصيب هشام فيها الفشل، وخرج زيد وهو يقول: ماكره قومٌ حرّ السيوف إلّا ذلّوا.

وأمر هشام بردّه. وقال له: اُذكر حوائجك فقال زيد: أما وأنت ناظر على اُمور المسلمين فلا. وخرج من عنده وقال: مَن أحبّ الحياة ذلّ[٢].

ومضى زيد إلى الكوفة ثمّ خطّط للثورة واستشار بذلك الإمام الباقر (عليه السلام).

قال الإمام الصادق (عليه السلام): **إنّ عمي أتى أبي فقال إني أريد الخروج على هذا الطاغية.**

ولمّا أزمع على الخروج أتاه جابر بن يزيد الجعفي فقال له: إني سمعت أخاك أبا جعفر يقول: **إن أخي زيد بن علي خارج ومقتول وهو على الحق فالويل لمن خذله، والويل لمن حاربه، والويل لمن يقتله.**

فقال له زيد: يا جابر لم يسعني أن أسكت وقد خولف كتاب الله تعالىٰ

(١) شذرات الذهب: ١٤٩/١ تاريخ ابن الاثير: ٢١٧/٤ طبقات الفقهاء: ٣٦.

(٢) تاريخ الطبري: حوادث سنة (١٢١) وتاريخ ابن عساكر: ٦ / ٢٢ ـ ٢٣.

وتحوكم بالجبت والطاغوت[1].

الواقعة الثالثة: لمّا قربت وفاة الإمام محمّد الباقر(عليه السلام) دعا بأبي عبد الله جعفر الصادق (عليه السلام) فقال له: **إن هذه الليلة التي وعدت فيها.** ثم سلّم إليه الاسم الأعظم ومواريث الأنبياء والسلاح وقال له: **يا أبا عبد الله ، الله الله في الشيعة!** فقال أبو عبد الله: **لا تركتهم يحتاجون إلى أحد...**[2].

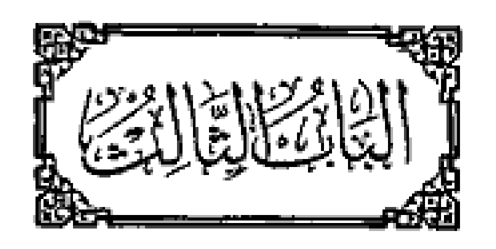
بهذا العرض ننتهي من تصوير حياة الإمام الصادق مع أبيه الباقر(عليهما السلام) لتبدأ مرحلة تصدّيه للإمامة، وبها يبدأ عصر جديد من العمل والجهاد والاصلاح.



(١) راجع تيسير المطالب : ١٠٨ ـ ١٠٩.

(٢) اثبات الهداة: ٥/ ٣٣٠.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



فيه فصول :



الفصل الأول :

ملامح عصر الإمام الصادق (عليه السلام)

الفصل الثاني :

دور الإمام (عليه السلام) في تثبيت معالم الرسالة

الفصل الثالث :

دور الإمام (عليه السلام) في بناء الجماعة الصالحة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفَصلُ الأوّلُ

ملامح عصر الإمام الصادق (عليه السلام)

(١١٤ـ ١٣٢هـ)

تصدّىٰ الإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام) لموقع الإمامة بعد أبيه محمد الباقر (عليه السلام) سنة (١١٤هـ) فكان مرجعاً في الدين والسياسة والفكر والثقافة للمسلمين عامة ولأتباع أهل البيت (عليهم السلام) بشكل خاص.

وهذا الأمر نجده واضحاً في جوابه لأبيه عند ما أوصاه بصحابته وخاصّته. قال الإمام الصادق (عليه السلام): **لما حضرت أبي الوفاة قال: يا جعفر أُوصيك بأصحابي خيراً. قلت: «جعلت فداك والله لأدعنّهم والرجل منهم يكون في مصر فلا يسأل أحداً»**[1].

بهذا المستوىٰ العالي من الإقدام الشجاع أعرب الإمام (عليه السلام) عن نواياه وبرنامجه الذي أعدّه لمستقبل الشيعة في ظل إمامته والخطة التي تؤهلهم لأن يكونوا ذلك النموذج السامي في المجتمع الإسلامي حيث يتحرّك كلٌّ منهم برؤىٰ واضحة المسار، بلا فوضىٰ في الاختيار ولا ضلالة في الفكر والسلوك؛ لأنّ هذا الإعداد العلمي والثقافي يجعلهم أغنياء عن الأخذ من غيرهم ويرتقي

(١) الارشاد: ١ / ٤٠، وعنه في بحار الأنوار: ٤٧ / ١٢.

بهم إلى مستوى استغنائهم عن سؤال أحد من المسلمين وغير المسلمين ماداموا قد تمسكوا بالحبل المتصل بالله وهو حبل أهل بيت الرسالة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

وكان الإمام الباقر (عليه السلام) قبل هذا الوقت قد هيّأ الشيعة وأعدّهم لأخذ معالم الشريعة من الإمام الصادق (عليه السلام) عندما قال: «**اذا افتقدتموني فاقتدوا بهذا فإنّه الإمام والخليفة بعدي** وأشار إلى إبنه جعفر»[1].

وباشر الإمام الصادق (عليه السلام) مسؤولياته بدءً بالتعريف بإمامته وإثباتها بشكل علمي وعملي.

جاء عن عبد الرحمن بن كثير: أنّ رجلاً دخل المدينة يسأل عن الإمام، فدلّوه على عبد الله بن الحسن، فسأله هنيئة ثمّ خرج، فدلّوه على جعفر بن محمد (عليه السلام) فقصده فلمّا نظر إليه جعفر (عليه السلام) قال: «**يا هذا إنّك كنتَ دخلتَ مدينتنا هذه، تسأل عن الإمام، فاستقبلك فتية من ولد الحسن فأرشدوك إلى عبد الله بن الحسن، فسألته هنيئة ثم خرجت، فإن شئت أخبرتك عمّا سألته، وما ردّ عليك. ثم استقبلك فتية من ولد الحسين، فقالوا لك: يا هذا إن رأيت أن تلقىٰ جعفر بن محمد فافعل** فقال: صدقت كان كما ذكرت»[2].

وهكذا أخذ الإمام (عليه السلام) يمارس ألواناً من الأساليب لئلا يضيع أتباع أهل البيت بين القيادات المتعدّدة إلى أن تبلور في الأذهان أنّ الإمام جعفر بن محمد(عليه السلام) هو الرمز الإلهي والقائد الحقيقي للأُمة بعد

(١) كفاية الأثر: ٢٥٤، وبحار الأنوار: ٤٧ / ١٥.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ٢٤١/٤ وعنه في بحار الأنوار: ١٨٤/٢٥، و ١٢٥/٤٧.

أبيه الباقر(عليه السلام).

واستمرّ الإمام بتعزيز خطواته فتحرّك بأُسلوب آخر بغية تعميق العلاقة بينه وبين الوجود الشيعي الذي أعدّ تفاصيله ورسم معالمه الإمام الباقر (عليه السلام).

ومن هنا نجد الإمام الصادق (عليه السلام) يشحذ هممهم ويثير في نفوسهم الحماس ويخاطب مواطن الخير والقوة فيها مشيراً إلى أنّ الكثرة من الناس قد خذلتهم وجهلت حقّهم. وإنّ المسلم الذي تحمّل ساعة الشدة وبقي ملازماً لهم حتّى صقلته التجارب ولم يستجب للإغراءات لهو جدير بحمل الأمانة ومواصلة الطريق معهم.

ولنقرأ النص الثاني الذي يرتبط بجماعة موالية لأهل البيت(عليهم السلام) قدمت من الكوفة ودخلت على الإمام الصادق (عليه السلام) في المدينة بعد استشهاد أبيه. قال عبد الله بن الوليد: دخلنا على أبي عبد الله (عليه السلام) في زمن بني مروان، فقال ممن أنتم؟ قلنا: من الكوفة. قال: **ما من البلدان أكثر محبّاً لنا من أهل الكوفة، لا سيّما هذه العصابة[1]، إنّ الله هداكم لأمر جهله الناس فأحببتمونا وأبغضنا الناس، وبايعتمونا وخالفنا الناس، وصدّقتمونا وكذّبنا الناس، فأحياكم الله محيانا، وأماتكم مماتنا**[2].

بعد هذا العرض الموجز للمرحلة التي انتهى منها الإمام الباقر(عليه السلام) وبدأها الإمام الصادق(عليه السلام)، لابدّ أن نقف على ملامح عصر الإمام الصادق(عليه السلام) في شتى النواحي والمجالات.

---

(١) يقصد الشيعة لأنها أخص.

(٢) امالي الشيخ الطوسي : ١٤٤ ح ٢٣٤ و٦٧٨ ح ١٤٤٠ وعنه في بحار الأنوار: ٦٨/ ٢٠ ح ٣٤.

١ ـ الوضع السياسي

لم يكن الوضع السياسي الذي يريد أن يتحرّك في وسطه الإمام الصادق (عليه السلام) قد تبدّل. فهشام بن عبد الملك الذي أقدم على اغتيال الإمام الباقر (عليه السلام) لازال هو الحاكم وسياسته مع الإمام الصادق(عليه السلام) وشيعته هي السياسة نفسها وهي سياسة قائمة على أساس الحقد الجاهلي وتتلخّص في التشريد والاضطهاد.

إنّ زيد بن علي(رضي الله عنه) قد كشف لنا عمق المأساة التي كانت تعيشها الأُمة آنذاك، حين تعرّض في زمن الإمام الباقر (عليه السلام) لإذلالٍ وتوهين من قبل هشام باعتباره أحد رجال الشيعة ومن رموزها البارزين.

أخذ زيد يزداد قناعة بضرورة الثورة ضد الأُمويين حتى صمّم على ذلك بلا تردّد، وبدوافع إسلامية خالصة.

قد مرّ أن جابر بن يزيد الجعفي حين أوضح ليزيد رأي أخيه الباقر(عليه السلام) بثورته وسلامة قراره وذكر له أنه مقتول لا محالة. قال له زيد :

يا جابر لم يَسَعني أن أسكت، وقد خولف كتاب الله وتحوكم بالجبت والطاغوت، وذلك أنّي شاهدت هشاماً ورجل عنده يسبّ رسول الله. فقلت للساب: ويلك ياكافر! أما إني لو تمكّنت منك لاختطفتُ روحَك وعجّلتك إلى النار. فقال لي هشام: مَه، جليسنا يا زيد!

ثم قال زيد لجابر: فوالله لو لم يكن إلّا أنا ويحيى ابني لخرجت عليه وجاهدته حتّى أفنى[1].

---

(١) حياة الإمام محمّد الباقر، دراسة وتحليل : ٧٢/١.

والرواية التالية أيضاً تصوّر لنا حقيقة دوافع زيد ومدى عزمه على مناهضة بني أُميّة:

فعن محمّد بن عمر بن علي (عليه السلام) قال: كنت مع زيد بن علي (عليه السلام) حين بعث بنا هشام إلى يوسف بن عمر، فلمّا خرجنا من عنده وسِرنا حتى كنّا بالقادسية قال زيد: اعزلوا متاعي عن أمتعتكم، فقال له ابنه: ما تريد أن تصنع؟ قال: أُريد أن أرجع إلى الكوفة، فوالله لو علمت أنّ رضى الله عزّ وجلّ عَنّي في أن أقدح ناراً بيدي حتّى إذا اضطرمت رميتُ نفسي فيها لفعلت، ولكن ما أعلم شيئاً لله عزّ وجلّ عني أفضل من جهاد بني أُميّة[1].

والتحق بزيد كثير من الفقهاء والمحدثين والقضاة من أصحاب الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)[2].

وعندما قرّر الثورة، لم يتجاوز إمام عصره حيث طرح الأمر على الإمام الصادق (عليه السلام).

قال الإمام موسى الكاظم(عليه السلام): سمعت أبي يقول: **رحم الله عمّي زيداً... لقد استشارني في خروجه، فقلت لهُ: يا عمّ إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك**[3].

وهكذا أقرّ الإمام الصادق (عليه السلام) سلامة قراره كما أخبره بنبأ شهادته.

أمّا توجيهات الإمام الصادق (عليه السلام) للمخلصين من أصحابه حيال الثورة بشكل عام فكانت من نوع آخر حيث لا يريد الإمام (عليه السلام) أن يلقي بكلّ ثقل

---

(١) تيسير المطالب: ١٠٨ ـ ١٠٩.

(٢) راجع كتاب زيد الشهيد للسيد عبد الرزاق المقرم حيث تجد قائمة بأسماء الشخصيات التي شاركت مع زيد في ثورته.

(٣) الكناسة اسم محلة بالكوفة. راجع الاحتجاج: ٢/١٣٥، بحار الأنوار: ٤٦/١٧٤، مسند الإمام الرضا: ٢/٥٠٥.

وجوده في معركة واحدة.

فعن أبي بكر الحضرمي أنه قال: ذكرنا أمر زيد وخروجه عند أبي عبدالله (عليه السلام) فقال: **«عمّي مقتول. إن خرج قُتِل، فقرّوا في بيوتكم، فوالله ما عليكم بأس»**، فقال رجل من القوم: إن شاء الله[١].

زيد يعلن الثورة

وجمع زيد بن علي الأنصار والدعاة فأعلن ثورته والتحق به عدد غفير. لكن المتتبّع للوضع السياسي والأخلاقي لتلك المرحلة، يرىٰ أنّ الاضطراب العقائدي والأخلاقي كان سمة من سمات ذلك العصر بالرغم من وجود قناعة كانت تعيشها الأُمّة وهي التذمّر من بني أُمية وجورهم من جهة وتوجّههم إلى أنّ البديل السياسي المرتقب هو الخط العلوي الذي كافح الظلم وتحمّل ألوان العذاب من الحكم الأُموي المنحرف. لكن هاتين القناعتين ـ كما سترىٰ ـ لا تفيان بكامل الشروط الموضوعية لنجاح الثورة.

غير أنّ الثورة علىٰ مستوىٰ حاجة مسيرة الأُمة تعتبر ضرورة اجتماعية وسياسية لئلا تتنازل الأُمة مطلقاً للظالمين عن حقوقها وشخصيتها ولتحافظ على هويّتها الإسلامية من حيث الحيوية والحساسية ضد الباطل بشكل عام.

من هنا كان العمل الثوري مفيداً للأُمة وإن لم تنجح الثورة على المدى القريب. وهكذا نجد الإمام (عليه السلام) مع علمه بنتائج الثورة يعمّق هذا المفهوم في

(١) كشف الغمة: ١٩٨/٢ ـ ١٩٩، بحار الأنوار: ١٤٨/٤٧.

نفوس الشيعة ويدعم الثّوار كما سنرى.

لقد فَجّر زيد ثورته وحقّق نصراً حاسماً ضدّ الأُمويين بعد ان خاض حرباً طاحنة كادت أن تنتهي لصالح زيد لولا وقوع الفتنة في صفوف أتباعه حيث احتال عليه بعض من كان يهوى هشاماً فدخلوا عليه وقالوا: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال زيد: رحم الله أبا بكر وعمر صاحبي رسول الله(صلى الله عليه وآله) ثم قال: أين كنتم قبل اليوم؟

لقد كان الغرض من إلقاء السؤال في ذلك الموقف الحرج وفي ساحة الحرب هو أحد أمرين وفي كليهما نجاح تلك الخدعة وتحقيق تلك المؤامرة، فإما أن يتبرّأ زيد من الشيخين فيكون حينئذٍ أقوى لقتل زيد؛ لأنه يسيء القول في الشيخين وتلك وسيلة اتّخذها الأُمويون ومن بعدهم للقضاء على خصومهم. وإمّا أن لا يتبرّأ ممن ظلم أهل البيت حقّهم فيكون جوابه على أيّ حال سبباً لايجاد الخلاف بين أصحابه.

وبالفعل نجحت المؤامرة وتفرّق أهل الغدر وذوو الأطماع وكانت هذه الحيلة من الوالي يوسف بن عمر أقوىٰ سلاح لجأ إليه، كما أغرى بعض جواسيسه بالأموال ليتعرّف علىٰ أصحاب زيد[1].

وخذل زيد وتفرّق جيشه حتىٰ قال: أراها حسينية. وبعد قَتله حملت جثته وصلبت بالكناسة بالكوفة[2] وذلك في سنة (١٢١ هـ).

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٢٧٧/٨.

(٢) أنساب الأشراف: ٣ / ٤٣٩ و ٤٤٦، والنزاع والتخاصم للمقريزي: ٣١.

موقف الإمام الصادق (عليه السلام) من ثورة زيد

يقول مهزم الأسدي دخلت على الإمام الصادق (عليه السلام) فقال: «**يا مهزم ما فعل زيد؟**» قال: قلت: صلب، قال: «**أين؟**» قلت: في كناسة بني أسد. قال: «**أنت رأيته مصلوباً في كناسة بني أسد؟**» قال: قلت: نعم، فبكى حتّى بكت النساء خلف الستور[1].

نجد الإمام الصادق (عليه السلام) في مواقف متعدّدة يتبنّى الدفاع عن عمّه زيد ويترحّم عليه ويوضح منطلقاته وأهدافه ويرسّخ في النفوس مفهوماً اسلامياً عن ثورته حيث يعتبر هذه الثورة جزءاً من حركة الإمام (عليه السلام) وليس حدثاً خارجاً عنها، كما نجده يردّ على الإعلام المضادّ للثورة ضمن عدّة مواقف وتصريحات:

١ ـ يقول الفضيل بن يسار: بعد قتل زيد ذهبت إلى المدينة لألتقي بالإمام الصادق (عليه السلام) وأخبره بنتائج الثورة، وبعد أن التقيته وسمع منّي مادار في المعركة قال: **يا فضيل شهدت مع عمّي قتال أهل الشام؟** قلت: نعم. قال: **فكم قتلتَ منهم؟** قلتُ: ستة. قال: **فلعلّك شاكٌّ في دمائهم؟** قال: فقلت: لو كنت شاكّاً ما قتلتهم. ثمّ قال: سمعته يقول: **أشركني الله في تلك الدماء، مضى واللهِ زيدٌ عمّي وأصحابه شهداء، مثل ما مضى عليه عليّ بن أبي طالب وأصحابه»**[2].

٢ ـ يقول عبد الرحمن بن سيّابه: دفع إليّ أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) ألف دينار وأمرني أن أقسّمها في عيال مَن أصيب مع زيد بن علي بن الحسين (عليهما السلام)، فقسّمتها فأصاب عبد الله أخا الفضيل الرسّان أربعة

---

(١) أمالي الطوسي: ٢/ ٦٧٢، بحار الأنوار: ٤٦/ ٢٠١.

(٢) أمالي الصدوق : ٢٨٦.

دنانير(١).

هكذا كان الإمام (عليه السلام) يتابع ثورة عمّه زيد ويتحمّل نتائجها وأعباءها. وتكشف لنا الروايتان عن مستوىٰ العلاقة القائمة بين الإمام (عليه السلام) والشيعة الثائرين عندما يأمر أحدهم بإحصاء عوائل الشهداء وتوزيع المال عليهم.

٣ـ أمر الإمام (عليه السلام) شيعته بدفن زيد، لأنّ الأُمويين كانوا قد علّقوه علىٰ أعواد المشانق، قال سليمان بن خالد: سألني الإمام الصادق (عليه السلام) فقال: **ما دعاكم إلى الموضع الذي وضعتم فيه زيداً؟** قلت: خصال ثلاثة: أما إحداهنّ فقلّة من تخلّف معنا(٢) إنّما كنا ثمانية نفر، أمّا الأُخرى فالذي تخوّفنا من الصبح أن يفضحنا، وأما الثالثة فإنّه كان مضجعه الذي كان سبق إليه فقال: **كم إلى الفرات من الموضع الذي وضعتموه فيه؟** قلت: قذفة حجر. فقال: **سبحان الله أفلا كنتم أو قرتموه حديداً وقذفتموه في الفرات وكان أفضل؟**(٣)

الإمام (عليه السلام) وهشام بن عبدالملك

في هذا الجوّ المشحون بتزاحم الإرادات وحدوث تمرّد على الحكومة هنا وهناك، خصوصاً بعد ثورة زيد (رضي الله عنه) والإمام الصادق (عليه السلام) مشغول بترتيب أوضاعه الرساليّة، والتهم تثار ضدّ الشيعة تارة بالخروج علىٰ السلطان وأُخرىٰ بالزندقة وجواز سبّ الخلفاء، يدخل هشام إلى المدينة ويستقبله بنو العباس بالشكوىٰ علىٰ الإمام الصادق (عليه السلام) بأنه أخذ تركات ماهر الخصي دوننا. هنا يخطب أبو عبد الله الصادق(عليه السلام) فيقول: **كان أبوكم طليقنا وعتيقنا وأسلم كارهاً تحت سيوفنا، لم يهاجر إلى الله ورسوله هجرة قط فقطع الله ولايته منّا بقوله: ﴿والّذين آمنوا ولم**

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٧٥.

(٢) أي من اتباع زيد فان بعضهم قتل وبعضهم هرب.

(٣) الكافي: ٨ / ٢٥٠ ـ ٢٥١ ح ٣٥١.

يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء﴾[١] ثم قال: **هذا مولىً لنا مات فحُزنا تراثه، إذ كان مولانا، ولأنّا ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأُمّنا فاطمة أحرزت ميراثه**[٢].

وبعد موت هشام بن عبد الملك تولّىٰ الخلافة الوليد بن يزيد سنة (١٢٥ هـ) وكان يسمّى بالفاسق إذ لم يكن في بني أُميّة أكثر إدماناً للشراب والسماع ولا أشد مجوناً وتهتّكاً واستخفافاً بأمر الأُمّة منه، حتّى إنه واقع جارية له وهو سكران وجاءه المؤذّنون يؤذنونه بالصلاة فحلف أن لا يصلّي إلّا هي، فلبست ثيابه، وصلّت بالمسلمين وهي جنب وسكرانة.

وكان قد اصطنع بِركة من الخمر، فكان إذا طرب ألقى نفسه فيها وكان يشرب منها حتّى يبين النقص في أطرافها[٣].

ومماكان من فسقه أنه نكح أمّهات أولاد أبيه، وتفاءل يوماً بالمصحف الكريم فخرجت الآية: **﴿واستفتحوا وخاب كلّ جبّار عنيد﴾** فمزّق المصحف وأنشأ يقول:

أتوعد كلّ جبّارٍ عنيد فها أنا ذاك جبّارٌ عنيد
إذا ما جئت ربّك يوم حشر فقل يا ربّ مزّقني الوليد[٤]

وقد تمادىٰ في الغيّ حتّى قال له هشام: ويحك والله ما أدري أعلى دين الاسلام أنتَ أم لا ؟!

بداية الانفلات

لم تكن هذه اللحظات التأريخية من حياة الأُمّة التي بدأت فيها بالمطالبة

---

(١) الأنفال (٨): ٧٢.

(٢) المناقب لأبن شهر آشوب: ٣٢١/١، وبحار الأنوار: ١٧٦/٤٧ ح ٢٢.

(٣) حياة الحيوان: ٧٢/١.

(٤) مروج الذهب: ٢١٦/٣.

بإزاحة بني أُميّة من مركز الحكم لتتحقق بشكل عفوي، وانما جاءت نتيجةً لفعاليات ثورية بدأت من ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، واستمرّت حتّى ثورة زيد التي أطاحت بهيبة هشام بن عبد الملك الأُموي وطغيانه.

وفي هذا الظرف كتب عامل الوليد بن يزيد في خراسان: بتردّي الأوضاع وحدوث ثورات فأجابه: إني مشغول بالعريض ومعبد وابن أبي عائشة، وهم المغنّون الّذين كان قد أحضرهم عنده [1].

وقد صرّح الإمام الصادق (عليه السلام) بعاقبة هذا الانحدار والتردّي والتمرّد على حرمات الله قائلاً: «**إن الله عزّ ذكره، أذن في هلاك بني أُمية بعد إحراقهم زيداً بسبعة أيّام**»[2].

وكان الوليد هو الذي أمر بإنزال جثمان زيد الشهيد ـ بعد أن بقي أربع سنوات على أعواد المشانق ـ وأمر بإحراقه. وكان تشديد الحراسة من السلطة على جثمان زيد ـ خشية إنزاله من قبل العلويين ـ دليلاً على وجود فعّاليات منظّمة ضد الحكم القائم، وكان الإمام الصادق (عليه السلام) يعاتب الشيعة على عدم تصدّيهم لإنزال جثمان زيد الشهيد.

وعندما اشتدّت المعارضة كتب الوليد إلى عامله في الكوفة يوسف بن عمر: خُذ عجل أهل العراق فأنزله جذعه (يعني زيد بن علي (عليه السلام)) وأحرقه بالنار ثم انسفه في اليمّ.

ونفّذ يوسف ما أمره سيّده فأحرق جسد زيد بن علي وذرّه في نهر الفرات[3].

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي: ١٧٨/٥.

(٢) الكافي: ١٦١/٨، وتفسير العياشي: ٣٢٥/١.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٩١، والطبري: ٨ / ١٢٢، وابن الأثير: ٥ / ١٢٧

الإمام الصادق (عليه السلام) يشيد بثورة عمّه زيد

كانت السلطة الحاكمة عندما تريد الانتقام من خصومها تلقي عليهم تهماً مستهجنة في نظر عامّة الناس، مثل شقّ عصا المسلمين، وتهمة الزندقة لتكون مسوّغاً لاستباحة دمائهم وتحشيد البسطاء من الناس عليهم.

ومن هنا قالوا بأن ثورة زيد بن علي (عليه السلام) هي خروج على سلطان زمانه «هشام بن عبد الملك» المفروضة طاعته من قبل الله! لأهداف كان يريدها زيد لنفسه.

وهذا الاتّهام قد ردّ عليه الإمام الصادق (عليه السلام) وحاربه حين قال: **لا تقولوا خرج زيد، فإنّ زيداً كان عالماً صدوقاً، ولم يدعُكم إلى نفسه، إنّما دعاكم إلى الرضيّ من آل محمّد (صلى الله عليه وآله)، ولو ظفر لَوَفى بما دعاكم إليه، إنّما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه**[1].

وحدث حوار بين يحيىٰ بن زيد ورجل شيعي وكان الرجل يستفهم عن موقف زيد من يحيىٰ بن زيد. قال الرجل: قلت: يابن رسول الله إنّ أباك قد ادّعى الإمامة وخرج مجاهداً، وقد جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيمن ادّعى الإمامة كاذباً! فقال: مَه يا عبد الله. إنّ أبي كان أعقل من أنْ يدّعي ما ليس له بحق، وإنّما قال: أدعوكم إلى الرضيّ من آل محمّد (صلى الله عليه وآله) عنىٰ بذلك ابن عمي جعفراً. قلت: فهو اليوم صاحب الأمر؟ قال: نعم هو أفقه بني هاشم[2].

مقتل يحيىٰ بن زيد

وفي أيام الوليد بن يزيد قتل يحيىٰ بن زيد أيضاً، وذلك أنّ يحيىٰ خرج من الكوفة بعد مقتل أبيه وتوجّه إلى خراسان، فسار إلى الري، ومنها أتىٰ

---

(١) الحور العين: ١٨٨.

(٢) السرائر، الحاوي لابن ادريس الحلّي: (المستطرفات) ٣ / ٥٥٠ فما بعدها.

سرخس، ثم خرج ونزل بلخ على الحريش بن عبد الرحمن الشيباني ولم يزل عنده حتّى هلك هشام وولي الوليد(١).

وكتب والي الكوفة إلى نصر بن سيار يخبره بأنّ يحيىٰ بن زيد موجود في منزل الحريش، وهنا طلب نصر من الحريش بأن يسلّم إليه يحيىٰ، فردّ الحريش على الوالي نصر بن سيّار قائلاً: لا علم لي به. ولهذا السبب ضُرب الحريش ستمائة سوط. ثم قال الحريش : والله لو أنّه تحتَ قدميّ ما رفعتهما(٢).

وبقيت أجهزة النظام تراقبه، وجرت بعد ذلك حوادث يطول ذكرها وأخيراً أرسل نصراً جيشاً يُقدّر بعشرة آلاف فارس وكان يحيىٰ في سبعين رجلاً، وفي المعركة الأخيرة أُصيب يحيىٰ بسهمٍ في جبهته فقُتل وقتل أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ عن آخرهم وأخذوا رأس يحيىٰ وسلبوه قميصه(٣) وكان ذلك في سنة (١٢٥ هـ) وصلب جسده الشريف بالجوزجان ولم يزل مصلوباً حتّى ظهر أبو مسلم الخراساني فأنزله وصلّى عليه ودفنه(٤).

وفي سنة (١٢٦هـ) قُتل الوليد بن يزيد من قبل الأُمويين أنفسهم وتولّى الخلافة من بعده يزيد بن الوليد بن عبد الملك. وفي هذه الفترة حدثت فوضىٰ سياسيّة لم تُشهد من قبل حيث تحرّك كل من كان له أدنى طمع في الرئاسة؛ لأنّ الأُمّة في هذا الظرف كانت مستعدة لأن تستجيب لأيّ لافتة تدّعي العدالة، وتريد الانتقام من الأُمويين، فكانت تتقبل هذه الدعوات بلا فحص ولا تدقيق، ولهذا ظهرت في هذا الظرف مذاهب سياسية شتّى!

(١) زيد بن علي، للسيد عبد الرزاق المقرم : ١٧٦.

(٢) الكامل لابن الأثير: ١٢٧/٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق : ٥ / ١٢٧.

وهذا الواقع السياسي لم يمكن مسكه ولا السيطرة عليه وتكريسه باتّجاه واحد من قبل الإمام (عليه السلام).

من هنا نجد أنّ موقفه (عليه السلام) من هذا الوضع كان موقف المصلح المرشد حيث نراه تارة يحذّر من الاندفاع وراء أهل المذاهب الأُخرىٰ، وتارة يدعو للموقف الثوري لكن للّذي يعتمد العقيدة الصحيحة إن وجد.

فالإمام (عليه السلام) محيط بتفاصيل واقعه؛ لأنّه كان على رأس حركة لم تكن وليدة الساعة وإن جاءت كردّ فعل للواقع المنحرف. ولا تخفىٰ عليه حركة التيارات الطارئة في هذا الظرف ولا الاطماع التي تحرّك رؤساءها.

فهو إذن يعلم جيداً ما كان يستتر خلف هذه اللافتات من نوايا وأهداف كشعار بني العباس الذي خدعوا به الأُمة، من هنا حذّر الإمام (عليه السلام) من الانسياق وراء تلك الدعوات، وأكّد ضرورة الالتزام بالقيم والمبادئ المفقودة، وأعطى ملامح الخط السياسي الذي كان ينسجم مع المرحلة لكن ليس على حساب العمل الجهادي الذي يستهدف الأُمويين، وهذا ما شاهدناه من خلال مواقفه (عليه السلام) من ثورة زيد ودعمه لها.

موقف الإمام (عليه السلام) إزاء الأحداث السياسية

ويمكن تلخيص الموقف السياسي الذي خطّه الإمام (عليه السلام) إزاء الأحداث وإزاء العروض التي تقدّمت بها جماعات موالية وأُخرى متعاطفة في نقطتين :

الأُولى : موقفه من العروض التي تقدّمت بها فئات مختلفة من الأُمة.

الثانية : تأكيده على الموقف المبدئي وتحذير الشيعة من الموقف الانفعالي والانحراف وراء الأحداث .

موقف الإمام (عليه السلام) من العروض التي قدمت له

العرض الأوّل: روي عن عبد الحميد بن أبي الديلم أنه قال: كنت عند أبي عبدالله (عليه السلام) فأتاه كتاب عبد السلام بن عبد الرحمن بن نعيم، وكتاب الفيض بن المختار وسليمان بن خالد يخبرونه أنّ الكوفة شاغرة[1] برجلها وأنّه إن أمرهم أن يأخذوها أخذوها. فلمّا قرأ (عليه السلام) كتابهم رمىٰ به، ثمّ قال: **ما أنا لهؤلاء بإمام، أما علموا أنّ صاحبهم السفياني؟**[2].

العرض الثاني: هو الذي تقدّم به جماعة من منطقة خراسان إلى الإمام الصادق (عليه السلام) ولم يكن في الحقيقة عرضاً من أجل الثورة ودعوة الناس لمبايعة الإمام (عليه السلام) وإنّما كان استفساراً حول الدعوة التي قد أشاعها شخص كان قد جاء من الكوفة وادّعى أنّه يمثّل الإمام وهو رسوله إليهم.

لنستمع الى كلام راوي الحدث ـ الحارث بن حصيرة الازدي ـ حيث قال: قدم رجل من أهل الكوفة الى خراسان فدعا الناس إلى ولاية جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: ففرقة أطاعته وأجابت، وفرقة جحدت وأنكرت، وفرقة ورعت ووقفت. قال: فخرج من كلّ فرقة رجل فدخلوا على أبي عبدالله (عليه السلام) ـ وقد كان في بعض القوم جارية فخلا بها الرجل الذي كان يعرف بالورع ووقع عليها ـ فلما دخلنا على أبي عبدالله (عليه السلام) وكان الرجل الذي خلا بالجارية هو المتكلم فقال لأبي عبدالله (عليه السلام): أصلحك الله قدم علينا رجل من أهل الكوفة فدعا الناس إلى طاعتك وولايتك فأجاب قوم، وأنكر قوم، وورع

---

(١) شاغرة: شغر البلد شغوراً: إذا خلىٰ من حافظ يمنعه.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٣٥٣ ح ٦٦٢ وعنه في بحار الأنوار: ٤٧ / ٣٥١.

قوم ووقفوا. قال: **فمن أيّ الثلاث أنت؟** قال: أنا من الفرقة التي ورعت ووقفت قال: **فأين كان ورعك ليلة كذا وكذا ؟** قال: فارتاب الرجل[1].

العرض الثالث : أوضح الإمام الصادق (عليه السلام) سياسته في هذه المرحلة أمام حشد من معارضي الأُمويين واشار بشكل غير مباشر إلى الخلل العقائدي والفكري والأهداف التي كان يسعى لها بعض عناصر المعارضة . نلاحظ ذلك فيما روي أن عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وغيرهم من كبار المعتزلة التقوا بالإمام الصادق (عليه السلام) وطرحوا عليه فكرة القيام بالثورة والاستيلاء على الحكم وطلبوا منه التأييد لهم والانضمام معهم .

هنا لم يجب الإمام على نفس السؤال ولم يلبّ طلبهم وإنّما عالج مسألة أُخرى هي أهمّ من الاستجابة لطلبهم مستخدماً نفس الطريقة السابقة؛ فإنّ العمل المسلّح لا ينفع إذا كانت نوازع الثائرين لا تختلف عن مباني نوازع الأُمويين في الحكم، ولهذا شخّص الإمام (عليه السلام) لهؤلاء الداء الذي سبّب تلك العواقب المظلمة والانحرافات التي ألمّت بالمجتمع الاسلامي .

والحدث كما يرويه لنا عبد الكريم بن عتبة الهاشمي هو كما يلي :

قال: كنت عند أبي عبدالله (عليه السلام) بمكة إذ دخل عليه أُناس من المعتزلة فيهم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وحفص بن سالم وأُناس من رؤسائهم، وذلك حين قتل الوليد بن يزيد واختلف أهل الشام بينهم، فتكلّموا فأكثروا، وخطبوا فأطالوا، فقال لهم أبو عبدالله جعفر بن محمد (عليه السلام) : **إنّكم قد أكثرتم عليّ فأطلتم ، فأسندوا أمركم إلى رجل منكم، فليتكلّم بحجتكم وليوجز.** فأسندوا أمرهم إلى عمرو بن عبيد، فأبلغ وأطال فكان فيما قال: قتل أهل الشام خليفتهم ، وضرب الله بعضهم ببعض وتشتّت أمرهم، فنظرنا فوجدنا رجلاً له دين وعقل ومروة ،

(١) بصائر الدرجات : ٢٦٤ / ح ٥ ، وبحار الأنوار : ٤٧ / ٧٢ .

ومعدن للخلافة ، وهو محمد بن عبدالله بن الحسن، فأردنا أن نجتمع معه فنبايعه، ثم نظهر أمرنا معه، وندعوا الناس اليه، فمن بايعه كنّا معه، وكان منّا، ومن اعتزلنا كففنا عنه، ومن نصب لنا جاهدناه ونصبنا له على بغيه، ونرده إلى الحق وأهله، وقد أحببنا أن نعرض ذلك عليك فإنّه لا غنى بنا عن مثلك، لفضلك وكثرة شيعتك.

فلمّا فرغ ، قال أبو عبدالله (عليه السلام): «**أكلّكم على مثل ما قال عمرو ؟ قالوا : نعم . فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ(صلى الله عليه وآله) واحتج عليهم بحجج ثم أقبل على عمرو ، وقال: إتّق الله يا عمرو ، وأنتم أيها الرهط ، فاتّقوا الله فإنّ أبي حدّثني ـ وكان خير أهل الأرض وأعلمهم بكتاب الله وسنّة رسوله ـ أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: من ضرب الناس بسيفه ودعاهم إلى نفسه، وفي المسلمين من هو أعلم منه فهو ضال متكلّف**»(١).

فهؤلاء مع اعترافهم بفضل الإمام (عليه السلام) وتقدّمه على من سواه كيف كانوا يفكّرون في مبايعة غيره ويتوقعون تأييد الإمام (عليه السلام) لهم؟! وقد دعاهم إلى أمر معقول ومشروع فلا بدّ لهم من إعادة النظر فيما يريدون الإقدام عليه .

الإمام(عليه السلام) يحذّر الشيعة من المواقف الانفعالية

ولإيضاح هذه النقطة نطالع بعض النماذج التالية:

النموذج الأوّل : ويتضمّن تأكيد الإمام (عليه السلام) على التثبّت والتحقيق وعدم التسرّع في الاستجابة لكل من يرفع شعار الثورة حتى ولو كان هذا الشعار هو شعار أهل البيت (عليهم السلام)؛ لأن الانسان إن لم يتثبّت لكان هو الخاسر ولكانت الخسارة عظيمة جدّاً؛ لانه سوف يخسر الحياة التي سيحاسب على صغيرها

---

(١) بحار الأنوار: ٤٧/٢١٣ ـ ٢١٦ عن الكافي : ٥/٣، والاحتجاج : ٢/١١٨ ـ ١٢٢، والتهذيب: ٦/١٤٨ .

وكبيرها وسوف لا ينفعه الندم والتوبة إن قتل ؛ لاعلى بيّنة أو دليل قوي.

وفي هذا خير تحذير من الاختراقات السياسية التي كانت تحاول توظيف الوجود الشيعي لصالحها وتدّعي بأن لها صلة بالإمام لكنها في الحقيقة كانت تريد الاستغفال .

لنقرأ ما جاء عن عيص بن القاسم حين قال : سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: **عليكم بتقوىٰ الله وحده لا شريك له ، أُنظروا لأنفسكم فوالله إنّ الرجل ليكون له الغنم فيها الراعي ، فإذا وجد رجلاً هو أعلم بغنمه من الّذي هو فيها، يخرجه ويجيء بذلك الرجل الذي هو أعلم بغنمه من الذي كان فيها. والله لو كانت لأحدكم نفسان يقاتل بواحدة يجرّب بها ثم كانت الأُخرىٰ باقية فعمل علىٰ ما قد استبان لها. ولكن له نفس واحدة إذا ذهبت، فقد والله ذهبت التوبة، فأنتم أحقّ أن تختاروا لأنفسكم. إن أتاكم آتٍ منّا فانظروا علىٰ أيّ شيء تخرجون**[1].

النموذج الثاني : وفيه يشير الإمام (عليه السلام) الى أن المرحلة أحوج ما تكون الى النماذج الصالحة والقدوة الحسنة لترفد المجتمع بسلوكها الصالح وفكرها الصائب .

فعن عمر بن أبان قال: سمعت أبا عبدالله يقول: «**يا معشر الشيعة إنكم نُسِبْتُم إلينا، كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً، ما يمنعكم أن تكونوا مثل أصحاب علي** رضوان الله عليه **في الناس ؟ ! إن كان الرجل منهم ليكون في القبيلة ، فيكون إمامهم ومؤذّنهم، وصاحب أماناتهم وودائعهم . عُودوا مَرضاهم، واشهَدوا جنائزهم وصَلّوا في مساجِدِهم ولا يسبقوكم إلىٰ خير، فأنتم ـ والله ـ أحقّ منهم به** »[2].

---

(١) الكافي : ٨ / ٢٦٤ .

(٢) أُصول الكافي : ٢ / ٢٩٣ ، ومشكاة الأنوار : ٦٧، ووسائل الشيعة: ١ / ٥٢ .

٢ ـ الوضع الفكري

إنّ الظواهر الفكرية والعقائدية السائدة في عصر الإمام الصادق (عليه السلام) ـ مثل الزندقة، الغلّو، والاعتزال، والجبر، والرأي، وما نتج عنها من ظهور صيغ جديدة لفهم الرسالة في مجال الفقه وتفسير الحديث والقرآن الكريم ـ لم تكن وليدة الظرف الّذي عاصره الإمام ولم تأتي بالمصادفة، وإنما يعود وجودها الىٰ ذلك المنهج الّذي خطّه الأمويون ومن سبقهم من الخلفاء الذين اجتنبوا منهج أهل البيت (عليهم السلام) وسلكوا طريقاً آخر طيلة عشرة عقود أو اكثر، فعكس للأجيال صورة مزيّفة عن الدين لا يتجاوز كونه أداة موجهة بيد الحكّام يحمون به سلطانهم ويوظّفونه حسب ما تتطلبه سياستهم، ضد المستضعفين حين أصبح المسلم آنذاك لا يرىٰ إلّا الصورة المقيتة عن الدين، ولهذا كانت الزندقة ردّة فعل لهذا الانحراف بعد تلاعب الحكّام بالدين وقد لقيت رواجاً في هذا الوسط الديني المضطرب والمليء بالمفاهيم الخاطئة.

إنّ اضطراب الموازين والقيم قد أدّىٰ الى التشكيك حتى في السُنّة النبوية بل في فهم الكتاب الإلهي العظيم والركون الى الرأي والاستحسان والتجاوز عن مداليل النصوص المأثورة بلا قانون علمي قويم.

فاذا أردنا أن نحاكم الأفكار المنحرفة التي انتشرت في عصر الإمام الصادق (عليه السلام) كان علينا أن نعرف الخلفيات التي انتهت بالأُمة الى هذا الاضطراب.

من هنا نتناول مفردات من المنهج الأُموي التحريفي ودوره التخريبي

في فهم القرآن والسنة وحوادث التاريخ، مقتصرين علىٰ ذكر بعض النماذج في كل مجال .

تحريف مصادر التشريع والتاريخ :

أ ـ التحريف في مجال تفسير القرآن الكريم

كان التعامل مع النص القرآني وتفسيره يعتمد الرأي أو الروايات الاسرائيلية ويوظّف لصالح سياسة الخليفة ومن الامثلة علىٰ ذلك:

١ ـ استخدم المجبّرة النصوص القرآنية لتأييد نظريتهم المنحرفة مثل قوله تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾[1]، زاعمين أن القرآن يدلّ على أن الله يجبر العباد على أعمالهم..

٢ ـ اما عقيدة التجسيم التي بُنيت على التعامل مع القرآن على اساس الجمود على ظواهر النصوص فلا تتجاوز المعنىٰ الحرفي للفظ حتى أخذت تصرّح بأن لله يداً ووجهاً محتجّة بقوله تعالىٰ : ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾[2] وقوله: ﴿ ويبقىٰ وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾[3] وقالوا بالرؤية البصرية لله تعالى استناداً الى قوله تعالى : ﴿ وجوه يؤمئذٍ ناضرة * الىٰ ربّها ناظرة ﴾[4].

واعتماد هذه التفاسير والقصص الاسرائيلية في تفسير الآيات المباركة هو السبب في هذه الصور المشوّهة . فقد جاء في تفسير القرطبي عن كعب الأحبار أنه قال: لما خلق الله العرش قال العرش : لم يخلق الله أعظم مني واهتز

---

(١) الصافات (٣٧): ٩٦ .

(٢) الفتح (٤٨): ١٠ .

(٣) الرحمن (٥٥): ٢٧ .

(٤) القيامة (٧٥): ٢٢ ـ ٢٣ .

تعاظماً فطوّقه الله تعالىٰ بحية لها سبعون ألف جناح، في كل جناح سبعون ألف ريشة ، في كل ريشة سبعون ألف وجه ، في كل وجه سبعون ألف فم ، في كل فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر، وعدد ورق الشجر ، وعدد الحصىٰ والثرىٰ ، وعدد أيام الدنيا وعدد الملائكة أجمعين ، والتوت الحية علىٰ العرش، فالعرش الىٰ نصف الحية وهي ملتوية عليه فتواضع عند ذلك[1].

وقال معاوية لكعب أنت تقول: إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا ؟ فقال له كعب : إن كنت قلت ذلك فإن الله قال : ﴿ وآتيناه من كل شيء سبباً ﴾[2].

هذا هو التراث الحديثي والتفسيري والتأريخي المخلوط بالاسرائيليات وافتراءات الوضّاعين خدمة للحكّام. وقد دوّن هذا التراث بعد قرن من وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) بعد رفع الحظر من عمر بن عبد العزيز واعتمدت مدرسة الحديث اعتماداً مطلقاً على ما روي بدون تحكيم العقل حتى قالوا: إن السنة تنسخ القرآن والقرآن أحوج الىٰ السنة من السنة الىٰ القرآن، أما مَنْ يقول بأنّا نعرض الاحاديث علىٰ القرآن فهذا من أقوال الزنادقة كما يزعمون![3].

ومن هنا نقف على بعض أسباب نشوء الانحرافات الفكرية وانتشارها بسرعة في المجتمع الاسلامي مثل الجبر والزندقة والغلو. ونشير الى كل منها تباعاً .

ب ـ التحريف في مجال الحديث النبوي الشريف:

١ ـ جاء في صحيح الترمذي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال لمعاوية : اللّهم

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١٥ / ٢٩٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٣ / ١٠٦ .

(٣) بحوث في الملل والنحل، جعفر السبحاني: ١٢٩/١.

إجعله هادياً مهدياً واهد به[١].

٢ ـ وعن عمير بن سعيد قال: لا تذكروا معاوية إلّا بخير فإني سمعت رسول الله يقول: اللّهم أهد به ؟[٢].

٣ ـ وروى أحمد وأبو داود والبغوي والطبراني وغيرهم أن النبيّ قال: «عليكم بالشام فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، إن الله قد توكل بالشام وأهله[٣].

٤ ـ وعن كعب الأحبار: أن النبيّ قال: أهل الشام سيف من سيوف الله ينتقم الله بهم ممّن عصاه[٤].

٥ ـ روي عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: «وصاحب سري معاوية بن أبي سفيان »[٥].

٦ ـ وقيل: إنّ ابن أبي العوجاء (وهو أحد الزنادقة) لما أُخذ لتضرب عنقه، قال: وضعت فيكم أربعة آلاف حديث، أُحرّم فيها الحلال وأحلّ الحرام[٦].

ج ـ التحريف في المجال التاريخي

حاولت مجموعة من الروايات الموضوعة أن ترسم لنا شخصية الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بصورة هزيلة ومتناقضة في سلوكها. منها :

---

(١) صحيح الترمذي : ٥ / ٦٨٧، باب مناقب معاوية .

(٢) كنز العمال : ١٤ / ١٤٩ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) اضواء على السنة المحمدية : ١٢٩ عن دلائل النبوة للبيهقي .

(٥) تطهير الجنان واللسان : ١٧ .

(٦) الموضوعات لابن الجوزي، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان: ١/ ٣٧.

١ ـ إن النبيّ كان يستمع الىٰ الجواري يغنّين ويضربن الدفوف!

٢ ـ ان النبيّ (صلى الله عليه وآله) كان يحمل زوجته عائشة علىٰ عاتقه لتنظر الىٰ لعب السودان وخدّه علىٰ خدّها!

٣ ـ إن النبيّ (صلى الله عليه وآله) قد عشق زوجة ابنه بالتبنّي بعد أن رآها بصورة مثيرة![1]

الاتجاهات الفكرية المنحرفة

١ ـ **الجبر:** عندما دعت الحاجة لصياغة علم الكلام والفقه والتفسير رجع المنظّرون لهذه الأفكار الىٰ التراث الحديثي الذي قد يبدو منه الجبر من قبل الله للعباد فاستخدموه لخدمة الأُمويين تثبيتاً لدعائم سلطانهم فروّجوا عقيدة أن الجبر التي تعني نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته الىٰ الرّب تعالىٰ فكل ما يصدر من العبد من خير أو شر ينسب الىٰ الله سبحانه ويقولون انه ليس لنا صُنع أي لسنا مخيرين بل نسير بارادة الله ومشيئته فاذا شاء الله أن نصلّي صلّينا واذا شاء أن نشرب الخمر شربناها. واستدلوا علىٰ ذلك بآيات قرآنية منها قوله تعالى: ﴿ **وما تشاؤون إلّا أن يشاء الله** ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومَن يُرد أن يُضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً** ﴾[3] ومن الواضح أن المعتنق لهذه العقيدة يسمح لنفسه بارتكاب كل جريمة ومعصية من ترك الواجبات وانتهاك المحرّمات مثل شرب الخمر وارتكاب الزنا والسرقة

---

(١) صحيح البخاري: ١ / ١٦٩، وصحيح مسلم باب صلاة العيدين: ٢ / ٦٠٧، ومسند أحمد: ٦ / ٣٨.

(٢) الانسان (٧٦): ٣٠.

(٣) الانعام (٦): ١٢٥.

والقتل ثم يقول شاء الله أن أسرق فسرقت وشاء الله أن أزني فزنيت وبهذا لا يكون للانسان كسب ولا إرادة ولا اختيار ولا تصرف فيما وهبه الله من نعمة العقل، فكيف يكون له مطمع في ثواب أو خوف من عقاب[1].

٢ـ الزندقة: ومن الافكار التي ظهرت في عصر الإمام الصادق (عليه السلام) فكرة الالحاد والزندقة، ولا يستغرب أحد من نشوء هذه الفكرة المنحرفة في العالم الاسلامي وهو عالم التوحيد الخالص وإبّان قوته وفي وقت تتطلع سائر الأُمم للرسالة الاسلامية الخاتمة.

إنّ الظلم والفساد الذي أشاعه الأُمويون في كل ميادين الحياة كان هو السبب في ظهور هذه الافكار المناقضة للفكر الاسلامي.

عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: **تظهر الزنادقة سنة ثمانية وعشرين ومائة لأني نظرت في مصحف فاطمة (عليها السلام)**[2].

لقد كان السؤال والمناقشة للفكر الذي يتبناهُ الحكام ذنباً لا يغتفر وعلى الانسان أن يسمع ولا يفكّر. أما الخلافة الاسلامية فتبلورت في طواغيت بني أمية وفراعنة بني العباس.

إنّ هذا الفساد الذي عمّ ميادين الفكر والسلوك شجّع ظهور الفكر الالحادي كرفضٍ للواقع الفاسد.

ومن هنا نشاهد ابن أبي العوجاء يعقد حلقاته الفكرية لغرض التشكيك في التوحيد وفي مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ كان ينكر أصل الوجود ويقول: إن الوجود بدأ بإهمال. وكان الجعد بن درهم ممعناً في الكفر ومبتدعاً ومتفانياً

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ٢ / ١٢٢.

(٢) بصائر الدرجات: ١٧٢، وبحار الأنوار: ٢٦ / ١٢٣ واثبات الهداة: ٥ / ١٧٥.

في الزندقة وكان يعلن الالحاد[١] ومن بدعه أنه جعل في قارورة تُراباً وماءاً فاستحال دوداً وهواماً فقال لاصحابه: إني خلقت ذلك لأني كنت سبب كونه وبلغ ذلك الإمام الصادق (عليه السلام) فردّه بأبلغ البرهان قائلاً: «**إن كان خلقه فليقل كم هو؟ وكم الذكران منه والاناث؟ وكم وزن كل واحدة منهن؟ وليأمر الذي يسعى الى هذا الوجه أن يرجع الى غيره**»[٢].

٣ ـ الاعتزال: لقد تطرّف الخوارج والمرجئة في حكم مرتكب الكبيرة، بعد تعارض التراث الحديثي والتفسيري مع العقل، ثم عجزت الثقافة التي جمدت على ظواهر الحديث والقرآن من الإجابة على الاسئلة التي فرضتها حالة الانفتاح على الحضارات الاخرى. ومن هنا تبلورت افكار المعتزلة تلبية لحاجة التطوّر المدني في البلاد الاسلامية وكثرة الاستفهامات التي كانت تثيرها الحركات الإلحادية فظهرت في هذا العصر فكرة الاعتزال التي رفضت الاعتماد على الحديث بشكل مطلق وهاجمت أهل الحديث لتعطيلهم العقل، وتكفيرهم كل من يبحث ويناقش.

الخط السياسي للاعتزال: كان الاعتزال مسانداً للحكم القائم في تلك العصور وقد خدم سياسة الحكام عندما أخذ يهاجم المقدسات في ضمير الأُمة وتفكيرها وذلك حين أقرّ المعتزلة بأن الإمامة والخلافة تتم للمفضول ويجوز تقديمه على الفاضل وبهذا استدلوا على شرعية خلافة الأُمويين والعباسيين.

قال أحمد أمين: إنّ جرأة المعتزلة في نقد الرجال هو بمثابة تأييد قوي

---

(١) ميزان الاعتدال: ١ / ٣٩٩، لسان الميزان: ٢ / ١٠٥.

(٢) أمالي المرتضى: ١ / ٢٨٤.

للأُمويين لأن نقد الخصوم ووضعهم موضع التحليل وتحكم العقل في الحكم عليهم أولهم يزيل على الاقل فكرة تقديس علي(عليه السلام) التي كانت شائعة عند جماهير الناس(١).

ولذا نالوا التأييد المطلق والدعم الشامل من قبل الأُمويين وبعد إنهيار الحكم الأُموي انضمّوا الىٰ الحكم العباسي فكانوا من أجهزته واعوانه وكان المنصور يُكبر عَمْرو بن عبيد أحد كبار المعتزلة(٢).

أما علاقتهم مع الشيعة فكانت في غاية من الخصومة. وترىٰ الشيعة أن الاعتزال فكر طارئ علىٰ الاسلام لأن تقديم المفضول علىٰ الفاضل معناه الخروج عن منطق الحق وإماتة المواهب والقدرات فضلاً عن أنّ هذا الاتجاه يُعارض القرآن الكريم الذي يقول: ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾(٣).

إنّ الكوارث التي عانتها الأُمة علىٰ مدى تأريخها بعد الرسول(صلى الله عليه وآله) تعود الى تقديم المفضول علىٰ الفاضل، ولو لا ذلك لسار الفاضل بالأُمة سيراً سجُحاً ولأوردهم منهلاً رويّاً تطفح ضفتاه كما تنبأت بذلك بضعة الرسول (صلى الله عليه وآله) فاطمة الزهراء (عليها السلام) في خطابها المبكّر بعد تسنّم أبي بكر الخلافة والتربّع على منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعزل علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن هذا الموقع الريادي الذي عيّنه فيه رسول الاسلام.

٤ ـ الغلو: تعتبر حركة الغلاة في نظر المؤرخين من أخطر الحركات هدماً

(١) فجر الاسلام: ٢٩٥.

(٢) تاريخ بغداد: ٤ / ١٤٨ ـ ١٥٠.

(٣) الزمر (٣٩): ٩.

وضرراً للمجتمع الإسلامي آنذاك لأنّها حركة سياسية عقائدية قد استهدفت ضرب الاسلام من الداخل ،كما أنّ دراسة هذه الحركة من قبل المؤرّخين لا زالت غامضة حتىٰ اليوم ؛ إذ لم تدوّن أفكار هذه الحركة بأقلام دعاتها .

وحركة الغلاة لم تدم طويلاً لأنها ظهرت علىٰ المسرح السياسي ثم اختفت بسرعة وقد حاصرها الإمام الصادق (عليه السلام) حيث أدرك خطورتها فأعلن البراءة منها ومن مبادئها ولعن دعاتها كأبي الخطاب وحذّر الناس من أهدافها الخبيثة .

لقد نشطت هذه الحركة في أواخر الحكم الأُموي فبثّ أبو الخطّاب أفكاره بسريّة في مدينة الكوفة في الوقت الذي كانت تموج بها التيارات السياسية ، والدعوة العباسية ناشطة في شقّ طريقها الىٰ النجاح. وكان اختيار أبي الخطاب للكوفة لعلمه بأنها قاعدة لتجمع الموالين لأهل البيت (عليهم السلام) وبهذا يمكن تشويه هذه القاعدة الواعية وضرب أتباع أهل البيت عن هذا الطريق .

قال أبو عباس البغوي : دخلنا على فثيون النصراني وكان في دار الروم بالجانب الغربي ، فجرىٰ الحديث الىٰ أن سألته عن ابن كلاب فقال فثيون : رحم الله عبدالله (ابن كلاب القطّان) كان يجيئني فيجلس الىٰ تلك الزاوية ـ وأشار الىٰ ناحية من البيعة وهي الكنيسة ـ وعني أخذ هذا القول ، ولو عاش لنصّرنا المسلمين[1] (أي لجعلناهم نصارىٰ) .

ويعتقد الغلاة أنّ ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمرٌ لا ينكره عاقل . أما في جانب الخير، فكظهور جبرئيل (عليه السلام) ببعض الأشخاص ، والتصوير بصورة أعرابي ، والتمثّل بصورة البشر .

(١) الفهرست لابن النديم : ٢٥٥ ـ ٢٥٦ ،كما يشهد هذا النص على أنّ لأهل الكتاب دوراً مهمّاً في نشر ظاهرة الغلوّ بين المسلمين.

وأما في جانب الشر، فكظهور الشيطان بصورة إنسان، حتىٰ يعمل الشر بصورته وظهور الجن بصورة بشر حتى يتكلّم بلسانه. فكذلك يقال: إن الله تعالىٰ ظهر بصورة أشخاص ولما لم يكن بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) شخص أفضل من علي (عليه السلام) وبعده أولاده المخصوصون وهم خير البريّة فظهر الحقّ بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم فعن هذا أطلقوا اسم الالهية عليهم!! وانما أثبتوا هذا الاختصاص «لعلي» (عليه السلام) دون غيره لأنه كان مخصوصاً بتأييد إلهي من عند الله تعالىٰ فيما يتعلق بباطن الاسرار[1].

ثم زعم أبو الخطّاب أن الأئمة أنبياء ثم آلهة! وقال بإلهية جعفر بن محمد! وإلهية آبائه (رضي الله عنهم) وهم أبناء الله وأحباؤه! والإلهية نور في النبوة والنبوة نور في الإمامة، ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار. وزعم أنّ جعفراً هو الإله في زمانه!! وليس هو المحسوس الذي يرونه! ولكن لما نزل الى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها[2]!

هذه هي أهم الاتّجاهات الفكرية المنحرفة التي كانت قد راجت في عصر الإمام الصادق(عليه السلام)، وسوف نتابع مواقف الإمام(عليه السلام) منها وأساليبه في كيفية التعامل معها بغية معالجة هذا الداء الذي أخذ يستشري في المجتمع الإسلامي آنذاك.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني: ١/١٦٨.

(٢) المصدر السابق: ١/١٥٩.

الفصل الثاني

متطلبات عصر الإمام الصادق (عليه السلام)

بعد الوقوف على مظاهر الفساد والانحراف التي عمّت ميادين الحياة في عصر الإمام الصادق (عليه السلام) نستطيع ان ندرك عمق المأساة التي كان الإمام (عليه السلام) قد واكبها منذُ نشأته حتى هذا التأريخ .

وفي هذا الظرف الذي خفّت فيه المراقبة بسبب ضعف الدولة الأُموية ووجد الإمام (عليه السلام) أنّ جانباً كبيراً من الاسلام قد أُقصي عن واقع الحياة وأنّ قيم الجاهلية قد عادت تظهر للوجود ، وأن الصيغ الغريبة عن الدين أخذت تدخل في فهم القرآن والسنة الشريفة وتسبّبت في تغيير مضمون الرسالة وجوهرها ، لاحظ أن الأمر أخذ يزداد تفاقماً في أواخر العهد الأُموي الذي نمت فيه مدارس فكرية وتيارات سياسية بعيدة عن الاسلام ، وكان يرى (عليه السلام) أن الأكثرية الساحقة من الأُمة قد ركنت الى الطمع بسبب ما شاهدته من صور الظلم والتعسّف الذي قد ارتكب بحق كل من كان يعترض على سياسة الحكّام المنحرفين عن الدين. كل هذه الأُمور قد لاحظها الإمام (عليه السلام) بدقّة وبدأ يعالجها بكل أناة. لنقرأ معاً حوار سدير الصيرفي مع الإمام (عليه السلام) :

قال سدير الصيرفي : دخلت على ابي عبدالله (عليه السلام) فقلت له : والله

ما يسعك القعود . فقال(عليه السلام): **ولم يا سدير ؟** قلت : لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك ، والله لو كان لأمير المؤمنين (عليه السلام) مالك من الشيعة والأنصار والموالي ما طمع فيه تيم ولا عديّ.

فقال: **يا سدير! وكم عسى أن يكونوا ؟** قلت: مائة ألف . قال : **مائة الف !** قلت: نعم، ومائتي ألف ؟ فقال: **ومائتي ألف ؟** قلت: نعم، ونصف الدنيا . قال : فسكت عني ثم قال : **يخفّ عليك أن تبلغ معنا الى ينبع**[1]؟ قلت : نعم. فأمر بحمار وبغل أن يسرجا، فبادرت ، فركبت الحمار فقال : **يا سدير! أترى ، إنزل بنا نصلّي**، ثم قال : **هذه أرض سبخة لا تجوز الصلاة فيها** فسرنا حتى صرنا الى أرض حمراء ، ونظر الى غلام يرعىٰ جداء[2].

فقال: **والله يا سدير! لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود .** ونزلنا وصلّينا فلما فرغنا من الصلاة عطفت على الجداء، فعددتها فاذا هي سبعة عشر ![3].

فالامام(عليه السلام) إزاء هذا الواقع المملوء بالفساد والضياع قد وجد أن الأمر أحوج ما يكون الى إيجاد تيّار اسلامي أصيل يحمل قيم الرسالة التي جاء بها الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ولابدّ أيضاً أن يتم عزل الأمة عن الحكومات الظالمة لئلّا تكون مرتعاً لمظالمها ، فعن طريق غرس القيم الاسلامية وايجاد تيار فاعل يساهم في اجتثاث المظالم او تقليلها يمكن التحرّك لاصلاح الواقع الفاسد حيث إنه قد يرغم الولاة على العدل استجابة لارادة قطاع كبير من

(١) ينبع حصن له عيون ونخيل وزروع بطريق حاج مصر.
(٢) الجدي : من أولاد المعز .
(٣) الكافي : ٢ / ٢٤٢ ، وبحار الأنوار : ٣٧٢/٤٧.

الأُمة حينما يرفض هذا القطاع الكبير الاستبداد ويدعو الى العدل بوعي اسلامي عميق .

لقد تخلّى الإمام الصادق (عليه السلام) عن ممارسة العمل المسلح ضد الحكّام المنحرفين بشكل مباشر وكان موقفه هذا تعبيراً واقعياً عن اختلاف صيغ العمل السياسي التي تحددها الظروف الموضوعية وإدراكاً عميقاً لطبيعة العمل التغييري.

فالإمام (عليه السلام) حاول أن ينشر قيمه ومفاهيمه ودعوته بعيداً عن التصريحات السياسية الثوريّة واتّجه نحو بناء تيار شعبي عامّ في الأُمة كما ركّز على بناء الجماعة الصالحة الممثّلة لخطّ أهل البيت (عليهم السلام) والإشراف عليها وتنظيم أساليب عملها في مواجهة الانحراف المستشري بحيث يجعلها كتلة مترابطة في العمل والتغيير وإعداد أرضية صالحة تؤدّي الى قلب الواقع الفاسد على المدى القريب أو البعيد.

وقد استهدف الإمام (عليه السلام) في نشاطه الرسالي لونين من الانحراف:

اللون الأول: الانحراف السياسي المتمثل في زعامة الدولة، واللون الثاني: الانحراف العقائدي والفكري والاخلاقي ثم الانحراف السياسي عند الأُمّة.

كما اتّجه الإمام (عليه السلام) في حركته التغييرية الشاملة الى حقلين مهمّين:

أحدهما: الانفتاح العام والشامل على طوائف الأُمة واتجاهاتها السياسية والفكرية.

ثانيهما: مواصلة بناء جامعة أهل البيت (عليهم السلام) العلمية .

وكلا الحقلين يعتبران من حقول النشاط العام . وسوف نبحثه في هذا

الفصل من هذا الباب.

وأما حقل النشاط الخاصّ بمحاوره المتعددة فيتلخّص في إكمال بناء الجماعة الصالحة. وهذا ما سوف نبحثه في الفصل الثالث من هذا الباب.

الانفتاح على الاتّجاهات الفكرية والسياسية

ويقع البحث في هذا الحقل ضمن عدّة محاور:

١ ـ المحور العقائدي السياسي :

وفي هذا المحور ركّز الإمام على عدة نشاطات :

النشاط الأول : التثقيف على عدم شرعيّة الحكومات الجائرة ورتّب على ذلك تحريم الرجوع اليها لحل النزاع والخصومات كما ورد عنه : «**إيّاكم أن يحاكم بعضكم بعضاً الى أهل الجور، ولكن انظروا الى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه بينكم فإنّي قد جعلته قاضياً فتحاكموا اليه**»[1].

وقال أيضاً: «**إيّما مؤمن قدّم مؤمناً في خصومة الى قاضٍ أو سلطان جائر فقضى عليه بغير حكم الله فقد شركه في الاثم**»[2].

وعن أبي بصير عنه (عليه السلام) قال: «**أيّما رجل كان بينه وبين أخ له ممارات في حق فدعاه الى رجل من اخوانه ليحكم بينه وبينه فأبى إلّا أن يرافعه الى هؤلاء ، كان بمنزلة الذين قال الله عزّ وجل: ﴿ألم تر الى الذين يزعمون أنّهم آمنوا بما أُنزل اليك وما أُنزل من**

(١) وسائل الشيعة : ١٣/٢٧ ح ٥ عن الكافي والفقيه والتهذيب .

(٢) المصدر السابق : ١١/٢٧ ح ١ المصادر السابقة .

قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به ﴾[١].

وعن عمر بن حنظلة قال : سألت أبا عبدالله عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما الى السلطان أو الى القضاء أيحل ذلك ؟ فقال: من تحاكم اليهم في حق أو باطل فإنّما تحاكم الى طاغوت وما يحكم له فانما يأخذ سحتاً وإن كان حقه ثابتاً، لأنه اخذه بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به قال الله تعالى: ﴿ يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به ﴾[٢].

وفي توجيه آخر حزم أيضاً التعاون مع الأنظمة الجائرة فمن توصياته بهذا الخصوص ، قوله (عليه السلام): «إنّ أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد»[٣].

وقال (عليه السلام) : لا تُعِنهم ـ أي حكام الجور ـ على بناء مسجد[٤].

وقال (عليه السلام) لبعض أصحابه: «يا عذافر نبئت أنك تعامل أبا أيوب والربيع فما حالك إذا نودي بك في أعوان الظلمة ؟ ! ! »[٥].

وعن علي بن حمزة، قال كان لي صديق من كتاب بني أُمية فقال لي: استأذن لي على أبي عبدالله (عليه السلام) فاستأذنت له، فلما دخل سلّم وجلس، ثم قال: جعلت فداك اني كنت في ديوان هؤلاء القوم فأصبت من دنياهم مالاً كثيراً، وأغمضت في مطالبه.

فقال ابو عبدالله (عليه السلام): «لو أن بني أُمية لم يجدوا من يكتب لهم، ويجبي لهم

(١) النساء (٤): ٦٠ والخبر في وسائل الشيعة: ١٢/٢٧ ح ٥ .

(٢) النساء (٤): ٦٠، وسائل الشيعة : ١٣/٢٧ ح ٤ عن الكافي والتهذيب .

(٣) وسائل الشيعة : ١٧٩/١٧ ح٦ عن الكافي والتهذيب .

(٤) المصدر السابق : ١٨٠/١٧ ح٨ عن التهذيب .

(٥) المصدر السابق : ١٧٨/١٧ ح٣ عن الكافي .

الفيء[١] ويقاتل عنهم، ويشهد جماعتهم ، لما سلبونا حقّنا، ولو تركهم الناس وما في ايديهم، ما وجدوا شيئاً إلا وقع في ايديهم». فقال الفتى : جعلت فداك فهل لي من مخرج منه ؟

قال: إن قلت لك تفعل ؟ قال: أفعل، قال: **«اخرج من جميع ما كسبت في دواوينهم، فمن عرفت منهم رددت عليه ماله، ومَن لم تعرف تصدّقت به»[٢].**

النشاط الثاني: مارس فيه التثقيف على الصيغة السياسية السليمة من خلال تبيان موقع الولاية المغتصب، واستخدم الخطاب القرآني في هذا المجال الذي حاولت فيه المدارس الفكرية الأُخرى تجميد النصّ بحدود الظاهر. فقد علّق(عليه السلام) على قوله تعالى : **﴿وإذ ابتلى ابراهيم ربّه بكلمات فأتمّهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾[٣].**

بأن الله عزّ وجلّ اتّخذ ابراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبيّاً، وان الله اتّخذه نبيّاً قبل أن يتّخذه رسولاً وان الله اتّخذه رسولاً قبل أن يتّخذه خليلاً وأنّ الله اتّخذه خليلاً قبل أن يتّخذه إماماً، فلما جمع له الأشياء قال: **﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾.**

قال (عليه السلام): **«فمن عِظَمِها ـ أي الامامة ـ في عين ابراهيم (عليه السلام) قال: ومن ذرّيتي ؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين، قال: لا يكون السفيه إمام التقي»[٤].**

كما فسّر (عليه السلام) قوله تعالى: **﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له**

---

(١) الفيء : الخراج.

(٢) الكافي: ١٠٦/٥ والمناقب لابن شهر آشوب: ٣٦٥/٣، بحار الأنوار: ١٣٨/٤٧ .

(٣) البقرة (٢): ١٢٤.

(٤) الميزان : ٢٧٦/١ .

عابدون﴾[١] بأن الصبغة هي الاسلام[٢] وفي قول آخر عنه (عليه السلام) بأن الصبغة هي صبغ المؤمنين بالولاية ـ يعني الولاية لإمام الحق أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ في الميثاق[٣].

وعلّق العلامة الطباطبائي على ذلك بقوله: وهو من باطن الآية[٤].

كما نجده (عليه السلام) يتحدث عن الإمام أمير المؤمنين ويذكّر الناس بحديث الغدير، ذلك الحدث السياسي الخطير في حياة الأُمّة، ويذكّرهم به لئلا يتعرض هذا الحدث للنسيان والإلغاء. قال في حق علي (عليه السلام) «**المدعو له بالولاية المثبّت له الامامة يوم غدير خم، بقول الرسول (صلى الله عليه وآله) عن الله عزّ وجلّ: ألست أولى، بكم من أنفسكم ؟ قالوا: بلىٰ قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأعن من أعانه**»[٥].

وعندما التقى وفد من المعتزلة في مستوى رفيع ضمّ أعلامهم ورؤوسهم فكان من بينهم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وحفص بن سالم، وذلك بعد قتل الوليد واختلاف أهل الشام، وقد أجمع رأي المعتزلة على محمد بن الحسن للخلافة الاسلامية وبعد أن اسندوا أمرهم في الرأي الى زعيمهم الروحي عمرو بن عبيد ودار حوار طويل بينه وبين الإمام خاطبه الإمام قائلاً: «**يا عمرو لو أنّ الأُمّة قلّدتك أمرها فملكته بغير قتال ولا مؤنة فقيل لك: ولّها من شئت، من كنت تولّي ؟**»

(١) البقرة (٢): ١٣٨.

(٢) تفسير الصافي: ١/١٧٦.

(٣) تفسير العياشي: ١/٦٢.

(٤) الميزان: ١/٣١٥.

(٥) عوالم العلوم والمعارف: ٣/١٥ـ ٢٧٠ ـ ٢٧١، وشواهد التنزيل: ١/١٨٧، والدر المنثور: ٢/٢٩٨، وفتح القدير: ٣/٥٧، وروح المعاني: ٦/١٦٨.

وبادر عمرو فقال: أجعلها شورى بين المسلمين.

قال: «بين كلهم؟» قال: نعم. قال: «بين فقهائهم وخيارهم؟». قال نعم... قال: «قريش وغيرهم ؟» قال: قال له: العرب والعجم؟

قال (عليه السلام): أخبرني يا عمرو، أتتولّى أبا بكر وعمر؟ أو تتبرّأ منهما ؟ قال: أتولاّهما.

فقال له الإمام (عليه السلام): «يا عمرو إن كنت رجلاً تتبرّأ منهما فانه يجوز لك الخلاف عليهما، وإن كنت تتولّاهما فقد خالفتهما . فقد عهد عمر الى أبي بكر فبايعه ، ولم يشاور أحداً، ثم ردّها أبو بكر عليه ولم يشاور احداً، ثم جعلها عمر شورى بين ستة، فأخرج منها الانصار غير اولئك الستة من قريش، ثم أوصى الناس فيهم -أي في الستة الذين انتخبهم - بشيء ما أراك ترضىٰ أنت ولا أصحابك به.

وسأل عمرو الإمام (عليه السلام) عما صنع عمر قائلاً: ما صنع ؟

قال الإمام (عليه السلام): «أمر صهيباً أن يصلي بالناس ثلاثة أيام، وأن يتشاور اولئك الستّة ليس فيهم أحد سواهم إلّا ابن عمر، ويشاورونه ، وليس له من الأمر شيء ، وأوصى من كان بحضرته من المهاجرين والأنصار إن مضت ثلاثة أيّام ولم يفرغوا ويبايعوا ، أن تضرب أعناق الستة جميعاً وان اجتمع أربعة قبل أن يمضي ثلاثة أيّام وخالف اثنان أن يضرب أعناق الاثنين.. أفترضون بذا فيما تجعلون من الشورىٰ بين المسلمين؟»[1].

(١) بحار الأنوار : ٤٧/٢١٣ ـ ٢١٦ عن الكافي : ٣/٥٥٤ والاحتجاج : ٢/١١٨ ـ ١٢٢.

٢ ـ المحور الثقافي والفكري:

ألف ـ مواجهة التيارات الإلحادية :

ومن الخطوات التي خطاها الإمام (عليه السلام) هي مواجهة الافكار الالحادية سابقة الذكر حيث ناقشها بعدة أساليب حتىٰ استفرغ محتواها ووقف امام تحقيقها لأهدافها .

نختار نماذج من تحرّك الإمام ونشاطه في هذا المجال .

١ ـ جرت بين الإمام وأحد أقطاب حركة الكفر والالحاد (أبو شاكر الديصاني) عدة مناظرات أفحمه الإمام فيها وأبطل مزاعمه الواهية وكان من بينها المناظرة التي وجّه فيها أبو شاكر السؤال التالي للإمام (عليه السلام) : قائلاً: ما الدليل علىٰ أنّ لك صانعاً ؟

فأجابه الإمام (عليه السلام) : « **وجدت نفسي لا تخلو من إحدىٰ جهتين : إما أن أكون صنعتها أنا أو صنعها غيري. فان كنت صنعتها فلا أخلو من أحد معنيين : إما أن اكون صنعتها وكانت موجودة فقد استغنيت بوجودها عن صنعتها ، وإن كانت معدومة فإنك تعلم أنّ المعدوم لا يحدث شيئاً ، فقد ثبت المعنىٰ الثالث: أنّ لي صانعاً وهو ربّ العالمين** »[1].

٢ ـ دخل الديصاني علىٰ الإمام الصادق (عليه السلام) فقال له : يا جعفر بن محمد دُلّني علىٰ معبودي . . . وكان الىٰ جانب الإمام غلام بيده بيضة فأخذها منه ، وقال له : « **يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق ، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضة ذائبة فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة ، فهي علىٰ حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن**

(١) بحار الأنوار: ٣/ ٥٠ عن التوحيد للصدوق.

صلاحها ، ولا دخل فيها داخل مفسد فيخبر عن فسادها ، لا يدرىٰ للذكر خُلقت أم للانثىٰ ، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس ، أترىٰ لها مدبّراً ؟ » .

وأطرق الديصاني ملياً الىٰ الارض ، واعلن التوبة والبراءة ممّا قاله[1].

٣ ـ ووفد زنديق آخر علىٰ الإمام (عليه السلام) وهو من الزنادقة البارزين في عصر الإمام الصادق (عليه السلام) وقد قدّم للإمام عدة مسائل حسّاسة فأجاب عنها الإمام(عليه السلام) نذكر بعضاً منها :

١ ـ سأله : كيف يعبد اللهَ الخلقُ ولم يروه ؟

فأجابه (عليه السلام) : **« رأته القلوب بنور الايمان ، وأثبتته العقول بيقظتها اثبات العيان وأبصرته الأبصار بما رأته من حسن التركيب وإحكام التأليف ، ثم الرسل وآياتها، والكتب ومحكماتها، واقتصرت العلماء علىٰ ما رأت من عظمته دون رؤيته»**[2].

ويتضمّن جواب الإمام (عليه السلام) بعض الادلة الوجدانية علىٰ وجود الخالق من خلقه للمجرّات في الفضاء والتي لا تعتمد علىٰ شيء سوىٰ قدرة الله تعالىٰ. ثم إنّ العقول الواعية والقلوب المطمئنّة بالإيمان هي التي ترىٰ الله بما تبصره من بدائع مخلوقاته ، إذ الأثر يدلّ علىٰ المؤثّر والمعلول يدلّ علىٰ علّته .

٢ ـ وسأله : من أين أثبت أنبياءَ ورسلاً ؟

فأجاب (عليه السلام) : **« إنا لمّا اثبتنا أنّ لنا خالقاً ، صانعاً ، متعالياً عنّا، وعن جميع ما خلق وكان ذلك الصانع حكيماً ، لم يجز أن يشاهده خلقه ، ولا أن يلامسوه ولا أن يباشرهم ويباشروه، ويحاجّهم ويحاجّوه، ثبت أنّ له سفراء في خلقه، وعباد يدلّونهم علىٰ مصالحهم**

(١) أُصول الكافي : ١ / ٨٠، والاحتجاج : ٢ / ٧١ ـ ٧٢.
(٢) الاحتجاج : ٧٧/٢.

ومنافعهم، وما به بقاؤهم ، وفي تركه فناؤهم. فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، وثبت عند ذلك أنّ له معبّرين هم أنبياء الله وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين بالحكمة مبعوثين عنه، مشاركين للناس في أحوالهم على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب، مؤيّدين من عند الحكيم العليم بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، فلا تخلو الارض من حجة يكون معه علمٌ يدلّ على صدق مقال الرسول ووجود عدالته.

وأضاف الإمام الصادق (عليه السلام) قائلاً : « نحن نزعم أنّ الأرض لا تخلو من حجة ولا تكون الحجة إلّا من عقب الانبياء وما بعث الله نبياً قطّ من غير نسل الانبياء ، وذلك أن الله شرع لبني آدم طريقاً منيراً، وأخرج من آدم نسلاً طاهراً طيّباً، أخرج منه الانبياء والرسل، هم صفوة الله وخلص الجوهر، طهروا في الاصلاب، وحفظوا في الارحام، لم يصبهم سفاح الجاهلية ولا شاب أنسابهم، لأنّ الله عزّوجلّ جعلهم في موضع لا يكون أعلى درجة وشرفاً منه، فمن كان خازن علم الله ، وأمين غيبه، ومستودع سرّه، وحجّته على خلقه، وترجمانه ولسانه لا يكون إلّا بهذه الصفة، فالحجّة لا تكون إلّا من نسلهم، يقوم مقام النبي (صلى الله عليه وآله) في الخلق بالعلم الذي عنده وورثه عن الرسول، إن جحده الناس سكت، وكان بقاء ما عليه الناس قليلاً ممّا في أيديهم من علم الرسول على اختلاف منهم فيه، قد أقاموا بينهم الرأي والقياس، وانّهم إن أقرّوا به وأطاعوه وأخذوا عنه ظهر العدل، وذهب الاختلاف والتشاجر، واستوى الأمر، وأبان الدين، وغلب على الشك اليقين، ولا يكاد أن يقرّ الناس به، ○ ولا يطيعوا له، أو يحفظوا له بعد فقد الرسول، وما مضى رسول ولا نبيّ قط لم تختلف اُمّته من بعده» .

٣ـ وسأله : ما يصنع بالحجة إذا كان بهذهِ الصفة؟

فأجابه (عليه السلام) : « يقتدى به ، ويخرج عنه الشيء بعد الشيء، مكانه منفعة الخلق،

وصلاحهم فإن أحدثوا في دين الله شيئاً أعلمهم، وإن زادوا فيه أخبرهم، وإن نقصوا منه شيئاً أفادهم»[1].

وبهذا المستوى من الحوار وعمقه يستمرّ الإمام(عليه السلام) في أجوبته العملاقة حتى تصل الأسئلة والأجوبة الى خمسة وتسعين[2]، ونظراً لسعتها اقتصرنا على الثلاث الأول منها.

ب ـ مواجهة تيار الغلوّ

لقد كان موقف الإمام الصادق(عليه السلام) من تيار الغلوّ وحركة الغلاة حازماً وصارماً، فقال لسدير: **«يا سدير سمعي وبصري وشعري وبشري ولحمي ودمي من هؤلاء براء، برئ الله منهم ورسوله ما هؤلاء على ديني ودين آبائي والله لا يجمعني وإيّاهم يوم إلا وهو عليهم ساخط»**[3].

وقال ميسرة: ذكرت أبا الخطّاب عند أبي عبدالله (عليه السلام) وكان متكأً فرفع إصبعه الى السماء ثم قال: **«على أبي الخطّاب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فأشهد بالله أنه كافر فاسق مشرك، وأنه يحشر مع فرعون في أشدّ العذاب غدواً وعشياً، ثم قال: والله والله إنّي لأنفس على أجساد أصيبت معه النار»**[4].

وقال عيسى بن أبي منصور: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول ـ وقد ذكر أبا الخطّاب ـ: **«اللّهم العن أبا الخطّاب فإنه خوّفني قائماً وقاعداً وعلى فراشي اللّهم**

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ٢/٧٧ ـ ٧٨.

(٢) الاحتجاج: ٢/٧٧ ـ ١٠٠ عن يونس بن ظبيان وعبدالله بن سنان، ولم يسمّيا الزنديق ولم يرويا توبته!

(٣) أصول الكافي: ١ / ٢٦٩.

(٤) اختيار معرفة الرجال للكشي: ٣٦٩ ح ٥٢٤.

أذقه حر الحديد»[1].

وكان موقفه (عليه السلام) صلباً أمام هذه الطائفة الخطيرة على الاسلام ، وما كان ليستريح طرفة عين حتىٰ أحبط مؤامرتها وما ضمّته من الحقد اليهودي ودسائسه التأريخية على الاسلام، ولو كان قد تراخىٰ وفتر عنها لحظة لكانت تقصم ظهر التشيع .

ونلمس في الروايتين التاليتين حرقة الامام وألمه الشديد ومخافته من تأثير هذه الدعوة الضالّة على الأُمّة وشعارها المزيّف بحبّها لأهل البيت(عليهم السلام)، فعن عنبسة بن مصعب قال : قال لي أبو عبدالله (عليه السلام): **«أي شيء سمعت من أبي الخطاب ؟»** قلت: سمعته يقول : انك وضعت يدك على صدره وقلت له: عه ولا تنس . وأنت تعلم الغيب. وأنك قلت هو عيبة علمنا وموضع سرّنا أمين على أحيائنا وأمواتنا.

فقال الإمام الصادق : **«لا والله ما مسّ شيء من جسدي جسده، وأما قوله أني قلت : إني اعلم الغيب فوالله الذي لا إله إلا هو ما أعلم الغيب**[2] **ولا آجرني الله في أمواتي ولا بارك لي في أحيائي إن كنت قلت له ! وأمّا قوله إني قلت: هو عيبة علمنا وموضع سرّنا وأمين على أحيائنا وأمواتنا فلا آجرني الله في أمواتي ولا بارك لي في أحيائي إن كنت قلت له من هذا شيئاً من هذا قط»**[3].

وقال الإمام (عليه السلام) لمرازم : **«قل للغالية توبوا الى الله فإنكم فساق كفّار مشركون»**.

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٢٩٠ ح ٥٠٩ وعنه في عوالم العلوم والمعارف: ٢/٢٠ ح ١١٥١ .

(٢) والإمام(عليه السلام) هنا في مقام نفي العلم بالغيب الاستقلالي الذي يدّعيه الغلاة، لا العلم بالغيب الممنوح للنبي(صلى الله عليه وآله) ولهم منه سبحانه .

(٣) اختيار معرفة الرجال للكشي: ٢٩٢ ح ٥١٥ وعنه في الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ٢ / ٣٧٥.

وقال (عليه السلام) له: **«اذا قدمت الكوفة فإت بشار الشعيري وقل له: يقول لك جعفر بن محمد: يا كافر يا فاسق أنا بريءٌ منك**. قال: مرازم فلمّا دخلت الكوفة قلت له: يقول لك جعفر بن محمد: ياكافر يا فاسق يا مشرك أنا بريءٌ منك. قال بشار: وقد ذكرني سيدي؟! قلت: نعم ذكرك بهذا. قال: جزاك الله خيراً»(١).

لاحظ الخبث وطول الأناة وعمق التخطيط حيث يذهب هذا الخبيث ليلتقي بالامام (عليه السلام) بعد كل الذي سمعه. ولما دخل بشار الشعيري على الإمام (عليه السلام) قال له: **«أُخرج عني لعنك الله والله لا يظلّني وإيّاك سقف أبداً»**. فلمّا خرج، قال(عليه السلام): **«ويله ما صغر الله أحداً تصغير هذا الفاجر، إنّه شيطان خرج ليغوي أصحابي وشيعتي فاحذروه، وليبلّغ الشاهدُ الغائبَ إني عبدالله وابن أمته ضمّتني الأصلاب والأرحام وإنّي لميّت ومبعوث ثم مسؤول»**(٢).

ج ـ طرح المنهج الصحيح لفهم الشريعة:

إنّ الإمام الصادق(عليه السلام) في الوقت الذي كان يواجه هذه التيارات الالحادية الخطيرة على الأُمّة كان مشغولاً أيضاً بمواجهة التيارات التي تتبنّى المناهج الفقهية التي تتنافى مع روح التشريع الاسلامي، والتي تكمن خطورتها في كونها تعرّض الدين الى المحق الداخلي والتغيير في محتواه، من هنا كان الإمام(عليه السلام) ينهى أصحابه عن العمل بها حتى قال لأبان: **«يا أبان! إنّ السُنة إذا قيست محق الدين»**(٣).

وكان للإمام نشاط واسع لإثبات بطلان هذه المناهج وبيان عدم شرعيتها.

---

(١) اختيار معرفة الرجال للكشي: ٣٩٨ ح ٧٤٤ وعنه في الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ٣٧٥/٢.

(٢) المصدر السابق: ٤٠٠ ح ٧٤٦ وعنه في الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ٢٣٥/١.

(٣) بحار الأنوار: ٤٠٥/١٠٤ عن المحاسن للبرقي.

لقد كان أبو حنيفة يتبنّىٰ مذهب القياس ويعمل به كمصدر من مصادر التشريع في استنباط الاحكام ، لكنّ الإمام(عليه السلام) كان ينكر عليه ذلك ويبيّن له بطلان مذهبه.

وإليك بعض المحاورات التي جرت بينه وبين الإمام(عليه السلام) :

ذكروا أنه وفد ابن شبرمة مع أبي حنيفة علىٰ الإمام الصادق (عليه السلام) فقال لابن شبرمة: «مَن هذا الذي معك؟»

فأجابه قائلاً : رجل له بصر، ونفاذ في أمر الدين.

فقال له (عليه السلام) : « **لعله الذي يقيس أمر الدين برأيه ؟**» فأجابه: نعم.

والتفت الإمام (عليه السلام) الى أبي حنيفة قائلاً له: «**ما اسمك ؟**» فقال: النعمان.

فسأله (عليه السلام) : «**يا نعمان ! هل قست رأسك ؟**»

فأجابه : كيف أقيس رأسي؟

فقال له (عليه السلام) : « **ما أراك تحسن شيئاً. هل علمت ما الملوحة في العينين ؟ والمرارة في الأُذنين ، والبرودة في المنخرين والعذوبة في الشفتين؟**

فبهر أبو حنيفة وأنكر معرفة ذلك ووجّه الإمام إليه السؤال التالي: « **هل علمت كلمة أوّلها كفر، وآخرها إيمان ؟**» فقال: لا .

والتمس أبو حنيفة من الإمام أن يوضّح له هذه الأُمور فقال له (عليه السلام) : **«أخبرني أبي عن جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: إن الله تعالىٰ بفضله ومنّه جعل لابن آدم الملوحة في العينين ليلتقطا ما يقع فيهما من القذىٰ ، وجعل المرارة في الاذنين حجاباً من الدوابّ فإذا دخلت الرأس دابة ، والتمست الىٰ الدماغ ، فإن ذاقت المرارة التمست الخروج، وجعل الله البرودة في المنخرين يستنشق بهما الريح ولولا ذلك لانتن الدماغ ، وجعل العذوبة في الشفتين ليجد لذة استطعام كل شيء»**.

والتفت أبو حنيفة الى الإمام (عليه السلام) قائلاً : أخبرني عن الكلمة التي أوّلها كفر وآخرها إيمان ؟

فقال له (عليه السلام) : **«إن العبد إذا قال: لا إله فقد كفر فإذا قال إلّا الله فهو الإيمان»** .

وأقبل الإمام على أبي حنيفة ينهاه عن العمل بالقياس حيث قال له: **« يا نعمان حدثني أبي عن جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنه قال : أول من قاس أمر الدين برأيه إبليس ، قال له الله تعالى : اسجد لآدم فقال: ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ »**[1].

والتقى أبو حنيفة مرّة أُخرى بالإمام الصادق (عليه السلام) فقال له الإمام : **« ما تقول في محرم كسر رباعية ظبي ؟»**.

فأجابه أبو حنيفة: يابن رسول الله ما أعلم ما فيه .

فقال له (عليه السلام) : **« ألا تعلم أن الظبي لا تكون له رباعية ، وهو ثني أبداً ؟!»**[2].

ثم التقى أبو حنيفة مرّة ثالثة بالإمام الصادق ، وسأله الإمام (عليه السلام) عن بعض المسائل ، فلم يجبه عنها.

وكان من بين ما سأله الإمام هو : **« أيهما أعظم عند الله القتل أو الزنا ؟»** فأجاب : بل القتل.

فقال (عليه السلام) : **« كيف رضي في القتل بشاهدين، ولم يرضَ في الزنا إلّا بأربعة ؟»**

وهنا لم يمتلك أبو حنيفة جواباً حيث ردّ الإمام قياسه بشكل واضح .

ثم وجّه الإمام (عليه السلام) الى أبي حنيفة السؤال التالي : **«الصلاة أفضل أم الصيام؟»** فقال: بل الصلاة أفضل .

---

(١) أصول الكافي: ١/٥٨ ح ٢٠ وعنه في بحار الأنوار : ٤٧/٢٢٦ ح ١٦ .

(٢) مرآة الجنان : ١ / ٣٠٤ ، ونزهة الجليس : ٢ / ٥٧ .

فقال الإمام (عليه السلام) : « فيجب ـ علىٰ قياس قولك ـ علىٰ الحائض قضاء ما فاتها من الصلاة في حال حيضها دون الصيام ، وقد أوجب الله تعالىٰ قضاء الصوم دون الصلاة؟!» .

وبهذا أراد الإمام أن يثبت لأبي حنيفة أن الدين لا يُدرك بالقياس والاستحسان. ثم أخذ الإمام يركّز على بطلان مسلكه القياسي فوجّه له سؤالاً آخر هو : « البول أقذر أم المني ؟» فقال له : البول أقذر .

فقال الإمام (عليه السلام) : « يجب علىٰ قياسك أن يجب الغسل من البول؛ لأنه أقذر، دون المنيّ ، وقد أوجب الله تعالىٰ الغسل من المني دون البول ».

ثم استأنف الإمام (عليه السلام) حديثه في الردّ عليه قائلاً: « ما ترىٰ في رجل كان له عبد فتزوّج ، وزوّج عبده في ليلة واحدة فدخلا بأمرأتيهما في ليلة واحدة، ثم سافرا وجعلا إمرأتيهما في بيت واحد وولدتا غلامين فسقط البيت عليهم فقتلت المرأتان ، وبقي الغلامان أيهما في رأيك المالك ؟ وأيّهما المملوك وأيّهما الوارث ؟ وأيّهما الموروث ؟».

وهنا أيضاً صرح أبو حنيفة بعجزه قائلاً : إنما أنا صاحب حدود .

وهنا وجّه اليه الإمام السؤال التالي : « ما ترىٰ في رجل أعمىٰ فقأ عين صحيح، وقطع يد رجل كيف يقام عليهما الحدّ ؟».

واعترف مرة أُخرىٰ بعجزه فقال: أنا رجل عالم بمباعث الانبياء...

وهنا وجّه له الإمام السؤال التالي: « أخبرني عن قول الله لموسىٰ وهارون حين بعثهما الىٰ فرعون ﴿لعلّه يتذكّر أو يخشىٰ﴾ [1] ـ ولعلّ منك شكّ ؟» فقال: نعم. فقال له الإمام (عليه السلام) : « وكذلك من الله شكّ إذ قال : لعله ؟ ! » فقال : لا علم لي .

وأخذ الإمام باستفراغ كل ما في ذهن أبي حنيفة من القياس قائلاً له :

---

(١) طه (٢٠) : ٤٤ .

« تزعم أنك تفتي بكتاب الله ، ولست ممّن ورثه ، وتزعم أنك صاحب قياس، وأوّل من قاس إبليس لعنه الله ولم يُبنَ دينُ الاسلام على القياس وتزعم أنك صاحب رأي، وكان الرأي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) صواباً ومن دونه خطأ، لأنّ الله تعالى قال: ﴿فاحكم بينهم بما أراك الله﴾ ولم يقل ذلك لغيره ، وتزعم أنك صاحب حدود، ومن أُنزلت عليه أولى بعلمها منك وتزعم أنك عالم بمباعث الانبياء، وخاتم الانبياء أعلم بمباعثهم منك .

لولا أن يقال دخل على إبن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلم يسأله عن شيء ما سألتك عن شيء. فقس إن كنت مقيساً.

وهنا قال أبو حنيفة للإمام (عليه السلام) : لا أتكلم بالرأي والقياس في دين الله بعد هذا المجلس.

وأجابه الإمام (عليه السلام) : « كلّا إنّ حبّ الرئاسة غير تاركك كما لم يترك من كان قبلك »[1].

وهكذا وقف الإمام (عليه السلام) موقفاً لا هوادة فيه ضدّ هذه التوجّهات الخطيرة على الاسلام فكثّف من نشاطه حولها ولاحق العناصر التي كانت تتبنّى هذه الافكار الدخيلة ليغيّر من قناعاتها .

ونجد للإمام (عليه السلام) موقفاً مع ابن أبي ليلى وهو القاضي الرسمي للحكومة الأُموية وكان يفتي بالرأي قبل أبي حنيفة وقد قابل الإمام الصادق (عليه السلام) وكان معه سعيد بن أبي الخضيب فقال (عليه السلام) : « من هذا الذي معك ؟» قال سعيد : ابن أبي ليلى قاضي المسلمين .

فسأله الإمام (عليه السلام) قائلاً : «تأخذ مال هذا فتعطيه هذا وتفرّق بين المرء وزوجه ولا تخاف في هذا أحداً ؟!» قال: نعم .

(١) الاحتجاج للطبرسي : ٢ / ١١٠ ـ ١١٧ .

قال : «بأيّ شيء تقضي ؟» قال: بما بلغني عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) وعن أبي بكر وعمر» .

قال: فبلغك أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: « أقضاكم عليّ بعدي؟» قال : نعم قال: «كيف تقضي بغير قضاء علي ، وقد بلغك هذا ؟»

وهكذا عرف ابن أبي ليلىٰ أنه قد جانب الحق فيما حكم وأفتىٰ به.

ثم قال له الإمام (عليه السلام) : « التمس مثلاً لنفسك ، فوالله لا اكلّمك من رأسي كلمة أبداً»[1].

وقال نوح بن درّاج[2] لابن أبي ليلىٰ : أكنت تاركاً قولاً قلته أو قضاء قضيته لقول أحد ؟ قال: لا ، إلّا رجل واحد ، قلت : مَنْ هو ؟ قال: جعفر بن محمد (عليه السلام)[3].

د ـ مواجهة التحريف والاستغلال السياسي للقرآن ومفاهيمه:

قام الإمام الصادق(عليه السلام) بحماية القرآن وصيانته من عملية التوظيف السياسي التي تجعل النص القرآني خادماً لأغراض سياسيّة مشبوهة تحاول إسباغ طابع شرعي على الحكم الظالم وشل روح الثورة واطفاء روح المقاومة في نفوس الأُمّة وبالتالي إسقاط شرعيّة القوىٰ الرافضة لهذهِ النظم الظالمة حتىٰ قيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يُعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله علىٰ ما في قلبه وهو ألدّ الخصام* واذا تولىٰ سعىٰ في الارض ليفسد فيها ويهلك**

---

(١) الاحتجاج : ٢ / ١٠٢ .

(٢) نوح بن درّاج من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) / تنقيح المقال : ٣ / ٢٧٥ وابن أبي ليلىٰ هو محمد بن عبدالرحمن مفتي الكوفة وقاضيها ، راجع سير اعلام النبلاء : ٦ / ٣١٠ .

(٣) حلية الاولياء : ٣ / ١٩٣ .

الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾[1].

«أنّها قد نزلت في علي بن أبي طالب»(عليه السلام)[2].

كما زيّف الإمام (عليه السلام) النظرة الجامدة للنصّ القرآني والتي تحاول تعطيله عن المواكبة للواقع المتغيّر والمتطور وحبسه في حدود الظاهر، ولم يسمح بالتأويل الباطني الفاسد. كما قاوم بعنف التفسير الذي يعتمد الرأي بعيداً عن الأحاديث الصحيحة الواردة عن الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام).

قال (عليه السلام): **« من فسّر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ كان إثمه عليه »**[3].

قال(عليه السلام): **« الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمة من بعده »**[4] وقال أيضاً: **« نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله »**[5] وجاء عن زيد بن معاوية عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير قول الله عزّوجلّ: **﴿ وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم ﴾**[6]، **«فرسول الله** (صلى الله عليه وآله) **أفضل الراسخين في العلم قد علّمه الله عزّوجلّ جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلّمه تأويله وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلّه»**[7].

وجاء عنه (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: **﴿ بل هو آيات بيّنات في صدور**

---

(١) البقرة (٢): ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤ / ٧٣ عن أبي جعفر الاسكافي: ٢٤٠.

(٣) تفسير العياشي: ١ / ١٧ وعنه في تفسير الصافي: ١ / ٢١.

(٤) أُصول الكافي: ١ / ٢١٣.

(٥) المصدر السابق.

(٦) آل عمران (٣): ٧.

(٧) أُصول الكافي: ١ / ٢١٣.

الّذين أوتوا العلم ﴾[١]، «أنّهم « هم الأئمة »[٢].

ودخل عليه الحسن بن صالح بن حي فقال له : يابن رسول الله ! ما تقول في قوله تعالىٰ : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾[٣]؟ من أُولو الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ؟ قال: «العلماء».

فلما خرجوا قال الحسن : ما صنعنا ! ألا سألناه من هؤلاء العلماء ؟!

فرجعوا إليه، فسألوه فقال: « الأئمة منّا أهل البيت »[٤].

لقد ثبّت (عليه السلام) بأن فهم القرآن لا يتمّ إلّا بالرجوع الىٰ ما جاء عن الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) لأنه يضمن الفهم الصحيح لنصوص القرآن الكريم.

كما أنّه فتح آفاقاً جديدة لفهم القرآن وعلومه وأحكامه فحدّد المحكم والمتشابه والتأويل والتفسير والمطلق والمقيّد والجري والانطباق ... الى غيرها من شؤون القرآن الكريم.

٣ ـ المحور الروحي والأخلاقي

لاحظ الإمام الصادق (عليه السلام) تأثير موجات الانحراف الفكري والسياسي علىٰ الأُمّة ومدى إفسادها لعقول الناس، وما لعبته سياسة الأُمويين من خلق أجواء ملائمة لطغيان النزعات الإلحادية والقبلية حتىٰ عمّ الانفلات

(١) العنكبوت (٢٩): ٤٩.

(٢) تفسير الصافي : ١ / ١٢.

(٣) النساء (٤) : ٥٩.

(٤) بحار الأنوار : ٢٩/٤٧.

الأخلاقي، كما كثر في زمانه (عليه السلام) رفع شعار الورع والتقوى. كل ذلك أفقد الأُمّة قيمها وأبعدها عن الأخلاق التي أمر بها الرسول (صلى الله عليه وآله) وأرادها لأُمّته.

من هنا كان دور الإمام (عليه السلام) وتوجّهه الروحي والاخلاقي مع الأُمة في عدّة أبعاد:

البعد الأوّل: كونه (عليه السلام) القدوة الصالحة والمثال الواقعي الذي تتجسّد في شخصه أخلاق الرسالة؛ مما يكون موقعاً لإشعاع الفضيلة ونموّها، ويكشف من جانب آخر زيف الأنانيّة ونزعات الذات.

البعد الثاني: تقديم مجموعة من الوصايا والرسائل والتوجيهات التربويّة والاخلاقيّة التي عالج من خلالها الخواء الروحي والانحراف الأخلاقي الذي نما في سنوات الانحراف.

أما في البعد الأول فنجد الإمام (عليه السلام) كان يدعو الناس الى الفضيلة برفق ولين ويجادلهم بالتي هي أحسن، وكان يسمح للسائلين بطرح اسئلتهم مهما كانت وكان يوضّح لهم ما كان غامضاً عليهم.

كما كان لا يقبل من مقرّبيه أن يتشدّدوا بدعوتهم حيث كان يقول لهم: «**لأحملنّ ذنوب سفهائكم على علمائكم، ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون، وما يدخل به الأذى علينا، أن تأتوه فتؤنّبوه وتعذلوه وتقولوا له قولاً بليغاً**» فقال له بعض أصحابه إذاً لا يقبلون منّا، قال: **اهجروهم واجتنبوا مجالسهم**[1].

فالإمام هنا يوصي العالم من أصحابه أن لا يتخلى عن رسالته في إرشاد الإنسان الجاهل المنتمي الى مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) بحجة تماديه وجرأته بارتكاب المخالفات مما يعكس الوجه السلبي لاتّباع الإمام فيؤذي دعاة

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ٣ / ٢٩١.

الإصلاح.

ففي نظر الإمام (عليه السلام) لا يجوز تركه وإهماله إلّا بعد اليأس من إصلاحه وازالة الشك من ذهنه.

البعد الثالث: وكان يحرص علىٰ شدّ أواصر المجتمع الإسلامي وإشاعة الفضيلة بين الناس ليقضي علىٰ العداوة والبغضاء، فكان (عليه السلام) يدفع الىٰ بعض أصحابه من ماله ليصلح بين المتخاصمين علىٰ شيء من حطام الدنيا من أجل القضاء علىٰ المقاطعة والهجران لئلّا يدفعهم التخاصم الىٰ الترافع لحكّام الجور والذي كان قد نهى (عليه السلام) عنه.

قال سعيد بن بيان: مرّ بنا المفضّل بن عمر وأنا وختني نتشاجر في ميراث، فوقف علينا ساعة ثم قال لنا: تعالوا الىٰ المنزل، فأتيناه فأصلح بيننا بأربعمائة درهم فدفعها إلينا من عنده حتىٰ اذا استوثق كل واحد منّا من صاحبه قال المفضّل: أما إنها ليست من مالي، ولكنّ أبا عبدالله (عليه السلام) أمرني إذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيءٍ أن أُصلح بينهما وأفتديهما من ماله، فهذا من مال أبي عبدالله (عليه السلام)[1].

وهذا الأُسلوب يأتي كخطوة عملية ترفد ذاك التوجيه الذي تضمّن حرمة الترافع إلىٰ حكّام الجور.

وكان (عليه السلام) يحثّهم علىٰ صلة الرحم. ومن حسن سيرته ومكارم أخلاقه أنّه كان يصل من قطعه ويعفو عمّن أساء اليه، كما ورد أنه وقع بينه وبين عبدالله بن الحسن كلام، فأغلظ عبدالله في القول ثم افترقا وذهبا الىٰ المسجد فالتقيا علىٰ الباب فقال الصادق (عليه السلام) لعبد الله بن الحسن: كيف أمسيت يا أبا

---

(١) أُصول الكافي: ٢ / ٢٠٩.

محمد ؟ فقال عبدالله: ـ بخير (كما يقول المغضب) ـ. قال الصادق (عليه السلام) : «يا أبا محمد أما علمت أنّ صلة الرحم تخفّف الحساب؟» ! ثمّ تلى قوله تعالى : ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾[١]. فقال عبدالله : فلا تراني بعدها قاطعاً رحماً[٢]. فكان يصل رحمه ويبذل لهم النصح، كما كان يصل الفقراء في اللّيل سرّاً وهم لا يعرفونه.

قال هشام بن الحكم (رحمه الله) كان أبو عبدالله اذا أعتم وذهب الليل شطره ، أخذ جراباً فيه خبز ولحم ودراهم فحمله على عنقه ثمّ ذهب الى أهل الحاجة من أهل المدينة فقسّمه فيهم وهم لا يعرفونه وما عرفوه حتى مضى الى الله تعالى[٣].

وقال مصادف :كنت مع أبي عبدالله (عليه السلام) ما بين مكة والمدينة فمررنا على رجل في أصل شجرة. وقد ألقى بنفسه ، فقال (عليه السلام) : «مل بنا الى هذا الرجل فإنّي أخاف أن يكون قد أصابه العطش». فملنا إليه فإذا هو رجل من النصارى طويل الشعر، فسأله الإمام (عليه السلام): أعطشان أنت ؟ فقال: نعم، فقال الإمام (عليه السلام): «انزل يا مصادف فاسقه». فنزلت وسقيته ثم ركبت وسرنا . فقلت له : هذا نصراني ، أفتتصدق على نصراني ؟ فقال : نعم إذا كانوا بمثل هذه الحالة»[٤].

وكان يرى (عليه السلام) أن الإعراض عن المؤمن المحتاج للمساعدة استخفاف به، والاستخفاف بالمؤمن استخفاف بهم (عليهم السلام)، فقد كان عنده جماعة من أصحابه فقال لهم : «ما لكم تستخفّون بنا؟!» فقام إليه رجل من أهل

(١) الرعد (١٣): ٢١ .

(٢) كشف الغمة: ٢/٣٧٥ عن الجنابذي ، وعنه في بحار الأنوار : ٤٧/٢٧٤ .

(٣) بحار الأنوار : ٤٧/٣٨ عن فروع الكافي: ٤/٨.

(٤) وسائل الشيعة : ٦ / ٢٨٥ الحديث ٣ .

خراسان فقال : معاذ الله أن نستخفّ بك أو شيءٍ من أمرك ! فقال (عليه السلام) : **«إنّك أحد من استخفّ بي».**

فقال الرجل : معاذ الله أن أستخفّ بك!! فقال له (عليه السلام) : **«ويحك ألم تسمع فلاناً ونحن بقرب الجحفة وهو يقول لك : إحملني قدر ميل فقد والله أعييت . فوالله ما رفعتَ له رأساً ، لقد إستخففت به ومن استخفّ بمؤمن فينا استخفّ وضيّع حرمة الله عزّوجلّ»**[1].

أما البعد الثاني: فكما قلنا كان يتمثّل في مجموعة الوصايا والرسائل والمناظرات والتوجيهات التي عالج الإمام(عليه السلام) من خلالها الإخفاق الروحي الذي كانت الأُمّة قد تعرّضت لايصالها الى المستوى الايماني الذي كانت تريده الرسالة.

فقد خاطب(عليه السلام) شيعته وأصحابه قائلاً: **«فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث، وأدّىٰ الأمانة وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا جعفري، فيسرّني ذلك، ويدخل عليّ منه السرور وقيل: هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه، وعاره وقيل: هذا أدب جعفر...»**[2].

وأراد الإمام(عليه السلام) أن يعزّز في نفوسهم صحة مذهبهم باعتباره يمثّل الخط الإلهي ، فانتقد من جانب الاتّجاهات المنحرفة عن خطّ الرسالة وفتح شيعته آفاقاً توجيهيّة قائلاً: **«أما والله ما أحد من الناس أحبّ اليّ منكم وإن الناس قد سلكوا سُبلاً شتّىٰ فمنهم من أخذ برأيه، ومنهم من اتّبع هواه، ومنهم من اتبع الرواية، وانكم أخذتم بأمر له أصل فعليكم بالورع والاجتهاد واشهدوا الجنائز، وعودوا المرضى واحضروا مع قومكم في مساجدهم للصلاة، أما يستحي الرجل أن يعرف جاره حقه،**

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة : ٢ / ٢٩٦ .

(٢) أُصول الكافي: ٢/٦٣٦ وعنه في وسائل الشيعة: ١٢/٥ ح ٢، نهج السعادة: ٨/٣٢.

ولا يعرف حق جاره»[١].

كما أوصى أحد أصحابه بأن لا ينتقدوا من هو ضعيف الايمان من بينهم بل يجب شدّ أزره وتقويم ضعفه مادام قد اختار طريق الحقّ وذلك كما في قوله(عليه السلام) : «**يا ابن جندب لا تقل في المذنبين من أهل دعوتكم إلّا خيراً، واستكينوا الى الله في توفيقهم، وسلوا التوبة لهم، فكل من قصدنا وولانا، ولم يوال عدوّنا، وقال ما يعلم وسكت عما لا يعلم أو اشكل عليه فهو في الجنة**»[٢] وتجد الإمام يغرس في أصحابه صفة التواضع التي من علاماتها السلام على كل من يلقاه فإنّ ذلك يتمّ عن سلامة النفس، واعتبر من التواضع ترك المناقشة العقيمة خصوصاً في المسائل العلمية فيما اذا كانت تنطلق من الشعور بالتفوّق، واعتبر أيضاً من علامات التواضع أن لا يحب الشخص بأن يمتدح على ما يتمتع به من علم وأدب وتقوى فإنّ حبّه لذلك حبّ للظهور والعظمة وليس من التواضع في شيء.

قال(عليه السلام): «**من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس وأن تسلّم على من تلقى وأن تترك المراء وان كنت محقّاً، ولا تحب أن تحمد على التقوى**»[٣].

وكان (عليه السلام) يوصي أصحابه بالتسليم للحق في الحوار أو النقد وعدم التأثر بالعصبية للقوم أو العشيرة أو المذهب فيكون الانحياز حائلاً دون سماع الحقيقة التي هي شعار أهل البيت(عليهم السلام) فقال: «**المُسلّم للحق أوّل ما يصل الى الله...**»[٤].

---

(١) أُصول الكافي: ١٤٦/٨ ح ١٢١ وعنه الف حديث في المؤمن ، للشيخ هادي النجفي .

(٢) تحف العقول : وصيته(عليه السلام) لعبدالله بن جندب: ٣٠٢.

(٣) الحكم الجعفرية : ٣٥.

(٤) المصدر السابق : ٦٠.

البعد الرابع: ومن الأُمور التربوية التي أكّدها الإمام (عليه السلام) في نفوس أصحابه ـ ليكونوا بالمستوى المطلوب من النضج والسلامة في التفكير ولئلّا تكون مشاريعهم وتخطيطاتهم عرضة للفساد ـ هي الدعوة الى التثبت في الأُمور.

قال (عليه السلام) : **«مع التثبت تكون السلامة ومع العجلة تكون الندامة، ومن ابتدأ بعمل في غير وقته كان بلوغه في غير حينه»**[١].

مواصلة بناء جامعة أهل البيت الاسلامية

لقد واصل الإمام الصادق (عليه السلام) تطويره للمدرسة التي أسّسها الأئمة (عليهم السلام) من قبله وانتقل بها إلىٰ آفاقٍ أرحب فاستقطبت الجماهير من مختلف البلاد الإسلامية ، لأنّها قد لبّت الرغبة في نفوسهم وسعت لملء الفراغ الذي كانت تعانيه الأُمّة آنذاك.

خصائص جامعة أهل البيت (عليهم السلام)

١ ـ من مميزات مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) واختلافها عن باقي المدارس أنّها لم تنغلق في المعرفة علىٰ خصوص العناصر الموالية فحسب وإنّما انفتحت لتضمّ طلّاب العلم من مختلف الاتّجاهات، فهذا أبو حنيفة الذي كان يخالف منهج الإمام (عليه السلام) حيث سلك في القياس مسلكاً استوجب شدّة الإنكار عليه وعلىٰ أصحابه وهو الذي أطلق علىٰ مؤمن الطاق اسم شيطان الطاق كان ممّن يختلف إلى الإمام الصادق (عليه السلام) ويسأله عن كثير من المسائل

(١) الحكم الجعفرية: ٦٠.

وقد روىٰ عن الإمام الصادق (عليه السلام) وحدّث عنه واتّصل به في المدينة مدّة من الزمن، وناصر زيد بن علي وساهم في الدعوة الىٰ الخروج معه وكان يقول ضاها خروج زيد خروج رسول الله(صلى الله عليه وآله) يوم بدر(١).

٢ ـ انفتحت مدرسة الإمام (عليه السلام) على مختلف فروع المعرفة الاسلامية والإنسانية فاهتمّت بالقرآن والسنة والفقه والتأريخ والأُصول والعقيدة والكلام والفلسفة الاسلامية كما اهتمّت بعلوم أُخرى مثل علم الفلك، والطبّ، والحيوان، والنبات، والكيمياء، والفيزياء.

٣ ـ لم تتخذ مدرسة الإمام طابع الانتماء الى الدولة الأُموية أو العباسية ولم تتلوّث بسياسة الحاكمين ولم تكن أداة لخدمة الحكّام، بل رأت الأُمة أنّ هذه المدرسة هي التي تحقّق لها تطلّعاتها؛ إذ كانت ترى على رأسها وريث النبوة وعملاق الفكر المحمّدي الإمام أباعبدالله الصادق (عليه السلام) المعروف بمواقفه واستقامته حتى لقّب بالصادق لسموّ أخلاقه وعدم مساومته وخضوعه لسياسة الحكّام المنحرفين.

من هنا شكّلت مدرسته حصناً سياسياً وفكرياً يلوذ به طلّاب الحقيقة ومَن كان يشعر بالمسؤولية ويريد التخلّص من التيه الذي خلّفته التيارات الفكرية والسياسية المتضاربة في أهدافها ومساراتها.

٤ ـ وتميّزت أيضاً جامعة الإمام الصادق (عليه السلام) بمنهجها السليم وعمقها الفكري ولم تكن أُطروحتها في الإعداد العلمي مبتنية على حشو الذهن، وإنّما كانت تعتمد الفكر والتعمّق والأصالة ونموّ الكفاءات العلمية وتعتبرها أُسساً مهمّة في المنهج العلمي والتربوي.

---

(١) حياة الإمام محمد الباقر: ١ / ٧٥.

٥ ـ انتجت هذه الجامعة رموزاً للعلم والتقوىٰ والاستقامة وعرفت بالعطاء العلمي والديني للأُمة وبما أبدعته في تخصّصاتها العلمية وما حققته من إنجازات علىٰ صعيد الدعوة والاصلاح بين الناس ، وأصبح الانتساب الى مدرسة الإمام (عليه السلام) مفخرة للمنتسب، كما ناهز عدد طلّابها الأربعة آلاف طالب.

٦ ـ واتّسعت هذه المدرسة فيما بعد وشكّلت عدّة فروع لها في الكوفة والبصرة، وقم، ومصر.

٧ ـ إنّ الإمام (عليه السلام) لم يجعل من جامعته العلمية والجهد المبذول فيها نشاطاً منفصلاً عن حركته التغييرية وانشطته الأُخرىٰ، بل كانت جزءاً من برنامجه الاصلاحي ، لأنها كانت تساهم بحقّ في خلق المناخ المناسب لبناء الفرد الصالح، وكانت امتداداً واعياً ومؤثّراً في المسيرة العامّة للأُمّة فضلاً عن النتائج السياسية الايجابية الخاصّة حيث نجد الكادر العلمي الحاضر في مدرسة الإمام (عليه السلام) هو نفسه الذي يحضر في نشاطات الإمام الخاصّة .

٨ ـ تميّزت مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) بالارتباط المباشر بمصادر التشريع والمعرفة وهما الكتاب الكريم والسنّة النبوية الشريفة بنحوٍ لا مثيل له.

ومن هنا حرص الإمام الصادق (عليه السلام) علىٰ أن يحقّق من خلال مدرسته إنجازاً بخصوص تدوين الحديث والحفاظ علىٰ مضمونه، بعد أن كان الحديث قد تعرّض في وقت سابق للضياع والتحريف والتوظيف السياسي المنحرف ، بسبب المنع من تدوينه. ولم يستجب الأئمّة المعصومون(عليهم السلام) لقرار المنع بالرغم من كل الشعارات التي رفعت لتجعل الهدف من حظر

تدوين الحديث هو الحفاظ على القرآن وسلامته من التحريف.

بينما كان الهدف البعيد من منع تدوين الحديث هو تغييب الحديث النبوي الذي كان يؤكّد ربط الأُمّة بأهل البيت (عليهم السلام) فاستهدف الحكّام صرف الناس عن أهل البيت (عليهم السلام)؛ لأنّ الحديث حين كان يؤكّد الارتباط بهم كان يحول بينهم وبين الانسياق وراء كلّ ناعق سياسي أو حاكم جائر.

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : **«... أما والله إنّ عندنا ما لا نحتاج الى أحد والناس يحتاجون الينا . إن عندنا الكتاب بإملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وخطّه علي بيده صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها كل حلال وحرام»**[1].

وجاء عنه (عليه السلام) أنه قال : **« علمنا غابر، ومزبور ونكت في القلوب ونقر في الاسماع وإن عندنا الجفر الاحمر، والجفر الابيض، ومصحف فاطمة (عليها السلام) وان عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج الناس اليه »**[2].

٩ ـ وتميزت أيضاً مدرسة الإمام (عليه السلام) بالاهتمام بالتدوين بشكل عام بل ومدارسة العلم لإنمائه وإثرائه .

فكان (عليه السلام) يأمر طلّابه بالكتابة ويؤكد لهم ضرورة التدوين والكتابة كما تجد ذلك في قوله (عليه السلام) : **« إحتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون اليها »**[3].

وكان يشيد بنشاط زرارة الحديثي إذ كان يقول : **«رحم الله زرارة بن أعين لولا زرارة لاندرست أحاديث أبي»**.

---

(١) بصائر الدرجات: ١٤٩.

(٢) الارشاد: ٢/١٨٦ وعنه في مناقب آل أبي طالب: ٤/٣٩٦، والاحتجاج : ٢/١٣٤، وبحار الأنوار: ٤٧/٢٦ وزادوا فيه : فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال : أما الغابر فالعلم بما يكون .

(٣) الكافي : ١ / ٥٢ .

وقال فيه وفي جماعة من أصحابه منهم أبو بصير، ومحمد بن مسلم، وبريد العجلي: **«لولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا الفقه، هؤلاء حفّاظ الدين وأُمناء أبي (عليه السلام) على حلاله وحرامه وهم السابقون الينا في الدنيا والآخرة»**[١].

وكان يأمر طلّابه أيضاً بالتدارس والمباحثة فقد قال للمفضّل بن عمر: **«اكتب وبث علمك في إخوانك، فإنْ متّ فأورث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلّا بكتبهم»**[٢].

وعلى هذا الاساس اهتمّ أصحابه بكتابة الأحاديث وتدوينها حتى تألّفت واجتمعت الأُصول الاربعمائة المعروفة[٣]، والتي شكّلت المجاميع الحديثية الاولى عند الشيعة الإمامية.

١٠ ـ وممّا تميزّت به مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) هو إنماء الفكر الإسلامي وتطويره من خلال التخصص العلمي في مختلف فروع المعرفة الإسلامية وسوف نشير الى هذه الميزة بالتفصيل.

التخصص العلمي في مدرسة الإمام (عليه السلام)

والتفت الإمام في تلك المرحلة لأهمّية الاختصاص ودوره في إنماء الفكر الإسلامي وتطويره، وقدرته في استيعاب الطاقات الكثيرة الوافدة على مدرسته، وبالتخصّص تتنوّع عطاءاته، فيكون الابداع أعمق نتاجاً وأكثر احتواء، لذا وجّه الإمام (عليه السلام) طلّابه نحو التخصّصات العلمية، وتصدى بنفسه

---

(١) وسائل الشيعة: ٨ / ٥٧ ـ ٥٩.

(٢) أصول الكافي: ١ / ٥٢.

(٣) وسائل الشيعة: ١٨ / ٥٧ ـ ٥٩.

للإشراف فكان يعالج الإشكالات التي تستجد، ويدفع مسيرة الحركة العلمية الى الأمام. ولا يمكن في هذا البحث أن نستوعب كل هذه التخصّصات وإنّما نقتصر على ذكر بعض النماذج فيما يأتي:

أ ـ في الطب: سئل الإمام عن جسم الإنسان فقال (عليه السلام): **«ان الله خلق الانسان على إثني عشر وصلاً وعلى مائتين وثمانية واربعين عظماً، وعلى ثلاثمائة وستين عرقاً، فالعروق هي التي تسقي الجسد كله، والعظام تمسكه واللحم يمسك العظام والعصب تمسك اللحم، وجعل في يديه اثنين وثمانين عظماً في كل يد إحدى وأربعين عظماً، منها في كفه خمسة وثلاثون عظماً وفي ساعده إثنان، وفي عضده واحد، وفي كتفه ثلاثة، فذلك إحدى وأربعون، وكذلك في الأُخرى، وفي رجله ثلاثة وأربعون عظماً، منها في قدمه خمسة وثلاثون عظماً وفي ساقه إثنان، وفي ركبته ثلاثة، وفي فخذه واحد وفي وركه إثنان وكذلك في الأُخرى، وفي صلبه ثماني عشر فقاره وفي كل واحد من جنبيه تسعة أضلاع وفي وقصته ثمانية وفي رأسه ستة وثلاثون عظماً وفي فيه ثماني وعشرون عظماً أو اثنان وثلاثون عظماً»**[1].

يقول الشيخ ميرزا محمد الخليلي: ولعمري إن هذا الحصر والتعداد هو عين ما ذكره المشرّحون في هذا العصر، لم يزيدوا ولم ينقصوا[2].

وشرح الإمام الصادق (عليه السلام) كيفية دوران الدم في الجسم ولأول مرة في حديثه مع المفضّل بن عمر، وقد سبق بذلك العالم (هارفي) الذي عرف بأنه مكتشف الدورة الدموية.

قال (عليه السلام): **«فكّر يا مفضّل في وصول الغذاء الى البدن وما فيه من التدبير، فإنّ**

(١) المناقب: ٤ / ٢٥٦، وبحار الأنوار: ١٤ / ٤٨٠

(٢) طب الإمام الصادق (عليه السلام): ٣.

الطعام يصير الى المعدة فتطبخه، وتبعث بصفوه الى الكبد في عروق رقاق واشجة بينها، قد جعلت كالمصفى للغذاء، لكيلا يصل الى الكبد منه شيء فينكأها وذلك أن الكبد رقيقة لا تحتمل العنف، ثم إن الكبد تقبله فيستحيل فيها بلطف التدبير دماً، فينفذ في البدن كله، في مجارٍ مهيّأة لذلك بمنزلة المجاري التي تهيّأ للماء حتى يطّرد في الارض كلّها وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول الى مغايض أعدّت لذلك فما كان منه من جنس المرّة الصفراء جرى الى المرارة، وما كان من جنس السوداء جرى الى الطحال وما كان من جنس البلّة والرطوبة جرى الى المثانة فتأمّل حكمة التدبير في تركيب البدن، ووضع هذه الاعضاء منه موضعها، واعداد هذه الأوعية فيه لتحمل تلك الفضول لئلّا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه، فتبارك من أحسن التقدير وأحكم التدبير»[1].

ب ـ في الوقاية الصحية: حذر الإمام من الامراض المعدية وأوصى بعدم الاختلاط بالمصابين بمثل مرض الجذام حيث قال فيه: «لا يكلّم الرجل مجذوماً إلّا أن يكون بينهما قدر ذراع»[2]، وقد جاء في الطب الحديث أنّ ميكروب الجذام ينتشر في الهواء حول المصاب اكثر من مسافة متر.

وقال (عليه السلام) أيضاً: «كُلّ داء من التخمة»[3].

وقال (عليه السلام): «اغسلوا أيديكم قبل الطعام وبعده»[4] فإنّ غسل اليدين قبل الطعام تعقيم من الجراثيم المحتملة والغسل بعد الطعام يعدّ من النظافة.

ج ـ علم الحيوان: قال (عليه السلام) في مملكة النمل: «انظر الى النمل واحتشاده في

(١) بحار الأنوار: ٥٧/٣ عن كتاب التوحيد للمفضل بن عمر الجعفي.

(٢) وسائل الشيعة: ٢ / ٢٠٨.

(٣) بحار الأنوار: ٣٣٦/٦٣.

(٤) المصدر السابق: ٣٥٦/٦٣

جمع القوت وإعداده فإنك ترىٰ الجماعة منها اذا نقلت الحبّ الى زبيتها[١] بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام أو غيره، بل للنمل في ذلك من الجد والتشمير ما ليس للناس مثله. أما تراهم يتعاونون علىٰ النقل كما يتعاون الناس علىٰ العمل، ثم يعمدون الىٰ الحب فيقطعونه لكيلا ينبت فيفسد عليهم[٢] فإن أصابه ندى أخرجوه فنشروه حتىٰ يجف ثم لا يتخذ النمل الزبية إلّا في نشر من الارض كيلا يفيض السيل فيغرقها، وكل هذا منه بلا عقل، ولا روّية بل خلقة خلق عليها لمصلحة من الله عزّوجلّ[٣].

وتكلم الإمام أيضاً في كلٍ من علوم: النبات، والفلك، والكيمياء، والفيزياء والعلاجات النباتية[٤] كما تكلّم في الفلسفة والكلام ومباحث الإمامة والسياسة والمعرفة والفقه وأُصوله والحديث والتفسير والتأريخ.

وتخصص من طلّاب الإمام (عليه السلام) في مباحث الكلام كلٌّ من: هشام بن الحكم، وهشام بن سالم، ومؤمن الطاق، ومحمد بن عبدالله الطيّار، وقيس الماهر وغيرهم.

وتخصّص في الفقه وأُصوله وتفسير القرآن الكريم: زرارة بن أعين، ومحمد بن مسلم، وجميل بن درّاج، وبريد بن معاوية، واسحاق بن عمّار وعبدالله الحلبي، وأبو بصير، وأبان بن تغلب، والفضيل بن يسار، وأبو حنيفة، ومالك بن أنس، ومحمد بن الحسن الشيباني، وسفيان بن عيينه، ويحيىٰ بن سعيد، وسفيان الثوري.

---

(١) الزبية ـ بضم فسكون ـ الزابية لا يعلوها ماء، جمعها زبى.

(٢) اذا خشي النمل من الحبة المدخرة أن تنبت في الارض فلقتها نصفين، وقد تفلق بعض الحبوب كحب الكزبرة الى اربعة أقسام لأن نصف الكزبرة أيضاً ينبت.

(٣) التوحيد للمفضل: ٦٦، وبحار الأنوار: ٣/ ٦١ و ٦٢ / ١٠٢.

(٤) راجع حياة الإمام الصادق للشيخ باقر شريف القرشي: ٢٨٩/٢ وما بعدها.

كما تخصّص في الكيمياء: جابر بن حيان الكوفي.

وتخصّص في حكمة الوجود: المفضّل بن عمر الذي أملىٰ عليه الإمام الصادق (عليه السلام) كتابه الشهير المعروف (بتوحيد المفضّل).

ونشط طلاب الإمام في نتاجاتهم كلٌّ حسب اختصاصه في التأليف والمناظرة، يدل على ذلك ما جمعه السيد حسن الصدر عن مؤلّفات الشيعة في هذه الفترة وقد ذكر أنها وصلت الى ستة آلاف وستمائة كتاب[1].

وبرز في المناظرة: هشام بن الحكم وكان الإمام الصادق (عليه السلام) مسروراً بمناظرات هشام وحين استمع مناظراته مع زعيم المعتزلة ـ عمرو بن عبيد ـ وأخبره بانتصاره عليه قال له الإمام (عليه السلام): «**يا هشام من علّمك هذا** قال: يابن رسول الله جرىٰ علىٰ لساني قال الإمام (عليه السلام): «**هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسىٰ**»[2].

ومن الاهداف الكُبرىٰ التي خطّط لها الإمام (عليه السلام) في مدرسته الى جانب الاختصاصات الأُخرىٰ هو تنشيط حركة الاجتهاد الفقهي الخاص الى جانب التفقّه في الدين بشكل عام.

من هنا نجد تأصيل منهج الاجتهاد الفقهي واستنباط أحكام الشريعة، قد تمثّل في الرسائل العلميّة التي دوّنها أصحابه في خصوص اصول الفقه وفي الفقه والحديث والتي تميّزت بالاعتماد على مدرسة أهل بيت الوحي(عليهم السلام) واتّخاذها أساساً للفقه والإفتاء دون الرأي والاستحسان.

قال (عليه السلام) : «**حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي**

(١) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام: ٢٨٨.

(٢) راجع الاحتجاج: ٢ / ١٢٥ ـ ١٢٨.

حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحديث رسول الله قول الله عزّوجلّ »[١].

وقال (عليه السلام): « إنا لو كنّا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين ولكنّا نفتيهم بآثار من رسول الله (صلى الله عليه وآله) واصول علم عندنا نتوارثها كابر عن كابر، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضّتهم »[٢].

وقد تكفّلت كتب أُصول الفقه بيان قواعد استنباط الأحكام ومناهجها وكيفة التعامل مع الأحاديث المدوّنة في عامة موسوعات الحديث وأصوله.

وعلّم طلّابه كيفية استنباط الأحكام من مصادر التشريع كما علّمهم كيفية التعامل مع الأحاديث المتعارضة. قال(عليه السلام) فيما عارض القرآن: « ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف »[٣] وقال أيضاً: « إنّ على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه »[٤].

وفي حالة تعارض الاحاديث فيما بينها قال (عليه السلام): « اذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإلّا فالّذي جاءكم به أولى به»[٥].

وقال (عليه السلام): « إنّما علينا أن نلقي إليكم الأُصول وعليكم أن تفرّعوا »[٦].

(١) اصول الكافي: ١ / ٥٣ ـ ٥٨.
(٢) بصائر الدرجات: ٣٠٠.
(٣) الوسائل: ١٨ / ٧٨.
(٤) اصول الكافي: ١ / ٦٩.
(٥) المصدر السابق.
(٦) بحار الأنوار: ٢/٢٤٥ ح ٥٣.

الفصل الثالث

دور الإمام الصادق (عليه السلام) في بناء الجماعة الصالحة

لقد تحدّثنا عن طبيعة الظروف السياسية وتناقضاتها والمظاهر الحياتية المضطربة ، والدور التخريبي الذي لعبته التيارات الفكرية والسياسية المنحرفة في ضمير الأُمة وفكرها وثقافتها . وعلى رأس هذا المدّ المنحرف كانت سياسة الأُمويين الظالمة التي استمرّت لزمنٍ طويل نسبياً .

كما تحدّثنا عن خطّ الإمام (عليه السلام) ومنهجه الإصلاحي العام مع الأُمة، حيث كانت الجامعة العلمية إحدى حلقات منهجه الاصلاحي الشامل .

ولم يقتصر نشاط الإمام (عليه السلام) على بناء الجامعة العلمية وغيرها من الأنشطة العامة؛ لأنّه كان يدرك جيداً أنّ هدفه الكبير هو الحفاظ على الإسلام الذي سوف يتعرّض للتعطيل إذا اقتصر على ذلك ولم يستهدف المحتوى الداخلي للأفراد ولم يسع لبناء الشخصيّات الصالحة التي تمدّ الساحة الاسلامية العامّة بعوامل القوّة والبقاء والحفاظ على الأُمة والدفاع عن مقدّساتها .

الهدف من ايجاد الجماعة الصالحة

من هنا كان تحرك الإمام نحو بناء الجماعة الصالحة بهدف تغيير المجتمع الإسلامي وفق أُطروحة أهل البيت(عليهم السلام)؛ لأنّ وجود مثل هذا التيار المتماسك يوفّر جملة من المكاسب والمنافع والأهداف التي كان يسعى الإمام(عليه السلام) لتحقيقها في حركته الرساليّة.

إنّ الجماعة الصالحة تحقّق ديمومة خط أهل البيت (عليهم السلام) حيث يشكّل وجودها خطوة عملية باتّجاه مشروعهم الكبير.

ونلخّص فيما يلي بعض النقاط التي يُحققها وجود هذه الجماعة الصالحة[1].

١ ـ المحافظة على المجتمع الاسلامي

إنّ وجود هذا الخط في وسط الأُمّة سوف يوسّع من دائرة الأفراد الصالحين والواعين وكلّما اتّسعت هذه الدائرة كان الإمام (عليه السلام) اكثر اقتداراً على التغيير وادارة العمل السياسي الذي يخوضه مع الحكّام .

ويمثّل هذا الخط القوة التي تقف بوجه التحدّي الفكري والأخلاقي الذي واجهه العالم الاسلامي حينذاك وقد كان من المشهود تأريخياً ما لهذه الجماعة الصالحة من دور فعّال ومتميّز في تزييف البنى الفكريّة والسياسية

(١) راجع للتفصيل : السيد محمد باقر الحكيم / دور أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الجماعة الصالحة ، الجزء الأوّل .

التي تعتمدها الفرق الضالّة من خلال مطارحاتهم ومناقشاتهم مع أقطاب تلك الفرق كالزنادقة والمجبّرة والمرجئة وغيرها.

وامتاز أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) عن غيرهم بالمواقف الشجاعة والتمسك بالمثل والقيم العليا وعدم المداهنة وعدم الركون لإغراءات السلاطين، وتحمّلوا جرّاء التزامهم بالقيم المُثلىٰ شتّىٰ ألوان القمع والاضطهاد وكان لمواقفهم الشجاعة الأثر الكبير في ثبات ومقاومة المجتمع الإسلامي أمام موجات الانحراف.

لقد كان الإمام الصادق (عليه السلام) يطلب من شيعته أن يكون كلٌّ منهم القدوة والمثل الأعلىٰ في الوسط الذي يعيش فيه، فقد روي عن زيد الشحام أنّه قال: قال لي أبو عبدالله (عليه السلام) : «**إقرأ علىٰ من ترىٰ أنّه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام، وأُوصيكم بتقوىٰ الله عزّوجلّ والورع في دينكم، والاجتهاد لله وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد (صلى الله عليه وآله) وأدّوا الأمانة إلىٰ من ائتمنكم عليها برّاً أو فاجراً، فإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يأمر بأداء الخيط والمخيط، صِلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدّوا حقوقهم فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدّىٰ الأمانة وحَسن خُلقه مع الناس، قيل: هذا جعفريّ**»[1].

وكان الإمام (عليه السلام) يأمر شيعته بالاهتمام بوحدة الصف الاسلامي والانفتاح علىٰ المذاهب الأُخرىٰ وترسيخ روح التعايش والمحبّة وتأكيد التماسك بين الجماعات الإسلامية فنجده يحرّضهم علىٰ التضامن والتكافل والوفاء بالعهود مع باقي المسلمين، قال (عليه السلام) : «**عليكم بالصلاة في المساجد وحسن الجوار للناس وإقامة الشهادة وحضور الجنائز، إنّه لا بدّ لكم من الناس، إنّ أحداً لا**

(١) وسائل الشيعة : ١٢/٥ ح٢ عن أُصول الكافي : ٢/٤٦٤ ح٥ .

يستغني عن الناس في حياته، والناس لابدّ لبعضهم من بعض»[١].

وكان (عليه السلام) يطرح للشيعة الأُفق الإسلامي الرحيب في السلوك ليتحرّكوا باتّجاهه وأن لا يكتفوا بالمستويات الدانية مخافة أن تهزّهم ريح التحدّي والإغراء فيصف الشيعة لهم قائلاً: **«فإنّ أبي حدّثني أنّ شيعتنا أهل البيت كانوا خيار من كانوا منهم: ان كان فقيه كان منهم، وإن كان مؤذّن كان منهم، وإن كان إمام كان منهم، وإن كان كافل يتيم كان منهم، وان كان صاحب أمانة كان منهم، وان كان صاحب وديعة كان منهم، وكذلك كونوا، حبّبونا الى الناس ولا تبغّضونا إليهم»[٢].**

٢ ـ الحفاظ على الشريعة الإسلامية

وقف الإمام الصادق (عليه السلام) ضدّ حملات التشويه التي أرادت أن تعصف بالشريعة الإسلامية وتعرّضها للانحراف الذي أصاب الشرايع الأُخرىٰ من خلال دخول أفكار غريبة عن الشريعة بين أتباعها واستخدام أدوات جديدة لفهم الشريعة كالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة.

ونتيجة للمستوىٰ العلمي الرفيع الذي كان يتمتّع به أصحاب الإمام وشيعته لم تصبح مسألة الافتاء والاستنباط خاضعة لمصلحة السلاطين وأهوائهم أو منسجمة مع متبنّياتهم الفكرية، بل بقي الفهم الصحيح للكتاب والسُنّة مستقلاً عن تلك المؤثّرات وبعيداً عن استخدام تلك الأدوات الدخيلة علىٰ التشريع. وعندما استخدمت الجماعات الأُخرىٰ تلك الأدوات الاجتهادية أدّت هذه الجرأة الىٰ آثار سلبيّة ممّا اضطرّها إلىٰ أن تلجأ الىٰ

(١) وسائل الشيعة: ٦/١٢ ح ٥ عن الكافي: ٢/٤٦٤ ح ١.
(٢) مشكاة الأنوار: ١٤٦، وبحار الأنوار: ٧٤ / ١٦٢.

غلق باب الاجتهاد، وكان هذا القرار قد ترك هو الآخر آثاراً سلبية في المجتمع الاسلامي لعدم قدرتها على معالجة التطوّرات الجديدة التي كانت تواجهها البلاد الاسلامية فيما بعد.

لقد أكّد الإمام الصادق (عليه السلام) قضية مهمّة واعتبرها رصيداً مهمّاً لفهم النصوص وتبيينها والاستنباط منها وتلك هي ملكة التقوىٰ والعدالة التي لابدّ للفقيه أن يتمتع بها ليكون حارساً أميناً للشريعة والأُمة التي تريد تطبيقها في الحياة.

والعدالة عند الإمام (عليه السلام) شرط في كثير من الممارسات الحياتية فهي شرط في إمام الجماعة وفي شهود الطلاق وفي القاضي والحاكم والوالي.

وهذه المزيّة لها دور كبير في حفظ الشريعة وحفظ النصوص الاسلامية بحيث تميز هذه المدرسة عن غيرها كما أنّ أصحاب الإمام (عليه السلام) لم يتعاملوا مع النصوص الواردة عن الرسول (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) كما تعاملوا مع النص القرآني القطعي الصدور، بل تناولوها بالدراسة والنقد والتحليل لأنّ الراوي قد لا يكون معصوماً عندهم بالرغم من إيمانهم بعصمة الإمام المروي عنه.

٣ـ المطالبة بالحكم الإسلامي

إنّ القيادة السياسية حق مشروع للأئمة المعصومين من أهل البيت (عليهم السلام) وفق النصوص الإسلامية الثابتة عن الرسول (صلى الله عليه وآله) والتي تواترت عند مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

ومن هنا كانت القيادة السياسية التي تولّت الحكم بعد الرسول (صلى الله عليه وآله)

مباشرة لا تحمل الصفة الشرعيّة بالرغم من نزول المسلمين عند إرادتها وعدم مواجهتها بالعنف، فضلاً عن الحكّام الامويين والعباسيين الذين عاصرهم الإمام الصادق (عليه السلام) حيث مارسوا شتىٰ الطرق لإبعاد الإمام (عليه السلام) وآبائه الكرام عن هذا الموقع الريادي.

والإمام (عليه السلام) كان يرىٰ ضرورة العمل من أجل إيجاد الكيان الإسلامي الصحيح والمطلوب وذلك من خلال وجود المجتمع الاسلامي الصالح الذي يؤمن بالقيادة الشرعية الحقيقية المتمثّلة في الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام).

وهكذا كان الإمام (عليه السلام) يلفت النظر الى ضرورة وجود هذه القاعدة الصالحة حين كان يجيب على التساؤلات التي كانت تدور في نفوس أصحابه كجوابه لسدير الصيرفي حيث جاء فيه بأنّ المطالبة بالحكم وإعلان الثورة المسلحة يعتمد الجماعة الصالحة التي تطيع وتضحّي وتتحمل مسؤولية التغيير وتكون لها القدرة على التصدّي لكل عوامل الانحراف.

وهكذا تبدو أهمية السعي لتكوين وترشيد حركة الجماعة الصالحة في هذه المرحلة من حياة الإمام (عليه السلام) وتوسيع رقعتها في أرجاء العالم الإسلامي.

وسوف ندرس هذا التكوين وتكامل البناء من ثلاثة جوانب، هي:

أ ـ البناء الجهادي.

ب ـ البناء الروحي.

ج ـ البناء الاجتماعي.

الدور الخاص للإمام الصادق(عليه السلام) في بناء الجماعة الصالحة

ألف : البناء الجهادي

لقد كان عطاء الثورة الحسينية كبيراً جداً حيث أرجعت هذه الثورة الخالدة الأُمة الاسلامية إلىٰ مستوى التصدّي للثورة على الحكّام المنحرفين واستطاعت الأُمة المسلمة بفضل هذه الثورة المباركة أن تتجاوز الهالة المزيّفة التي صنعها الاُمويّون لإضفاء طابع من الشرعية على سلطانهم ، وهذا الوعي الثوري والعمل الجهادي الذي شكلته الأُمّة خلال عدّة عقود قد يأخذ بالهبوط إذا لم يقترن بعوامل البقاء والاستمرار والتكامل .

من هنا نجد الإمام الصادق (عليه السلام) قد تحرك نحو صياغة العمل الثوري والجهادي ورسم هيكليته وبالتالي تجذيره في النفوس. ويبدو هذا واضحاً من خلال موقفه من ثورة عمّه زيد بن علي (عليهما السلام) حيث صرّح قائلاً : « **أشرَكَني الله في تلك الدماء . مضىٰ والله زيد عمّي وأصحابه شهداء مثل ما مضىٰ عليه علي بن أبي طالب وأصحابه** »(١) .

وهذا الموقف منه (عليه السلام) يعطي الشرعية لثورة زيد ويرسم للجماعة الصالحة طموحات الإمام (عليه السلام) ويجعلها تعيش الهمّ الجهادي والثوري الذي يريده الإمام للقاعدة الصالحة التي تستطيع أن تسير بها نحو الأهداف المنشودة للقيادة الربانية المتمثلة في الإمام الصادق (عليه السلام) .

فالجماعة الصالحة هي ذلك النموذج الفاضل الذي يعدّه الإمام (عليه السلام) لمهمّة الاصلاح في المجتمع وهذه الجماعة هي التي سوف تتحمل مسؤولية

---

(١) بحار الأنوار : ٤٦ / ١٧١ .

الثورة الكبرىٰ المرتقبة .

ومن هنا كان ترسيخ مبادئ وأهداف ومعالم وحيوية الثورة الحسينية في نفوس الجماعة الصالحة من خطوات الإمام الكبيرة في هذا الصدد .

ترسيخ مبادئ وأهداف ومعالم الثورة الحسينية

لقد ربط الإمام الصادق (عليه السلام) العواطف باتّجاه مبادئ الثورة الحسينية وأهدافها ليكون الرفض ومقاومة الظلم مستنداً إلىٰ الوعي الصحيح والتوجيه المنطقي . لذا نجد خطابات الإمام (عليه السلام) واهتماماته لم تقتصر على الإشارات الفكرية والتوجيهات الوعظية نحو الثورة وإنّما استندت إلىٰ أساليب تعبويّة وتحشيد جماهيريّ يعبّر بممارسته وحضوره عن الانتماء لخط الحسين (عليه السلام).

ومن أساليبه بهذا الخصوص تأكيده على جملة من الوسائل مثل الزيارة والمجالس الحسينية والبكاء. ونتكلّم عن كلٍّ منها بايجاز:

١ ـ **الزيارة:** اعتبر الإمام الصادق (عليه السلام) زيارة قبر جدّه الحسين (عليه السلام) من الحقوق اللازمة والتي يجب على كل مسلم الاهتمام بها ويلزم الخروج من عهدتها.

قال (عليه السلام): « **لو أن أحدكم حجّ دهره ثم لم يزر الحسين بن علي (عليه السلام) لكان تاركاً حقّاً من حقوق رسوله؛ لأنّ حقّ الحسين (عليه السلام) فريضة من الله عزّوجلّ واجبة علىٰ كل مسلم** »[1] .

(١) كتاب المزار للشيخ المفيد : ٣٧ .

وقال (عليه السلام): « من سرّه أن يكون على موائد النور يوم القيامة فليكن من زوّار الحسين بن علي (عليه السلام) »[١].

وقال عبد الله بن سنان: دخلت على سيدي أبي عبد الله جعفر بن محمد(عليه السلام) في يوم عاشوراء فلقيته كاسف اللون ظاهر الحزن ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط فقلت : يا بن رسول الله، مِمَّ بكاؤك؟ لا أبكى الله عينيك. فقال لي : أوَ في غفلة أنت ؟ أما علمت أنّ الحسين بن علي(عليه السلام) أُصيب في مثل هذا اليوم ؟

قلت : يا سيدي فما قولك في صومه ؟ فقال لي : صمه من غير تبييت وافطره من غير تشميت ، ولا تجعله يوم صوم كملاً وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء فإنّه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانكشفت الملحمة عنهم وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً في مواليهم يعزّ على رسول الله(صلى الله عليه وآله) مصرعهم ، ولو كان في الدنيا يومئذ حيّاً لكان صلوات الله عليه وآله هو المعزّى بهم.

يا عبد الله بن سنان إنّ أفضل ما تأتي به في هذا اليوم أن تعمد إلى ثياب طاهرة فتلبسها وتتسلّب. قلت : وما التسلّب ؟ قال (عليه السلام): تحلل أزرارك وتكشف عن ذراعيك كهيئة أصحاب المصايب . ثم تخرج إلى أرض مقفرة أو مكان لايراك به أحد أو تعمد إلى منزل لك خال ، أو في خلوة منذ حين يرتفع النهار ، فتصلّي أربع ركعات تحسن ركوعها وسجودها وتسلّم بين كلّ ركعتين تقرأ في الركعة الأُولى سورة الحمد و﴿ قل يا ايها الكافرون ﴾ وفي الثانية الحمد و﴿ قل هو الله أحد ﴾ ثم تصلي ركعتين تقرأ في الركعة الأُولى الحمد وسورة الاحزاب، وفي الثانية الحمد وسورة ﴿ اذا جاءك المنافقون ﴾ أو ما

(١) كامل الزيارات لابن قولويه باب : ٤٣ / ١٢١ .

تيسّر من القرآن.

ثم تسلّم وتحوّل وجهك نحو قبر الحسين (عليه السلام) ومضجعه فتمثّل لنفسك مصرعه ومن كان معه من ولده وأهله وتسلّم وتصلي عليه وتلعن قاتليه فتبرأ من أفعالهم، يرفع الله عزوجل لك بذلك في الجنّة من الدرجات ويحط عنك السيئات.

ثم تسعىٰ من الموضع الذي أنت فيه إن كان صحراء أو فضاء أو أي شيء كان خطوات، تقول في ذلك: إنا لله وإنا إليه راجعون رضاً بقضائه وتسليماً لأمره، وليكن عليك في ذلك الكآبة والحزن وأكثر من ذكر الله سبحانه والاسترجاع في ذلك.

فإذا فرغت من سعيك وفعلك هذا فقف في موضعك الذي صلّيت فيه ثم قل: اللّهم عذّب الفجرة الذين شاقّوا رسولك وحاربوا أولياءك وعبدوا غيرك واستحلّوا محارمك والعن القادة والأتباع ومن كان منهم فخبّ وأوضَعَ معهم أو رضي بفعلهم لعناً كثيراً اللّهم وعجّل فرج آل محمد واجعل صلواتك عليهم واستنقذهم من أيدي المنافقين والمضلّين، والكفرة الجاحدين وافتح لهم فتحاً يسيراً وأتح لهم رَوحاً وفرجاً قريباً، واجعل لهم من لدنك علىٰ عدوّك وعدوّهم سلطاناً نصيراً»[1].

هكذا كان الإمام الصادق (عليه السلام) يؤكّد مبادئ الثورة عن طريق الزيارة لتكون الزيارة خطّاً ثقافياً يُساهم في التربية وتمييز الجماعة الصالحة عن غيرها، ويكون الحضور الدائم حول قبر الحسين (عليه السلام) بهذا المستوىٰ العالي من الفهم والانتماء كدعوة للآخرين في أن يلتحقوا به وينضمّوا إلىٰ أفكاره ومبادئه.

علىٰ أنّ الحضور الدائم حول القبر يتمتّع بالخزين العاطفي المتكئ علىٰ

(١) بحار الأنوار: ١٠١ / ٣٠٣ـ٣٠٦.

أساس فكري وهذا بطبيعته يشكّل قاعدة للعمل الثوري الذي يعتمد المطالبة الواعية بإرجاع الحقوق المسلوبة من أهل البيت (عليهم السلام) . وهذه الحقيقة كان يدركها الأُمويون والعباسيون ولهذا وقفوا بوجه هذا المدّ المدروس وحالوا دون الزيارة بكلّ شكلٍ ممكن .

٢ ـ **المجالس الحسينية:** ومن الخطوات التي تحرك الإمام الصادق (عليه السلام) من خلالها من أجل صياغة العمل الثوري والجهادي وتربية الجماعة الصالحة علىٰ ضوئه هي قضية الرثاء التي حفظتها المجالس الحسينية ، فقد أكّد (عليه السلام) علىٰ رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) كاسلوب من أساليب التربية والتحريك العاطفي لغرض ربط الأُمة بالثورة الحسينية .

وكان الإمام (عليه السلام) يعقد هذه المجالس الخاصة لهذه الغاية والتي كان يطرح فيها إلىٰ جانب الرثاء رُؤىٰ وثقافة أهل البيت (عليهم السلام) العقائدية والاخلاقية والتربوية والسياسية لتكون أداة محفّزة لبثّ الوعي والعاطفة المبدئية.

قال (عليه السلام) لأبي هارون المكفوف : «**يا أبا هارون أنشدني في الحسين** (عليه السلام)» قال فأنشدته، فبكىٰ ... فقال : أنشدني كما تنشدون يعني بالرقّة. قال فأنشدته :

أُمــرُرْ عــلىٰ جَـدَثِ الحُسَـين فَــقُلْ لِأَعْــظُمِهِ الزَكِــيَة

قال : فبكىٰ ثم قال : زِدني ، قال : فأنشدته القصيدة الأُخرىٰ ، قال: فبكىٰ وسمعت البكاء من خلف الستر . قال : فلمّا فرغت قال لي : «**يا أبا هارون من أنشد في الحسين (عليه السلام) شعراً فبكىٰ وأبكىٰ عشراً كتبت له الجنّة ، ومن أنشد في الحسين (عليه السلام) شعراً فبكىٰ وأبكىٰ خمسة كتبت له الجنّة ، ومن أنشد في الحسين (عليه السلام) شعراً**

فبكىٰ وأبكىٰ واحداً كتبت له الجنّة »(١).

وكان يؤكد إحياء الذكرىٰ كما نلاحظ ذلك في قوله (عليه السلام) لفضيل : « **يا فضيل تجلسون وتحدّثون ؟** قلت : نعم سيدي قال : «**يا فضيل هذه المجالس أُحبّها ، أحْيُوا أمرنا . رحم الله أمرءاً أحيا أمرنا** »(٢).

٣ ـ البكاء: ومن الأساليب التي اتّخذها الإمام الصادق (عليه السلام) لتركيز الخط الثوري وتأجيج روح الجهاد في نفوس خاصته وشيعته هي تعميق وتعميم ظاهرة البكاء علىٰ الإمام الحسين (عليه السلام) لأن البكاء يساهم في الربط العاطفي مع صاحب الثورة وأهدافه ويهيّء الذهن والنفس لتبني أفكار الثورة ويمنح الفرد المسلم الحرارة العاطفية التي تدفع بالفكرة نحو الممارسة والتطبيق ورفض الظلم واستمرار روح المواجهة والحصول على روح الاستشهاد .

كما يشكّل البكاء وسيلة إعلامية سياسيّة هادئة وسلميّة عبّر بها الشيعي عن المآسي والمظالم التي انتابته وحلّت بأئمته ولا سيّما إذا كانت الظروف لا تسمح بالأنشطة الأُخرىٰ.

ولا يعبّر هذا البكاء عن حالة من الانهيار والضعف والاستسلام لإرادة الظالمين، كما لا تشكّل إحياء هذه الذكرىٰ والبكاء فيها وسيلة للتهرّب من الذنوب والحصول على صكوك الغفران كما يحلو للبعض أن يقول : إن الحسين قد قدّم دمه الطاهر لأجل براءة الشيعة من النار وإعفائهم من تبعات الآثام والخطايا التي يرتكبونها تشبهاً بالنصارىٰ الذين أباحوا لأنفسهم اقتراف الخطايا؛ لأنّ المسيح (عليه السلام) كما يزعمون قد تكفّل بصلبه محو

(١) كامل الزيارات لابن قولويه : باب ٣٣/ ١٠٤ .

(٢) واقعة الطف لبحرالعلوم : ٥٢ .

خطاياهم.

فالبكاء الذي أكّده الإمام (عليه السلام) وتمارسه الشيعة لا يحمل واحداً من هذه العناوين بل هو تلك الحرارة التي تضخّ في الفكرة روح العمل وتخرجها من حيّز السكون إلىٰ حيّز الحركة فقد جاء عنه (عليه السلام): «**إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كلّ ما جزع ما خلا البكاء والجزع علىٰ الحسين بن علي (عليه السلام) فإنّه فيه مأجور**»[1].

ب: البناء الروحي والايماني

لقد تعرّض الواقع الإيماني والروحي في زمن الإمام الصادق (عليه السلام) إلىٰ الخواء والذبول وبروز الأنانية وفصل الإيمان عن الأنشطة الحياتية الأُخرىٰ وإعطائه صورة مشوّهة، وقد جاء ذلك بسبب عبث التيارات الفكرية التي استندت الى دعم السلاطين والتي كانت تؤمن هي الأُخرى أيضاً بلزوم طاعة الحاكم الأموي والعباسي؛ تبريراً لدعمها للخط الحاكم.

من هنا بذل الإمام نشاطا واسعاً لاستعادة الايمان وبناء الذات وسموّها وفق الخط القرآني وترشيح قواعد إيمانية رصينة، والانطلاق بالايمان إلى آفاق أرحب وأوسع بدل التقوقع والنظرة الآحادية المجزّئة للدّين؛ لأن الإيمان بهذا المعنىٰ يمنح المؤمن القوّة في اقتحام الميادين الصعبة وتحمّل المسؤوليات ويمدّه بالنشاط والحيوية في مواصلة العمل والجهاد.

ونقتصر فيما يلي على بعض الأنشطة التي رسّخ الإمام عن طريقها الإيمان في نفوس أصحابه وخاصّته.

---

(١) كامل الزيارات لابن قولويه: باب ٣٣.

١ ـ حذّر الإمام من تكوين علاقات إيمانية مع من كانوا يسمون بالعلماء ـ الذين انتشروا في زمانه ـ ومنع من الاقتداء بهم لأنّ ما يتحقق من خلال التعاطف معهم والمحبة لهم من دون معرفة لواقعهم النفسي والأخلاقي يكفي لبناء صرح إيماني خاطئ ومنحرف؛ فإنّ العلم الذي يتمتع به هؤلاء انّما يكون كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً.

والإمام (عليه السلام) يشير إلى أن هذا النوع من العلاقة ينتهي إلى فساد العلاقة مع الله والابتعاد عنه سبحانه، قال (عليه السلام): «**أوحى الله إلى داود (عليه السلام): لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدّك عن طريق محبّتي؛ فإنّ أولئك قطّاع طريق عبادي المريدين، إنّ أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم**»[١].

٢ ـ ومن الأمور التي صحّحها الإمام (عليه السلام) ونبّه عليها أصحابه هو مفهوم الإيمان ومعناه، فحاول أن يبلور صورته الصحيحة ويكشف عنه الإبهام في نفوس أصحابه، وذلك عن طريق تشخيص صفات المؤمن فإن المؤمن هو ذلك الإنسان الذي يعكس المفهوم الإلهي بصورته الشاملة للحياة وليس هو ذلك النموذج المستسلم في حياته الفاقد لإرادته والذي يطمع فيه أهل السياسة لاستثمار طاقاته باتّجاه مصالحهم.

ولهذا نرى الإمام (عليه السلام) يشير إلى مسألة مهمّة تستبطن بعداً اجتماعياً وسياسياً ينبغي للمؤمن أن يعيها ويتحرّك بموجبها. حين قال (عليه السلام): «**إنّ الله فوّض إلى المؤمن أمره كلّه، ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلاً، أما تسمع الله تعالى يقول: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾[٢] فالمؤمن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً**».

---

(١) الكافي: ١ / ٤٦، وعلل الشرائع: ٣٩٤ ح١٣، وبحار الأنوار: ٢ / ١٠٧.

(٢) المنافقون (٦٣): ٨.

ثم قال (عليه السلام): «**المؤمن أعز من الجبل، والجبل يستقل منه بالمعاول، والمؤمن لا يستقلّ من دينه بشيء**»[١].

٣ ـ كما بيّن الإمام (عليه السلام) أن القلب الخالي من مخافة الله ـ التي هي معيار الكمال والقوّة لقلب المؤمن ـ ليس بشيء فالقلب المملوء خوفاً من الله الكبير المتعال تتصاغر عنده سائر القوى مثل قوّة السلطان وقوّة المال وكل قوّة بشرية، والقلب الذي لا يستشعر الرقابة الالهية ويتغافل عن هيمنتها يكون ضعيفاً وساقطاً مهما بدا قوياً وعظيماً. إنّ هذا النمط من العلاقة السلبية مع الله يؤدي إلى اهتزاز الذات وقلقها وهزيمتها أمام التحديات الصادرة من تلك القوى المخلوقة الضعيفة أمام قدرة الله وعظمته وجبروته.

عن الهيثم بن واقد قال سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: «**من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كلّ شيء**»[٢].

٤ ـ ومن جملة تنبيهاته للشيعة أنه قد حذر من الثرثرة في الكلام وأمرهم بضبط اللسان وأشار إلى خطورة الكلام وما يترتب عليه من آثار سيئة وآثام تضرّ بالايمان. كما حذّر أيضاً من الاستجابة لهوىٰ النفس قائلاً: «**إن كان الشؤم في شيء فهو في اللسان، فاخزنوا ألسنتكم كما تخزنون أموالكم واحذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم فليس أقتل للرجال من اتّباع الهوىٰ وحصائد ألسنتهم**»[٣].

٥ ـ كما لفت الإمام أنظار شيعته الى أن لا يتجاهل أحدهم الإشاعات التي يطلقها الخصوم ضد أصحابه فقد تكون مصيبة وصحيحة ولتكن مدّعاة

(١) تهذيب الأحكام: ٦ / ١٧٩.

(٢) الكافي: ٢ / ٦٨.

(٣) وسائل الشيعة: ٨ / ٥٣٤.

لمراجعة النفس قال (عليه السلام) : **«من لم يبال ما قال وما قيل فيه ، فهو شرك الشيطان ، ومن لم يبال أن يراه الناس مسيئاً فهو شرك الشيطان »**[1] .

مظاهر عمق الإيمان

لقد أعطى الإمام (عليه السلام) للشيعة علائم ومؤشرات واضحة تكشف عن عمق التدين وعن مدى صحته وسلامته . فإن الإيمان أمر باطني ولكنه له آثاره ومظاهره التي تكشف عنه . ولا معنى لإيمان بلا عطاء ولا ثبات ولا قدرة على المواجهة .

فالمؤمن ذلك النموذج الذي يبرز تديّنه عندما يوضع على المحك ويعرّض للمصاعب ولا ينثني أمام المغريات ولا يستجيب لمخطّطات أهل الباطل .

وقد هاجم الإمام (عليه السلام) تلك الشريحة التي تنتسب إلى التشيّع وهي تمارس أخلاقيات مرفوضة في نظر الإمام وأوضح بأنّ الإيمان كُلٌّ لا يتجزّأ بصفة دون أُخرىٰ مشيراً إلى أهمّية الاقتداء بالائمة(عليهم السلام) قائلاً : **«إنّما ينجو من أطال الصمت عن الفحشاء ، وصبر في دولة الباطل على الأذى ، أولئك النجباء الأصفياء الأولياء حقاً وهم المؤمنون ، إنّ ابغضكم إليّ المترأسون[2] المشاؤون بالنمائم ، الحسدة لإخوانهم ليسوا منّي ولا أنا منهم إنّما أوليائي الذّين سلّموا لأمرنا واتبعوا آثارنا واقتدوا بنا في كل أُمورنا »**[3] .

---

(١) وسائل الشيعة : ١١ / ٢٧٣ ح ١٠، عن من لا يحضره الفقيه : ٤ / ٤١٧ .

(٢) أي طلّاب الرئاسة .

(٣) تحف العقول : ٣٠٧ ، وعنه في بحار الأنوار : ٧٨ / ٢٨٦ .

كما نجد الإمام (عليه السلام) يعطي ضابطة سلوكية تكشف بدورها عن مستوى التدين وعمقه في النفس قائلاً: «**إذا رأيتم العبد يتفقّد الذنوب من الناس، ناسياً لذنبه فاعلموا أنّه قد مكر به**»(١).

القدوة الحسنة

ومن الوسائل التي استخدمها الإمام (عليه السلام) في منهجه التغييري وبنائه للمجتمع الفاضل هو اهتمامه وتركيزه على النموذج الشيعي الذي يشكّل القدوة الحسنة في سلوكه ليكون عنصراً مؤثراً ومحفّزاً للخير ومشجّعاً لنمو الفضيلة في داخل المجتمع. وقد بذل الإمام (عليه السلام) جهداً منقطع النظير في تربيته وإعداده للنموذج القدوة وقد سلّحه بمختلف العلوم وأحاطه بجملة من الوصايا والتوجيهات العلمية والأخلاقية.

واستطاع الإمام بطاقاته الإلهية أن يصنع عدداً كبيراً من هؤلاء الذين أصبحوا فيما بعد قادة ومناراً تهوي إليهم القلوب لتنهل من علومهم وبقي اسمهم مخلداً في التأريخ يتناقل المسلمون مآثرهم جيلاً بعد جيل.

ونقتصر فيما يلي على بعض التوجيهات بهذا الصدد:

١ ـ جاء عنه (عليه السلام) فيما يخص العبادة التي يتميز بها الشيعي وعلاقته بالله أنه قال: «**امتحنوا شيعتنا عند مواقيت الصلاة، كيف محافظتهم عليها، وإلى أسرارنا كيف حفظهم لها عند عدوّنا وإلى أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فيها**»(٢).

٢ ـ عن محمد بن عجلان قال كنت مع أبي عبد الله (عليه السلام) فدخل رجل

---

(١) تحف العقول: ٣٦٤، وبحار الأنوار: ٧٨ / ٢٤٦.

(٢) وسائل الشيعة: ٣ / ٨٣، وبحار الأنوار: ٦٨ / ١٤٩ عن قرب الاسناد: ٥٢.

فسلّم ، فسأله ، «كيف من خلّفت من إخوانك ؟» فأحسن الثناء وزكىٰ وأطرىٰ ، فقال له : «كيف عيادة اغنيائهم لفقرائهم ؟» قال : قليلة . قال : «كيف مواصلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم ؟» فقال : إنك تذكر أخلاقاً ما هي فيمن عندنا . قال(عليه السلام): «فكيف يزعم هؤلاء أنهم لنا شيعة ؟»[1] .

لقد أكّد الإمام (عليه السلام) أهميّة القدوة الحسنة في المجتمع. قال المفضّل : قال : أبو عبد الله وأنا معه : «يا مفضّل!كم أصحابك ؟» فقلت قليل . فلمّا انصرفت إلى الكوفة ، أقبلت عليّ الشيعة ، فمزّقوني كل ممزق، يأكلون لحمي، ويشتمون عرضي ، حتىٰ أنّ بعضهم استقبلني فوثب في وجهي ، وبعضهم قعدلي في سكك الكوفة يريد ضربي ، ورموني بكلّ بهتان حتىٰ بلغ ذلك أبا عبد الله (عليه السلام) ، فلمّا رجعت إليه في السنة الثانية ،كان أوّل مااستقبلني به بعد تسليمه عليّ أن قال : يا مفضّل : ما هذا الذي بلغني أنّ هؤلاء يقولون لك وفيك؟ قلت : وما عليّ من قولهم ، قال : «أجل بل ذلك عليهم ، أيغضبون ؟! بؤس لهم. إنّك قلت إنّ أصحابك قليل ، لا والله ما هم لنا شيعة ، ولو كانوا لنا شيعة ما غضبوا من قولك وما اشمأزّوا منه لقد وصف الله شيعتنا بغير ما هم عليه ، وما شيعة جعفر إلاّ من كفّ لسانه ، وعمل لخالقه ورجا سيّده ، وخاف الله حق خيفته . ويحهم !! أفيهم من قد صار كالحنايا من كثرة الصلاة ، أو قد صار كالتائه من شدة الخوف ، أو كالضرير من الخشوع أو كالضني[2] من الصيام، أوكالأخرس من طول صمت وسكوت؟! أو هل فيهم من قد أدأب ليله من طول القيام، وأدأب نهاره من الصيام، أو منع نفسه لذّات الدنيا ونعيمها خوفاً من الله وشوقاً الينا أهل البيت ؟! أنّىٰ يكونون لنا شيعة وإنهم ليخاصمون عدوّنا فينا حتّى يزيدوهم

(١) بحار الأنوار : ٦٨ / ١٦٨ ح٢٧ عن صفات الشيعة للصدوق : ١٦٦ .

(٢) ضني ضناء : اشتدّ مرضه حتىٰ نحل جسمه .

عداوةً، وإنّهم ليهرّون هرير الكلب ويطمعون طمع الغراب. أما إني لو لا أنني أتخوّف عليهم أن أغريهم بك، لأمرتك أن تدخل بيتك وتغلق بابك ثم لا تنظر اليهم ما بقيت، ولكن إن جاؤوك فاقبل منهم؛ فإنّ الله قد جعلهم حجة على أنفسهم واحتجّ بهم على غيرهم.

لا تغرّنكم الدنيا وما ترون فيها من نعيمها وزهرتها وبهجتها وملكها فإنّها لا تصلح لكم، فوالله ما صلحت لأهلها[1] .

ج: البناء الاجتماعي

رسم الإمام الصادق (عليه السلام) الخط العام للعلاقات الاجتماعيه للجماعة الصالحة، وبيّن نظامها ووضع الأُسس والقواعد المبدئيه لهذا النظام ورسّخها في نفوسهم ليتمكن الفرد الصالح من العيش في المجتمع وفي الظروف الصعبة، ويمتلك القدرة في مواجهة المخططات التي تسعى لتفتيت مثل البناء الذي يهدف له الإمام وهو النظام الاجتماعي الذي خطط له الإمام وأمدّه بعناصر البقاء والاستمرار ليمتد بجذوره في أوساط الامة.

الانفتاح على الأُمة

لقد أكّد الإمام (عليه السلام) على محور مهمّ يمدّ الجماعة الصالحة بالقدرة والانتشار هو محور الانفتاح على الأمة وعدم الانغلاق على أنفسهم وقد حثّ الإمام شيعته على توسيع علاقاتهم مع الناس وشجعهم على الإكثار من الأصحاب والأصدقاء فقد جاء عنه (عليه السلام) «**أكثروا من الأصدقاء في الدنيا فإنّهم**

(١) بحار الأنوار: ٧٨ / ٣٨٣، عن تحف العقول: ٣٨٥.

ينفعون في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فحوائج يقومون بها وأما في الآخرة فإنّ أهل جهنم قالوا مالنا من شافعين ولا صديق حميم»[١].

وجاء عنه أيضاً : «استكثروا من الاخوان فإن لكل مؤمن دعوة مستجابة».

وقال: «استكثروا من الإخوان فأنّ لكل مؤمن شفاعة»[٢] كما أكّد الإمام(عليه السلام) على مواصلة هذا الانفتاح وشدّه بآداب وأخلاق تدعو للتلاحم والتعاطف بين المؤمنين فقال: «التواصل بين الإخوان في الحضر التزاور والتواصل في السفر المكاتبة»[٣].

وقال (عليه السلام) : «انّ العبد ليخرج إلىٰ أخيه في الله ليزوره فما يرجع حتىٰ يغفر له ذنوبه وتقضىٰ له حوائج الدنيا والآخرة»[٤] ومن الآداب والاخلاق التي تصبّ في رافد التواصل الاجتماعي هو المصافحة التي حث الإمام (عليه السلام) عليها فقال : تصافحوا فإنّها تذهب بالسخيمة»[٥] .

وقال أيضاً: «مصافحة المؤمن بألف حسنة»[٦] .

وقال (عليه السلام) في التعانق : «إن المؤمنين إذا إعتنقا غمرتهما الرحمة ، فاذا التزما لا يريدان بذلك إلّا وجه الله ولا يريدان غرضاً من أغراض الدنيا قيل لهما : مغفور لكما ، فأستأنفا ، فإذا أقبلا على المساءلة قالت الملائكة بعضها لبعض تنحّوا عنهما فإنّ لهما سرّاً وقد ستر الله عليهما، قال اسحاق : فقلت : جعلت فداك فلا يكتب عليهما لفظهما

(١) وسائل الشيعة : ٧ / ٤٠٧ .
(٢) وسائل الشيعة : ٨ / ٤٠٨ .
(٣) تحف العقول : ٣٥٨، بحار الأنوار : ٧٨ / ٢٤٠.
(٤) مشكاة الانوار : ٢٠٩ .
(٥) الكافي : ٢ / ١٨٣ ، وتحف العقول: ٣٦، وبحار الأنوار : ٧٨ / ٢٤٣ .
(٦) مشكاة الانوار : ٢٠٣ .

وقد قال الله عزوجل : ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ ؟![1] قال: فتنفّس أبو عبد الله الصعداء(عليه السلام) ثمّ بكىٰ حتىٰ اخضلت دموعه لحيته وقال : يا اسحاق : إن الله تبارك وتعالىٰ إنما أمر الملائكة أن تعتزل عن المؤمنين إذا التقيا إجلالاً لهما ، وانه وإن كانت الملائكة لا تكتب لفظهما ولا تعرف كلامهما فإنه يعرفه ويحفظه عليهما عالم السر وأخفىٰ»[2] .

تأكيد علاقة الاخوّة:

كان الإمام (عليه السلام) يعمّق ويجذر علاقة الأخوّة في الله ويضع لها التوجيهات المناسبة التي تزيد في التلاحم والتفاهم ، فمنها ما قاله (عليه السلام) لخيثمة : «أبلغ موالينا السلام وأوصهم بتقوى الله والعمل الصالح وأن يعود صحيحهم مريضهم وليعد غنيهم على فقيرهم ، وأن يشهد جنازة ميّتهم ، وأن يتلاقوا في بيوتهم وأن يتفاوضوا علم الدين فإن ذلك حياة لأمرنا رحم الله عبداً أحيىٰ أمرنا»[3].

وقال(عليه السلام) في المواساة بين المؤمنين : «تـقرّبوا إلى الله تعالىٰ بمواساة إخوانكم»[4] .

قال محمّد بن مسلم: أتاني رجل من أهل الجبل فدخلت معه على أبي عبدالله فقال له حين الوداع أوصني فقال (عليه السلام) : « أُوصيك بتقوى الله وبرّ أخيك المسلم، وأحب له ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لنفسك، وإن سألك فأعطه وإن كفّ عنك فأعرض عليه، لا تملّه خيراً فانه لا يملّك وكن له عضداً فانه لك عضد وان وجد عليك

---

(١) سورة ق (٥٠) : ١٨ .

(٢) الكافي : ٢ / ١٨٤ بحار الانوار : ٧٦ / ٣٥ وسائل الشيعة : ٨ / ٥٦٣ .

(٣) وسائل الشيعة : ٨ / ٤٠٠ .

(٤) الخصال : ٨ وبحار الأنوار ٧٤ / ٣٩١.

فلا تفارقه حتى تحلّ سخيمته[١] وان غاب فاحفظه في غيبته، وإن شهد فاكنفه واعضده ووازره ، وأكرمه ولاطِفه فانه منك وأنت منه »[٢].

وقال (عليه السلام) مبيّناً صفة الأُخوّة في الله قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): « ستّ خصال مَن كُنّ فيه كان بين يدي الله عزّ وجلّ وعن يمين الله . فقال له ابن يعفور : وما هنّ جعلت فداك ؟ قال: يحب المرء المسلم لأخيه ما يحب لأعزّ أهله، ويكره المرء المسلم لأخيه ما يكره لأعزّ أهله ويناصحه الولاية (الى أن قال) إذا كان منه بتلك المنزلة بثه همه ففرح لفرحه إن هو فرح، وحزن لحزنه إن هو حزن وإن كان عنده ما يفرج عنه فرج عنه إلّا دعا له »[٣].

كما نجده يحذّر من بعض التصرّفات التي من شأنها أن تفسد العلاقة . فقد قال (عليه السلام) لابن النعمان: «إن أردت أن يصفو لك ودّ أخيك فلا تمازحنّه ولا تمارينّه ولا تباهينّه، ولا تشارنّه، ولا تطلع صديقك من سرّك الا على ما لو اطّلع عليه عدوّك لم يضرّك، فإن الصديق قد يكون عدوك يوماً »[٤].

كما حذّر (عليه السلام) من المجاملة على حساب المبدأ والتعاطف مع الخصوم فقال : « من قعد الى سابّ أولياء الله فقد عصى الله ومن كظم غيضاً فيما لا يقدر على إمضائه كان معنا في السنام الأعلى »[٥].

وقال أيضاً: « مَن جالس لنا عائباً، أو مدح لنا قالياً أو واصل لنا قاطعاً، أو قطع لنا واصلاً ، أو والى لنا عدواً، أو عادى لنا وليّاً فقد كفر بالذي أنزل السبع المثاني

---

(١) السخيمة: الحقد والضغينة حتى تسل سخيمته والسل الانتزاع والاخراج في رفق.

(٢) وسائل الشيعة : ٨ / ٥٤٩.

(٣) وسائل الشيعة : ٥٤٢/٨.

(٤) الكافي : ١ / ١٦٥، وبحار الأنوار : ٧٨ / ٢٨٦ .

(٥) المصدر السابق.

والقرآن العظيم »[١].

وحذّر أيضاً من مرض الانقباض والشحناء مع الاخوان والمراء والخصومة . فقال (عليه السلام) : قال امير المؤمنين (عليه السلام) : « إيّاكم والمراء والخصومة فإنّهما يمرضان القلوب على الإخوان وينبت عليهما النفاق »[٢].

موقف الإمام (عليه السلام) من الهجران والمقاطعة

وندّد الإمام (عليه السلام) بظاهرة المقاطعة بين المؤمنين قائلاً : «لا يفترق رجلان على الهجران إلا استوجب أحدهما البراءة واللعنة، وربّما استحق ذلك كلاهما. فقال له معتّب: جعلني الله فداك، هذا الظالم. فما بال المظلوم؟ قال: لأنه لا يدعو أخاه الى صلته ولا يتغامس (يتغافل) له عن كلامه، سمعت أبي يقول: إذا تنازع اثنان، فعازّ أحدهما الآخر فليرجع المظلوم على صاحبه حتى يقول لصاحبه: أي أخي انا الظالم، حتى يقطع الهجران فيما بينه وبين صاحبه فان الله تبارك وتعالى حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم »[٣].

الخط التربوي للإمام الصادق(عليه السلام)

لم تكن علاقة الإمام الصادق (عليه السلام) مع جماعته وأصحابه من الناحية التربوية قائمة على اساس الوعظ والارشاد العام من دون تشخيص لمستويات وواقع سامعيه فكرياً وروحياً وما يحتاجون اليه، بل كان (عليه السلام) يستهدف البناء

---

(١) الأمالي للصدوق: ٥٥ وبحار الأنوار: ٢٢/٢٧، ووسائل الشيعة : ٥٠٦/١١ .

(٢) وسائل الشيعة : ٤٠٦/٨ ، باب كراهة الانقباض من الناس.

(٣) الكافي : ٣٤٤/٢ / ح ١ وبحار الأنوار : ١٨٤/٧٥ ، ووسائل الشيعة : ٥٨٤/٨ .

الخاص ويميّز بينهم ويزقّ لهم الفكرة التربوية التي تحركهم نحو الواقع ليكونوا على استعداد تام لتحمل مسؤولية اصلاح الأُمة فكان يزوّدهم بالاسس والقواعد التربوية الميدانية التي تؤهلهم لتجاوز الضغوط النفسية والاقتصادية ويمتلكوا الأمل الالهي في تحقيق اهدافهم.

ونشير الى بعض ما رفد به الإمام أصحابه من توجيهات ضمن عدّة نقاط:

النقطة الاولى: في الدعوة والاصلاح

قال (عليه السلام): **«إنما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من كانت فيه ثلاث خصال: عالم بما يأمر، عالم بما ينهى. عادل فيما يأمر، عادل فيما ينهى. رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى»**[1].

واعتبر الإمام (عليه السلام) النقد البنّاء سبباً لسدّ الفراغ والضعف الذي يصيب الافراد عادةً، فقال (عليه السلام): **«أحبّ اخواني إليّ من أهدى إليّ عيوبي»**[2].

وقال (عليه السلام): **«اذا بلغك عن أخيك ما تكره، فاطلب له العذر الى سبعين عذراً فإنْ لم تجد له عذراً، فقل لنفسك لعلّ له عذراً لا نعرفه»**[3].

النقطة الثانية: التعامل التربوي في مجال العلم والتعلم

أكّد الإمام الصادق (عليه السلام) على الخطورة التي تترتب على الرسالة العلمية اذا انفكت عن قاعدتها الاخلاقية وَوُظِّفَ العلم لأغراض دنيوية وما ينجم عنه من تشويه لهذه الرسالة المقدسة. وقد لعب هذا الفصل بين العلم وقاعدته

(١) تحف العقول: ٣٥٨، وبحار الأنوار: ٧٨/٢٤٠.

(٢) تحف العقول: ٣٦٦، وبحار الأنوار: ٧٨/٢٤٩.

(٣) احقاق الحق: ١٢/٢٧٩، والمشروع الروي: ١/٣٥.

الأخلاقية دوراً سلبياً حيث انتج ظاهرة وعاظ السلاطين التي وظّفت الدين لمصلحة السلطان من هنا حذّر الإمام (عليه السلام) من هذه الظاهرة ضمن تصنيفه لطلبة العلم قائلاً: **« طلبة العلم ثلاثة فاعرفوهم بأعيانهم وصفاتهم: صنف يطلبه للجهل والمراء وصنف يطلبه للاستطالة والختل، وصنف يطلبه للفقه والعقل.**

فصاحب الجهل والمراء، مؤذٍ ممارٍ متعرض للمقال في أندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلىٰ من الورع، فدقّ الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه.

وصاحب الاستطالة والختل، ذو خبّ وملق يستطيل على مثله من أشباهه ويتواضع للأغنياء من دونه، فهو لحلوائهم هاضم، ولدينه حاطم، فأعمى الله على هذا خبره، وقطع من آثار العلماء أثره.

وصاحب الفقه والعقل، ذو كآبة وحزن وسهر، قد تحنّك في برنسه، وقام الليل في حندسه، يعمل ويخشى وجلاً داعياً مشفقاً، مقبلاً على شأنه، عارفاً بأهل زمانه، مستوحشاً من أوثق اخوانه فشدّ الله من هذا أركانه، وأعطاه يوم القيامة أمانه »[١].

النقطة الثالثة : الضابطة التربوية للتصدّي والقيادة

وضع الإمام (عليه السلام) قاعدة اخلاقية عامة وضابطة يتعامل بها المؤمن ويطبقها في كل ميادين الحياة، وبها تنمو الفضيلة، وتكون ايضاً سبباً للتنافس الصحيح والبنّاء والتفاضل المبدئي. وبغياب هذه القاعدة واستبدالها بمقاييس مناقضة لها سوف يتقدم المفضول على الفاضل وتضيع القيم وتهدر الطاقات، قال (عليه السلام) : **«من دعا الناس الى نفسه، وفيهم من هو أعلم منه، فهو مبتدع ضالّ»**[٢].

---

(١) الكافي: ٤٩/١، وبحار الأنوار : ٨٣ / ١٩٥.

(٢) تحف العقول : ٣٧٥، وبحار الأنوار: ٢٥٩/٧٨.

النقطة الرابعة: المحنة والقدرة على المقاومة

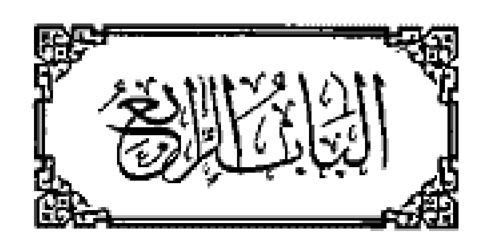
لقد عبأ الإمام الصادق (عليه السلام) شيعته وعاهدهم في أكثر من مرّة قائلاً: إن الانتماء لخطّه سوف يترتّب عليه من الاضطهاد والابتلاء ما لا يطيقه أحد إلّا من اختاره الله سبحانه، كما أن التشيع لا يستحقه إلا اولئك الذين لديهم الاستعداد للتضحية العالية وتحمّل البلاء. وهذا اسلوب إلهي استخدمه الله مع اوليائه ، فعن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) عندما ذكر عنده البلاء وما يخص به المؤمن قال: **سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله) مَن أشد الناس بلاءاً في الدنيا؟ فقال: «النبيون ثم الأمثل فالأمثل، ويُبتلى المؤمن بعد على قدر إيمانه وحسن أعماله فمن صحّ إيمانه وحسن عمله اشتد بلاؤه ومن سخف ايمانه وضعف عمله قلّ بلاؤه»**[1].

وروى الحسين بن علوان عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) إنه قال وعنده سدير : **«إن الله اذا أحبّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً»**[2].

وقال (عليه السلام) : **«قد عجز من لم يعد لكل بلاء صبراً، ولكل نعمة شكراً ولكل عسر يُسراً، اصبر نفسك عند كل بلية ورزية في ولد أو في مال، فإنّ الله إنما يقبض عاريته وهبته وليبلو شكرك وصبرك»**[3].

وقال (عليه السلام) : **«إنا لنصبر، وإن شيعتنا لأصبر منّا، قال الراوي فاستعظمت ذلك، فقلت: كيف يكون شيعتكم أصبر منكم ؟! فقال (عليه السلام) : إنا لنصبر على ما نعلم، وأنتم تصبرون على ما لا تعلمون »**[4].

(١) وسائل الشيعة : ٢/٩٠٦.
(٢) المصدر السابق: ٢/٩٠٨ .
(٣) تحف العقول : ٣٦١، وبحار الأنوار: ٦٧/٢١٦.
(٤) مشكاة الأنوار : ٢٧٤.



فيه فصول :



الفصل الأول :

نهاية الحكم الأموي وبداية الحكم العبّاسي

الفصل الثاني :

حكومة المنصور واستشهاد الإمام الصادق (عليه السلام)

الفصل الثالث :

من تراث الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول

نهاية الحكم الأموي وبداية الحكم العباسي

١ ـ المستجدّات السياسية

لقد تداعا النظام الأُموي في هذه المرحلة التاريخية من حياته بعد أن فقد في نظر الأُمّة كلّ مبرراته الحضارية، عقائدية كانت أو سياسية، ولم يبقَ في قبضته سوى منطق السيف الذي هو آخر مواطن القوة التي كان يدير بها شؤون البلاد.

وحتى هذا المنطق لم يدم طويلاً أمام إرادة الأُمة رغم صرامة آخر ملوك الأُمويين (مروان) المعروف في حسمه.

لقد استحكمت قناعة الأُمة وآمنت بضرورة التخلّص من الطغيان الأُموي، ولم يبق بعد شيءٌ بيد وعّاظ السلاطين ليرتشوا به ويدافعوا عن وجه الاستبداد الأُموي الكالح فيوظّفوا القرآن والحديث لصالح مملكته ولزوم طاعة الأُمة لحكّامها ، حيث تراكمت في ذهن الأُمة وضميرها تلك المظالم التي ارتكبت بحق ذريّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بدءاً بسمّ معاوية للامام الحسن (عليه السلام) وسبّه الإمام علي أخي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وابن عمه وزوج ابنته وجعل السبّ سُنّةً، ثم قتل الحسين بن علي ريحانة الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته وخيرة أصحابه

بأمر يزيد وعمّاله، وأخذه البيعة من أهل المدينة في واقعة الحَرة الأليمة على أنهم عبيد له بعد أن أباحها لجيشه ثلاثة أيام.

وقول عبدالملك بن مروان: (من أوصاني بتقوى الله ضربت عنقه)[1] وقتل الطاغية هشام لزيد بن علي (عليه السلام) وصلبه وحرق جثمانه الشريف.

وفساد الولاة الأُمويين بالاضافة الى جبايتهم الضرائب الظالمة وشق صف وحدة الأُمّة الاسلامية وتمزيقها الى طوائف بإشاعتهم للروح القبلية حيث فرّقوا بالعطاء واستعبدوا الشعوب غير العربية.

وهكذا ظهرت الى سطح الساحة الفكرية والفقهية آراء لا ترى أية شرعية للنظام الأُموي وعبّرت عن ذلك في وسط الأُمة وأصبح مدح العلويين أمراً تتناقله الناس رغم سلبية موقف السلطة منهم، بعد أن كان الخوف يمنعهم من التعبير عن رأيهم.

وهكذا استعدت الأُمة بفعل تراكم الظلم الأُموي لأن تتقبّل أي بديل من شأنه أن ينقذها من الكابوس الأُموي، لعلّها تنعم بشيء من العدل والمساواة.

وهذا الجو قد شجّع على ظهور اتجاهات وادّعاءات سياسية تحرض الأُمة وتدعوها الى الانضمام تحت رايتها تحقيقاً لاطماعها في الخلافة، كما تطلعت الأمة للمنقذ باحثة عن أخباره بشغف وأخذت فكرة المهدي المنتظر تشق طريقها في اوساط الأُمة المظلومة.

ومن جانب آخر اتسع خط الإمام (عليه السلام) وامتدّ وكثرت أنصاره واستلهمت الأُمة ثقافته حيث إ نّه قد أثّر في عقلها وقراراتها، ليس على

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢١٩.

المستوى الخاص الذي يحضى برعاية الإمام فحسب أو في دوائر محدودة، بل أصبح له وجود في مختلف البلاد الاسلامية وتألق الإمام الصادق(عليه السلام) ودخل صيته في كل بيت حتى اصبح مرجعاً روحياً تهوى اليه القلوب من كل مكان وتلوذ به لحل مشكلاتها الفكرية والعقائدية والسياسية.

ولم يكن هذا الامتداد منحصراً بين عموم الناس وسوادها بل كان الإمام (عليه السلام) مرجعاً لعلمائها وموئلاً لساستها ، فهذا سفيان الثوري يقول: دخلت على الإمام الصادق (عليه السلام) فقلت له: أوصني بوصية أحفظها من بعدك. قال: « **وتحفظ يا سفيان** ؟ قلت: أجل يابن رسول الله. قال: **يا سفيان لا مروّة لكذوب ولا راحة لحسود ولا إخاء لملول ولا خلّة لمختال ولا سؤدد لسيّء الخلق**»[1].

ودخل عليه مرة أُخرى يطلب منه المزيد من التعاليم فقال (عليه السلام): «**يا سفيان الوقوف عند كل شبهة خير من الاقتحام في الهلكة، وترك حديث لم تروه أفضل من روايتك حديثاً لم تحصه، إن على كل حقّ حقيقة وعلى كلّ صواب نوراً. ما وافق كتاب الله فخذوه وما خالفه فدعوه**»[2]. وكانت لسفيان الثوري لقاءات أُخرىٰ مع الإمام(عليه السلام) بل كانت علاقته به علاقة التلميذ بأستاذه.

وكان من جملة العلماء الذين يدخلون على الإمام للاستفادة منه حفص ابن غياث وهو أحد أعلام عصره وأحد المحدثين في وقته فكان يطلب من الإمام (عليه السلام) أن يرشده ويوصيه . فقال له الإمام (عليه السلام) : «**إن قدرتم أن لا تعرفوا فافعلوا، وما عليك ان لم يثن الناس عليك** ـ الى أن قال ـ : **إن قدرت أن لا تخرج من بيتك**

(١) بحار الأنوار : ٧٨/٢٦١.

(٢) أُصول الكافي: ٦٩/١ ح ١ وتاريخ اليعقوبي: ٣٨١/٢ وعن الكافي في بحار الأنوار : ١٦٥/٢ والإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ٣٢٢/٢.

فافعل فإنّ عليك في خروجك أن لا تغتاب، ولا تكذب ولا تحسد، ولا ترائي، ولا تداهن».

وكان ابو حنيفة يغتنم الفرص ليحضر عند الإمام ويستمع منه، وكان يقول بحق الإمام(عليه السلام): ما رأيت افقه من جعفر بن محمد (عليه السلام).

وكان مالك بن أنس ممّن يحضر عند الإمام (عليه السلام) ليتأدب بآدابه ويهتدي بهديه فكان يقول: ما رأت عين ولا سمعت أُذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً. وقال: اختلفت الى جعفر بن محمد زماناً فما كنت أراه إلّا على احدى ثلاث خصال إمّا مصلّياً وإمّا صائماً وإمّا يقرأ القرآن، وما رأيته قط يحدّث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلّا على طهارة، ولا يتكلم بما لا يعنيه، وكان من العلماء العبّاد والزهاد الذين يخشون الله[1].

وشهد المنصور بحقّه وهو ألدّ اعدائه قائلاً: إن جعفر بن محمد كان ممّن قال الله فيه ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ وكان ممن اصطفى الله وكان من السابقين بالخيرات[2].

ولم يكن الإمام مرجعاً للعلماء والفقهاء والمحدّثين وقائداً للنهضة الفكرية والعلمية في زمانه فحسب بل كان مرجعاً للساسة والثوار حيث كان الزعيم الحقيقي للخط العلوي الثائر، حيث نجد زيداً الشهيد بن علي بن الحسين(عليه السلام) يرجع اليه في قضية الثورة، كما كان زيد يقول بحق الإمام (عليه السلام) في كل زمان رجل منّا أهل البيت يحتج الله به على خلقه، وحجة زماننا ابن اخي جعفر لا يضل من تبعه ولا يهتدي من خالفه[3].

---

(١) مالك بن انس للخولي : ٩٤، وكتاب مالك، محمد أبو زهرة : ٢٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٣٨٣/٢ وقد أخذ هذا عن الصادق(عليه السلام) نفسه، كما عنه في مناقب آل أبي طالب: ١٤٢/٤.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب: ٢٩٩/٤.

ولم يكن الإمام جزءاً منفصلاً عن الثورة فقد كان يدعم الثورة بـالمال والدعاء والتحريض والتوجيه كما مرّ في البحوث السابقة[١] أما العلويون من آل الحسن أمثال عبدالله بن الحسن وعمر الأشرف بن الإمام زين العابدين فهم كانوا يرجعون اليه ويستشيرونه في مسائل حياتهم، ولم يتجاوزه أحد في الأعمال المسلحة والنشاطات الثورية.

من هنا فإنّ القناعة السائدة آنذاك في اوساط الأُمّة هي أن البديل للحكم الأُموي هو الخط الذي يتزعمه الإمام (عليه السلام) . وهذه الحقيقة لم يمكن تغافلها، كما سوف يتضح أن أهم قادة الحركة العباسية ورؤساؤها والمدبرون لها أو قادتها العسكريون كانوا يعتقدون في قرارة أنفسهم بأن الإمام (عليه السلام) هو الأولى من غيره، وصاحب القوة والقدرة والحنكة في ادارة الثورة وقيادتها؛ وذلك لطاقاته الإلهية وثقله الشعبي، ولهذا فاتحه بالمبايعة كخليفة كلّاً من أبي سلمة الخلّال وأبي مسلم الخراساني، وقد ألحّ عليه بعض أصحابه أيضاً مؤكّداً ضرورة اعلان الثورة.

والجدير بالانتباه أنّ الإمام (عليه السلام) لم يتبوّأ هذا الموقع المقدس من القلوب بسبب المعادلات السياسية الآنية ، فإنّ الأحداث والظروف المختلفة هي التي كانت قد خلقت هذا الجوّ وأكّدت بأن يكون الإمام (عليه السلام) لا غيره في هذا الموقع ويصبح هو البديل اللائق سياسياً وفكرياً والخليفة الشرعي للمسلمين بدل الحكم الأُموي الظالم.

وإنّ العمل الدؤوب والمنهج الاصلاحي الذي خطّه الإمام (عليه السلام) ومن سبقه من ائمة أهل البيت (عليهم السلام)، وبناء الأجيال الطليعية أدّى الى ارتفاع هذا

---

(١) راجع ص : ٧٩ ـ ٨٠ حول موقف الإمام الصادق من ثورة زيد.

الوعي عند الأُمة وخلق منعطفاً تاريخياً في حياة الأمّة ممّا أدّى الى أن تنعم الأُمّة بالثروة الفكرية التي خلفتها تلك الفترة الذهبية لنا.

وكان الإمام (عليه السلام) في هذا الظرف الحسّاس يراقب التحركات السلبية التي تحاول العبث بمسار الأمّة والأخذ بها الى مطبّات انحرافية جديدة، من هنا أصدر جملة من التوجيهات لأصحابه والتزم الحياد إزاء العروض السياسية الكاذبة التي تقدّم بها بعض الثوار؛ وذلك لمعرفته بالدوافع والمطامع التي كانت تحركهم.

وكان من تلك الاتجاهات التي تحركت لاقناع الناس بضرورة الثورة على الأُمويين بهدف الاستحواذ على الخلافة وتفويت الفرصة على منافسيهم الاتجاه العباسي.

٢ ـ الحركة العباسيّة [النشأة والأساليب]

سبقت الإشارة الى النواة الأُولى التي دفعت ببني العبّاس إلى أن يطمعوا في الخلافة ويمنّوا أنفسهم بها.

وقد مرّ فيما ذكرنا[1] ان أبا هاشم كان من رجالات أهل البيت البارزين، وكان هشام بن عبدالملك يحذره؛ لوجود لياقات علمية وسياسية عنده تؤهله للقيادة، فحاول هشام اغتياله. ولمّا أحس ابو هاشم بالمكيدة ضدّه احترز من ذلك فأوصى الى محمد بن علي بن عبدالله بن العبّاس بإدارة أتباعه في مقاومة الأُمويّين سنة (٩٩ هـ) وكانت هذه الوصية هي بذرة الطمع التي حركت

---

(١) راجع البحث الذي مرّ تحت عنوان (بداية الانفلات) في الصفحة ٨٢ من هذا الكتاب.

محمدبن علي بن عبدالله بن العباس مما جعلته يشعر بأنه القائد والخليفة مستقبلاً.

وكانت الفرصة سانحة في ذلك الوقت بالتبليغ لشخصه، لذا شرع في بثّ الدعاة الى خراسان سرّاً لهذا الغرض واستمرّ بدعوته الى أن مات سنة (١٢٥ هـ) وترك من بعده أولاده، وهم ابراهيم الإمام، والسفّاح، والمنصور[١]. ويبدو أنّ ابراهيم الإمام هو الذي كان يخطط لقيام دولة عبّاسية لأنّه الأكثر دهاءاً وحنكة وتخطيطاً من أخويه كما سيتضح ذلك.

نشط ابراهيم بالدعوة وأخذ يتحدّث بأهمية الثورة وإنقاذ المنكوبين، وشارك البسطاء من الناس آلامهم وأخذ يعطف على المظلومين ويلعن الظالمين. وانتشر دعاة ابراهيم في بلاد خراسان وكان لهم الأثر الكبير هناك وكان منهم زياد مولى همدان، وحرب بن قيس، وسليمان بن كثير، ومالك بن الهيثم وغيرهم، وقد تعرض الدعاة العباسيون للقتل في سبيل دعوتهم ومثّل ببعضهم وحُبس البعض الآخر[٢] وكان في طليعة الدعاة نشاطاً وقوة ودهاء ابو مسلم الخراساني[٣].

وتضمّن المنهج السياسي العباسي ـ لتضليل الأُمّة ـ عدة أساليب كانت منسجمة مع الواقع ومقبولة عند الناس؛ لذا لقيت الدعوة استجابة سريعة وانضم المحرومون والمضطهدون اليها.

ونشير الى بعض هذه الأساليب فيما يلي:

---

(١) الآداب السلطانية : ١٢٧.

(٢) تاريخ ابن الساعي : ٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢/٣٤٠ـ ٣٤٤.

الأسلوب الأوّل:

حرّك العباسيون العواطف بقوّة وحاولوا اقناع الناس بأن الهدف من دعوتهم هو الانتصار لأهل البيت (عليهم السلام) الذين تعرّضوا للظلم والاضطهاد واريقت دماؤهم في سبيل الحق، وركّز العباسيون بين صفوف دعاتهم بأن الهدف المركزي من دعوتهم هو رجوع الخلافة المغتصبة الى اهلها. ولهذا تفاعل الناس مع شعار (الرضي من آل محمد) ووجدوا في هذا الشعار ضالّتهم.

وكان يعتقد الدعاة أن هذه الدعوة تنبئ بظهور عهد جديد يضمن لهم حقوقهم كما عرفوه من عدالة علي (عليه السلام). وقد حقق هذا الشعار نجاحاً باهراً خصوصاً في البلاد التي كانت قد لاقت البؤس والحرمان وكانت تترقب ظهور الحق على يد أهل بيت النبوة.

وكانت ثقافتهم السياسية التي يروّج لها دعاتهم بين الناس تأتي على شكل تساؤلات، منها: «هل فيكم أحد يشك أن الله عزّ وجلّ بعث محمداً واصطفاه؟ فيقولون: لا ، فيقال: أفتشكّون أن الله أنزل عليه كتابه فيه حلاله وحرامه وشرائعه؟ فيقولون: لا ، فيقال: أفتظنون خلفه عند غير عترته وأهل بيته ؟ فيقولون: لا ، فيقال: أفتشكون أنّ أهل البيت هم معدن العلم وأصحاب ميراث رسول الله الذي علمه الله؟ فيقال: لا...»[1].

بهذه الإثارات العامّة التي لا تعيّن المصداق وتكتفي بالايحاء وتتكئ

(١) الكامل لابن الأثير: ٣٦٢/٥.

على الغموض حصلوا على مكاسب جماهيرية هائلة حتى من غير المسلمين.

وكان هذا الاسلوب يشكّل سرقة لجهود الائمة (ﻋﻠﻴﻬﻢ السلام) حيث يوظّفونها لمصالحهم في الأوساط غير الواعية لطبيعة الصراع.

الأُسلوب الثاني:

ومن الأساليب الي سلكها الدعاة العباسيون ونفذوا من خلالها الى اوساط الأُمّة النبوءات الغيبية التي كانت تكشف عن احداث المستقبل، وكان لهذا الاسلوب الماكر الأثر الكبير في كسب البسطاء واندفاع المتحمسين للدعوة وانضمامهم اليها اعتقاداً منهم بصحة ما يدعون اليه، فمن تلك النبوءات الغيبية التي أشاعوها في ذلك الحين أنّ (ع) ابن (ع) سيقتل (م) ابن (م)، ثمّ تأولوا ان المراد بالأوّل هو عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس والثاني هو مروان بن محمد بن مروان، كما ادّعوا ايضاً حسب زعمهم أن النبي (ﷺ) كان يبشّر بدولة هاشمية على انه (ﷺ) قال لعمه العباس: إنها تكون في ولدك.

ومن تلك الدعايات التي كانت تريد اضفاء الشرعية على دعوتهم هو زعمهم بأن لديهم كتباً تؤكد انتقال الخلافة الى بني العباس لكن لا يجوز اخراجها وكشفها لكل الناس. وإنّما يطّلع عليها النقباء من خواصّهم. وهذا الاسلوب كان قد زاد الدعاة تقديساً لدعوتهم كما انها قد زادتهم اندفاعاً لها[1].

الأُسلوب الثالث:

واستخدموا اسلوباً لم يكن مألوفاً من قبل وهو في غاية من الدهاء السياسي حيث استطاعوا بواسطته أن يكسبوا الجولة ويوظفوا الجهود والقناعات المختلفة نحو هدف واحد وهو أنهم كانوا يتشدّدون في اخفاء اسم الخليفة الذي يدعون اليه، من هنا التزموا بكتمان أمره ووعدوا الناس بأنّ

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، أسد حيدر: ٢/ ٣٠٩.

الخليفة لا يمكن اظهار اسمه إلا بعد زوال سلطان الأُمويين حيث يعلق اسمه الذي تعرفه القوّاد والنقباء(١).

الأُسلوب الرابع:

ومن الأساليب التي استخدمها العباسيون في دعوتهم هو ـ لبس السواد ـ حيث كانوا يرمزون به الى محاربة الظالمين وإظهار الحزن والتألّم لأهل البيت (عليهم السلام) والشهداء الذين لحقوا بهم.

وهكذا قامت الدعوة العباسية باسمهم للانتقام من الأُمويين وتركيزاً لهذا الشعارالذي كان له وقع بالغ في النفوس أرسل إبراهيم الإمام لواءً يُدعى الظل أو السحاب على رمح طويل، طوله ثلاثة عشر ذراعاً، وكتب الى أبي مسلم: أني قد بعثت اليك براية النصر(٢) وقد تأوّلوا الظل أو السحاب فقالوا: إن السحاب يطبق الأرض وكما أن الأرض لا تخلو من الظل كذلك لا تخلو من خليفة عبّاسي(٣)، وان ذلك يمثل لواء رسول الله (صلى الله عليه وآله) لانهم ذكروا أن لواءه في حروبه وغزواته كان أسود.

وبعد أن حقّق العباسيون بدهاء ابراهيم الامام وأبيه من قبل وانصاره في خراسان تقدماً مشهوداً وكثرت انصارهم هناك وشكلوا مجاميع منظّمة تدعو لهم، وتأكدوا من نجاح اساليبهم في تضليل الناس وانها قد ترسّخت في نفوس دعاتهم، حينئذٍ تحركوا خطوة نحو منافسيهم الحقيقيين وهم أهل البيت(عليهم السلام) فإنهم الذين كان العباسيون يخشونهم أشد خشية؛ لأن دعوتهم لم تحقق أي

(١) الإمام الصادق والمذاهب الاربعة: ٢ / ٣٠٩.

(٢) الطبري: ٩ / ٨٢.

(٣) الطبري: ٩ / ٨٥ والكامل لابن الاثير: ٥ / ١٧٠.

نجاح إلا بواسطة الشعارات التي كانت باسم أهل البيت (عليهم السلام) إذ حالة عزل الخط العلوي وتجاهله في بداية الأمر سوف تحبط مخططاتهم بأجمعها، ومن هنا لجأ العباسيون الى عقد اجتماع موسع يضم الطرف العباسي والعلوي بهدف احتواء الخط العلوي وزجّه في المعترك السياسي والايحاء للجماهير الاسلامية بأن البيت العلوي وراء هذا النشاط الثوري.

وكان إبراهيم الإمام يعلم وعشيرته من بني العباس ، بأن الصادق(عليه السلام) يدرك جيداً على ماذا تسير الأُمور وما هو الهدف من هذا التخطيط ، وليس بمقدورهم احتواء الامام وتوظيف جهده وزجّه ضمن مخططهم وسوف لن يستجيب فيما لو دعي للحضور في الاجتماع المزمع عقده ، لذا عمدوا إلى شقّ الصفّ العلوي وإغراء آل الحسن بأن تكون الخلافة لهم .

اجتماع الأبواء

وكان الهدف من عقد هذا الاجتماع الصوري بالاضافة إلى الهدف الذي ذكر أعلاه تهيئة الأجواء الودية وإشاعة روح المحبّة والوئام بينهم وبين العلويين وتطميناً لخواطرهم وعلى أقل تقدير جعلهم محايدين في هذا الصراع، ليتمّ لهم ما يهدفون إليه ويحشدوا ما استطاعوا من قوة لصالحهم.

من هنا اجتمعوا في منطقة الابواء ـ التي تقع بين مكة والمدينة ـ ودعوا كبار العلويين والعباسيين، فحضر كل من إبراهيم الإمام والسفاح والمنصور وصالح ابن علي وعبد الله بن الحسن وابناه محمد ذي النفس الزكية وإبراهيم وغيرهم.

وقام صالح بن علي خطيباً فقال: قد علمتم أنكم الذين تمدّ الناس أعينهم إليهم، وقد جمعكم الله في هذا الموضع، فاعقدوا بيعة لرجل منكم تعطونه إياها من أنفسكم وتواثقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين.

ثم قام عبد الله بن الحسن فحمد الله واثنى عليه ثم قال: قد علمتم أن ابني هذا هو المهدي فهلمّوا لنبايعه.

فقال أبو جعفر المنصور: لأي شيء تخدعون أنفسكم؟ والله لقد علمتم ما الناس إلى أحد أصور[1] أعناقاً، ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى - يريد به محمد بن عبد الله -، قالوا قد - والله - صدقت إن هذا لهو الذي نعلم. فبايعوا جميعاً محمّداً، ومسح على يده كل من إبراهيم الإمام والسفّاح والمنصور وكل من حضر الاجتماع[2].

وبعد أن أنهى مؤتمرهم أعماله بتعيين: محمد بن عبد الله بن الحسن خليفة للمسلمين، أرسلوا إلى الإمام الصادق (عليه السلام) فجاء الإمام وقال: «لماذا اجتمعتم؟ قالوا: ان نبايع محمد بن عبد الله، فهو المهدي».

قال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): **لا تفعلوا فإنّ الأمر لم يأت بعد، وهو ليس بالمهديّ**، فقال عبد الله - رداً على الإمام (عليه السلام) -: يحملك على هذا الحسد لابني! فأجابه الإمام (عليه السلام): **والله لا يحملني ذلك ولكن هذا وإخوته وأبناءهم دونكم** وضرب بيده على ظهر أبي العباس، ثم قال لعبد الله: **ما هي إليك ولا إلى ابنيك، ولكنها لبني العباس، وان ابنيك لمقتولان**، ثم نهض (عليه السلام) وقال: **إنّ صاحب الرداء الأصفر** - يقصد بذلك أبا جعفر - **يقتله**.

---

(١) أصور: أميل.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٢٥٦، واعلام الورى: ١/٥٢٧، وكشف الغمة: ٢/٣٨٦.

قال عبد العزيز: والله ما خرجت من الدنيا حتىٰ رأيته قتله. وانفضّ القوم، فقال أبو جعفر المنصور للإمام جعفر الصادق(عليه السلام) : تتمّ الخلافة لي ؟ فقال: نعم أقوله حقّاً»[1].

تحرك العباسيين بعد المؤتمر

بعد أنْ حقق المؤتمر غرضه وأيِسَ الحاضرون بقراره الكاذب نشط إبراهيم الإمام في الاتجاه الآخر ليواصل عمله بشكل مستقل عن أعضاء المؤتمر فأصدر عدّة قرارات سرية كعادته منها: أنه كتب إلىٰ شيعته في الكوفة وخراسان: أني قد أمّرت أبا مسلم بأمري فاسمعوا له وأطيعوا، قد أمّرته علىٰ خراسان وما غلب عليه. كان ذلك سنة (١٢٨ هـ) وكان أبو مسلم لايتجاوز عمره التسعة عشر سنة ووصفوه بأنه كان يقظاً فاتكاً غادراً لا يعرف الرحمة ولا الرأفة، وكان ماهراً في حياكة الدسائس.

ودهش الجميع لتعيين أبي مسلم في هذا المنصب الخطير نظراً لحداثة سنه وقلة تجاربه، وأبىٰ جمع من الدعاة طاعته والانصياع لأوامره إلّا أنّ إبراهيم الإمام ألزمهم السمع والطاعة[2] وأقدم أبو مسلم فيما بعد علىٰ إعدام جميع من عارض اختياره لقيادة هذه المنطقة.

أمّا ما هو الخط الذي سوف يتحرك بموجبه أبو مسلم لإعلان ثورته هناك ؟ فقد جاء هذا الخط في وصية إبراهيم الإمام له عندما قال : يا عبد الرحمن إنك منّا أهل البيت فاحفظ وصيتي ، انظر هذا الحي من اليمن

---

(١) مقاتل الطالبيين : ٢٥٦، الخرائج والجرائح : ٢ / ٧٦٥ ، وعنه في بحار الأنوار : ٤٧ / ١٢٠ : ٢٥٦ .

(٢) الكامل في التاريخ : ٤ / ١٩٥ ، وتاريخ ابن الساعي : ٣ .

فأكرمهم ، وحل بين ظهرانيهم ، فإن الله لا يتم هذا الامر إلّا بهم ، وانظر هذا الحي من ربيعه فاتهمهم في أمرهم ، وانظر هذا الحي من مضر فإنهم العدو القريب الدار ، فاقتل من شككت في أمره ومن وقع في نفسك منه شيء ، وإن شئت أن لا تدع بخراسان من يتكلم العربية فافعل ، فأيما غلام بلغ خمسة أشبار فاقتله[١] . وهذه الوصية تلخص السياسة العباسية مع المسلمين .

وقد أثّر أبو مسلم الخراساني في الناس لتعاطفه معهم حيث كان يتمتع بصفات تؤهّله لهذا الموقع، فهو خافض الصوت فصيح بالعربية والفارسية حلو المنطق راوية للشعر، لم يُر ضاحكاً ولا مازحاً إلّا في وقته، ولا يكاد يُقَطّب في شيء من أحواله تأتيه الفتوحات العظام فلا يظهر عليه أثر السرور، وتنزل به الحوادث الفادحة فلا يُرىٰ مكتئباً. وعندما سئل إبراهيم الإمام عن أهلية أبي مسلم قال : إني قد جرّبت هذا الاصبهاني ، وعرفت ظاهره وباطنه فوجدته حَجَر الارض[٢].

وكان محبوباً حتىٰ عند غير المسلمين حيث نجد دهاقين المجوس اندفعوا إلىٰ إتباعه وأظهروا الإسلام علىٰ يديه، كما استجاب للدعوة الإسلامية عدد كبير من أهل الآراء الخارجة عن الإسلام ، كل ذلك للظلم والجور الذي لحق بهم من الولاة الأُمويين وبسبب ما شاهدوه من العطف من أبي مسلم الخراساني ، ولذا كان الكثير منهم يعتبرونه وحده الإمام ، واعتقدوا أنه أحد أعقاب زرادشت الذي ينتظر المجوس ظهوره ، حتىٰ أنهم لم يعتقدوا بموت أبي مسلم بل كانوا ينتظرون رجعته[٣].

(١) الكامل في التاريخ : ٤ / ٢٩٥ .

(٢) وفيات الأعيان : ٣ / ١٤٥.

(٣) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة : ٢ / ٣١١.

ومن جانب آخر انه هو الذي أنزل جثمان يحيىٰ بن زيد وصلّىٰ عليه ودفنه ، وبعد أن تقلّد المنصب كقائد عام للعسكر توجّه من فوره لخراسان ليقود الجماهير التي تنتظر الأوامر منه وكانت متحمّسة قبل هذا الحين للحرب مع الأُمويين فخطب بالدعاة قائلاً: أشعروا قلوبكم الجرأة فإنها من أسباب الظفر، وأكثروا من ذكر الضغائن، فإنها تبعث علىٰ الاقدام، والزموا الطاعة فإنها حصن المحارب [1].

وفجّر الثورة هناك، وكان يبذر الشقاق بين جنود الأُمويين ليحصل الانقسام بينهم . وقد استفاد بذلك ونجح في مهمّته ، وقد انجفل الناس من هرات والطالقان ومرو وبلخ وتوافروا جميعاً مسودين الثياب وأنصاف الخشب التي كانت معهم [2] .

وباشر أبو مسلم إبادة الأبرياء فقتل ـ فيما ينقل المؤرخون ـ ستمائة ألف عربي بالسيف صبراً عدا من قتل في الحرب [3].

وتقدّمت جيوش أبي مسلم ـ بعد أن هزمت ولاة الأُمويين في خراسان ـ نحو العراق وهي كالموج تخفق عليها الرايات السود فاحتلّت العراق بدون مقاومة تذكر. وبهذا أُعلن الحكم العباسي علىٰ يد أبي مسلم الخراساني في الكوفة سنة (١٣٢ هـ) .

والجدير بالذكر أنه قبل أن يدخل أبو مسلم الخراساني الكوفة حدث هناك أمران ينبغي الالتفات اليهما :

---

(١) حياة الإمام موسىٰ بن جعفر : ١ / ٣٢٦.

(٢) حياة الحيوان، الدينوري : ٣٦٠.

(٣) حياة الإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام : ١ / ٣٢٦.

الأمر الاول: في سنة (١٣١ هـ) بعد إعلان أبي مسلم الخراساني الثورة في خراسان وقبل دخوله الكوفة أُلقي القبض على ابراهيم الإمام ـ الرأس المدبّر للثورة ـ من قبل الخليفة الأُموي مروان وحبسه في حرّان ثم قتله بعد ذلك في نفس التاريخ وبهذا الحدث تعرضت الحركة العباسية لانتكاسة كبرىٰ.

الأمر الثاني: خاف أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور وجماعة فهربوا الىٰ الكوفة لوجود قاعدة من الدعاة العباسيين فيها وعلىٰ رأسهم أبو سلمة الخلّال الذي كان يضاهي أبا مسلم في الدهاء والنشاط وكان يُعرف بوزير آل محمد (صلى الله عليه وآله) فأخلىٰ لهم داراً وتولىٰ خدمتهم بنفسه وتكتّم علىٰ أمرهم.

ولعلّ أبا سلمة الخلّال كان يريد من خلال هذا الإجراء صرف الخلافة لآل علي ولكنه غلب علىٰ أمره حتىٰ فاجأته جيوش أبي مسلم الخراساني إلىٰ الكوفة وظهر أمر بني العباس فأخرجوا السفاح إلىٰ المسجد وبايعوه يوم الجمعة ١٢ ربيع الاول سنة (١٣٢ هـ).

واستقبلت الكوفة بيعة السفاح بكثير من القلق لأنها كانت تترقّب بفارغ الصبر حكومة العلويين حسب الشعارات المرفوعة ليبسطوا الأمن والرخاء.

أمّا الاوساط الواعية في الكوفة، بل في كل أنحاء العالم الإسلامي فقد شجبت البيعة للسفّاح وأفتىٰ الفقهاء في يثرب بعدم شرعيّتها[1].

وبعد ذلك أخذوا به إلىٰ المسجد لغرض الصلاة والخطبة لكنه

---

(١) تاريخ الامم والملوك : ٩ / ١٢٤ ، وتاريخ ابن قتيبة : ١٢٨ ، والطقطقي : ١٢٧ .

حُصِر وخطب مكانه عمه داود ثمّ امتلك الجرأة فخطب وكان من جملة ما قاله في خطابه :

يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ، ومنزل مودتنا ، أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ، ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم ، حتىٰ أدركتم زماننا ، وأتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسدّ الناس بنا ، وأكرمهم علينا ، وقد زدتكم في اعطياتكم مائة درهم ، فأنا السفاح المبيح ، والثائر المنيح(١)

ثمّ أرسل قوّاته بقيادة عبد الله بن علي لقتال مروان بن محمد بن مروان الحمار ولاحقته الجيوش العباسية من بلدة إلىٰ أخرىٰ حتىٰ حاصرته في مصر في قرية يقال لها (بوصير) وقتل هناك شر قتلة(٢) .

٣ ـ موقف الإمام (عليه السلام) من الاحداث

التزم الإمام الصادق (عليه السلام) إزاء المستجدّات السياسية في هذه المرحلة موقف الحياد. لكنه من جانب آخر واصل العمل في نهجه السابق وأخذ يتحرّك بقوة ويوسع من دائرة الافراد الصالحين في المجتمع تحقيقاً لهدفه الذي خطه قبل هذا الوقت وحفاظاً علىٰ جهده في بناء الانسان .

ومن هذا المنطلق أصدر جملة من التوصيات لشيعته التي كان من شأنها أن تجنّبهم الدخول في المعادلات السياسية المتغيرة التي تؤدي بنتيجتها إلىٰ استنزاف الوجود الشيعي في نظر الإمام (عليه السلام) محذّراً من أساليب العنف والمواجهة كخيار لهذه المرحلة.

(١) الكامل في التاريخ : ٤١٣/٥ .

(٢) اليعقوبي: ٣٤٦/٢ وابن جرير وابن الأثير في الكامل في التاريخ: ٤٢٦/٥ .

فعن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : «**اتقوا الله وعليكم بالطاعة لأئمتكم ، قولوا ما يقولون ، واصمتوا عما صمتوا، فإنكم في سلطان من قال الله تعالىٰ : ﴿ وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ﴾**[1] يعني بذلك ولد العباس ، **فاتقوا الله فأنكم في هدنة، صلّوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم ، وأدّوا الامانة إليهم**»[2].

ويمكن بلورة سيرة الإمام (عليه السلام) ومنهجه السياسي ـ مع الاطراف الطامعة بالحكم ، أو العباسيين الّذين يرون في الإمام الصادق (عليه السلام) وخطه خطراً حقيقياً علىٰ سلطانهم ـ من خلال المواقف التالية :

موقف الإمام (عليه السلام) من عرض أبي سلمة الخلّال

لقد أدرك أبو سلمة الخلّال ـ أحد الدعاة العباسيين النشطين في الكوفة والذي لعب دوراً متميزاً في نجاح الدعوة العباسية وتكثير أنصارها في الكوفة، وذلك لما امتاز به من لياقة وعلم ودهاء ، وثراء حيث أنفق من ماله الخاص علىٰ رجال الدعوة العباسية، وكانت له علاقة خاصة واتصالات مستمرة مع إبراهيم الإمام وأدرك بعد موت ابراهيم الإمام بأن الامور تسير علىٰ خلاف ماكان يطمح إليه أو لعلّه كان قد تغير هواه واستجد في نفسه شيء ولاحظ أنّ مستقبل الخلافة سيكون إلىٰ أبي العباس أو المنصور وهما غير جديرين بالخلافة أو لطمعه بالسلطة ، نراه يكتب للعلويين وفي مقدمتهم الإمام الصادق (عليه السلام) بأنه يريد البيعة لهم.

لكننا لا نفهم من رسالة ـ أبي سلمة ـ للإمام (عليه السلام) بأنها رسالة ندم أو

---

(١) إبراهيم (١٤): ٤٦ .

(٢) الكافي : ٨ / ٢١٠ .

اعتراض على النهج العباسي وخديعتهم للعلويين أو إدانة أساليبهم في الاستيلاء على السلطة.

نعم إن الّذي نجده عند مشهور المؤرخين(١) هو أنّ أبا سلمة الخلال أراد نقل الخلافة إلى العلويين ولم يوفق لذلك.

ونجد في جواب الإمام (عليه السلام) على رسالة أبي سلمة: أن الإمام (عليه السلام) قد رفض العرض لا بسبب كون الظروف قلقة وغير مؤاتية فحسب بل كان الرفض يشمل أبا سلمة نفسه حيث قال: «**مالي ولأبي سلمة وهو شيعة لغيري**»(٢).

وأكد الإمام (عليه السلام) رفضه القاطع عند ما قام بحرق الرسالة التي بعثها له أبو سلمة جواباً لأبي سلمة:

قال المسعودي: كاتب أبو سلمة الخلّال ثلاثة من أعيان العلويين وهم جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) وعمر الأشرف بن زين العابدين، وعبد الله المحض، وأرسل الكتب مع رجل من مواليهم يسمى محمد بن عبد الرحمن ابن أسلم مولىً لرسول الله (صلى الله عليه وآله). وقال أبو سلمة للرسول: العجل العجل فلا تكونن كوافد عاد وقال له: اقصد أولاً جعفر بن محمد الصادق فإن أجاب فأبطل الكتابين الآخرين وإن لم يجب فالق عبد الله المحض فإن أجاب فأبطل كتاب عمر وإن لم يجب فالق عمر.

فذهب الرسول إلى جعفر بن محمد أولاً، ودفع إليه كتاب أبي سلمة فقال الإمام (عليه السلام): «**مالي ولأبي سلمة وهو شيعة لغيري؟!**». فقال له الرجل: اقرأ الكتاب، فقال لخادمه: **إدن السراج مني فأدناه**، فوضع الكتاب على

(١) تاريخ الامم والملوك: ٩ / ١٢٤. وابن قتيبة: ١٢٨، والطقطقي: ١٢٧.

(٢) مروج الذهب: ٣ / ٢٥٤، والآداب السلطانية: ١٣٧.

النار حتىٰ احترق، فقال الرسول: ألا تجيبه ؟ قال (عليه السلام): **قد رأيت الجواب. عرّف صاحبك بما رأيت »**[1].

موقف الإمام الصادق (عليه السلام) من العلويين

أما العلويون الذين خدعهم العباسيون في اجتماع الابواء قبل انتصار العباسيين وبايعوا في حينه محمد بن عبد الله كخليفة للمسلمين ، فقد استجاب عبد الله بن الحسن أيضاً للعرض الذي تقدم به أبو سلمة وجاء للإمام الصادق مسروراً يبشره بهذا العرض.

قال المسعودي : فخرج الرسول من عند الإمام الصادق وأتىٰ عبد الله بن الحسن ، ودفع إليه الكتاب وقرأه وابتهج ، فلما كان غد ذلك اليوم الذي وصل إليه فيه الكتاب ركب عبد الله حتىٰ أتىٰ منزل أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فلما رآه أبو عبد الله أكبر مجيئه ، وقال: **يا أبا محمد** (وهي كنية عبد الله المحض) **أمر ما أتىٰ بك ؟** قال : نعم هو أجل من أن يوصف ، فقال له: وما هو يا أبا محمد ؟

قال: هذا كتاب أبي سلمة يدعوني للخلافة ، وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان ، فقال له أبو عبد الله : **يا أبا محمد ومتىٰ كان أهل خراسان شيعة لك ؟ أنت بعثت أبا مسلم إلىٰ خراسان؟ وانت أمرتهم بلبس السواد؟ هؤلاء الذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أو وجهت فيهم ؟ وهل تعرف منهم أحداً ؟**

فنازعه عبد الله بن الحسن الكلام إلىٰ أن قال : إنما يريد القوم ابني محمداً لأنه مهدي هذه الأمة.

فقال أبو عبد الله جعفر الصادق : «**ما هو مهدي هذه الأُمة ولئن شهر سيفه**

---

(١) مروج الذهب : ٣ / ٢٥٤.

ليقتلن».

فقال عبد الله : كان هذا الكلام منك لشيء.

فقال الصادق (عليه السلام) : **«قد علم الله أني أوجب النصيحة على نفسي لكل مسلم فكيف أدّخره عنك فلا تمنّ نفسك الاباطيل ، فإن هذه الدولة ستتم لهؤلاء وقد جاءني مثل الكتاب الذي جاءك»**[1] .

نهاية أبي سلمة الخلّال

ولم يخف أمر أبي سلمة الخلال على العباسيين فقد أحاطوه بالجواسيس التي تسجل جميع حركاته وأعماله وترفعها إلى العباسيين ، فاتفق السفاح وأخوه المنصور على أن يخرج المنصور لزيارة أبي مسلم ويحدثه بأمر أبي سلمة ، ويطلب منه القيام باغتياله ، فخرج المنصور ، والتقى بأبي مسلم ، وعرض عليه أمر أبي سلمة فقال ، أبو مسلم : أفعلها أبو سلمة؟ أنا أكفيكموه؟

ثم دعا أحد قواده (مرار بن أنس الضبي) ، وقال له: انطلق إلى الكوفة فاقتل أبا سلمة حيث لقيته. فسار إلى الكوفة مع جماعة من جنوده وكان أبو سلمة يسمر عند السفاح الذي تظاهر باعلان العفو والرضا عنه ، واختفى مرار مع جماعته في طريق أبي سلمة فلما خرج من عند السفاح بادر إلى قتله ، وأشاعوا في الصباح: أن الخوارج هي التي قتلته[2] .

---

(١) مروج الذهب : ٣ / ٢٥٤، ٢٥٥ ونحوه في اليعقوبي: ٣٤٩/٢ ، والآداب السلطانية : ١٣٧ ونحوه الحلبي في مناقب آل أبي طالب : ٢٤٩/٤ عن ابن كادش العكبري في مقاتل العصابة العلوية .

(٢) اليعقوبي : ٣٥٤/٢ وتاريخ الأمم والملوك، احداث سنة (١٣٢) قتل ابو سلمة في الخامس عشر من شهر رجب بعد هزيمة مروان بشهر واحد .

موقف الإمام (عليه السلام) من عرض أبي مسلم

أما أبو مسلم الخراساني الذي قاد الانقلاب على الأُمويين في خراسان وتم تأسيس الدولة العباسية على يديه نجده في الأشهر الاولى من انتصار العباسيين واعلان البيعة لأبي العباس السفاح بالكوفة يكتب للإمام الصادق(عليه السلام) رسالة يريد بها البيعة للإمام (عليه السلام) فقد جاء فيها: إني قد أظهرت الكلمة ، ودعوت الناس عن موالاة بني أُمية إلى موالاة أهل البيت فإن رغبت فلا مزيد عليك[1] .

لا شك أن أبا مسلم الخراساني المعروف بولائه وإخلاصه للعباسيين وهو صنيعتهم حينما تصدر رسالة من عنده بهذه اللهجة تعتبر مفاجأة ولابد أن نتأثر بعوامل طارئة قد غيّرت من قناعاته، سواء كانت تلك العوامل ذاتية أو موضوعية. وإلّا فماهي الجهة التي تربطه بالإمام (عليه السلام) ؟

لم يحدثنا التاريخ عن أي علاقة بينه وبين الإمام (عليه السلام) عقائدياً أو سياسياً سوى لقاء واحد لم يتم فيه التعارف بينهما أو التفاهم . نعم كان الإمام(عليه السلام) قد عَرِفه وذكر اسمه ومستقبله السياسي قبل إعلان العباسيين ثورتهم[2] .

أما موقف الإمام من عرض أبي مسلم الخراساني فيمكن معرفته من جواب الإمام على الرسالة فقد جاء في جوابه (عليه السلام) **«ما أنت من رجالي ولا الزمان**

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني : ١ / ٢٤١ ، وفي روضة الكافي: ٢٢٩ جوابه لرسول أبي مسلم بكتابه إليه. وعنه في بحار الأنوار : ٢٩٧/٤٧ .

(٢) اعلام الورى : ٥٢٨/٢ وعنه في مناقب آل أبي طالب: ٢٥٩/٤ وبحار الأنوار: ٢٧٤/٤٧ ح ١٥ .

زماني »[١].

كلمات مختصرة ومعبّرة عن تفسير الإمام للمرحلة وتشخيصه لأبي مسلم؛ لأن أبا مسلم لم يكن من تربية الإمام، ولا من الملتزمين بمذهبه، فهو قبل أيام قد سفك من الدماء البريئة ما لا يُحصىٰ وقيل لعبد الله بن المبارك: أبو مسلم خير أو الحجاج؟ قال: لا أقول أن أبا مسلم كان خيراً من أحد ولكن الحجاج كان شراً منه[٢] وكان لا يعرف أحداً من خط أهل البيت ومواليهم؛ إذ كانت علاقته محصورة بدائرة ضيقة كما قد حددها له مولاه إبراهيم الإمام عندما أمره أن لا يخالف سليمان بن كثير، فكان أبو مسلم يختلف ما بين إبراهيم وسليمان[٣].

كما نجده بعد مقتل إبراهيم الإمام الذي كان يدعو له يتحول بولائه لأبي العباس السفاح ومن بعده لأبي جعفر المنصور، علماً أن العلاقة كانت بينه وبين المنصور سيئة وكان أبو مسلم يستصغر المنصور أيام حكومة السفاح[٤] إلّا أن المنصور ثأر لنفسه أيام حكومته فقتله شر قتلة.

أما المرحلة التي سادها الاضطراب فلم تكن في نظر الإمام (عليه السلام) وتقديره صالحة لتقبل اطروحته إذ قال له: (عليه السلام) «ولا الزمان زماني»[٥].

٤ـ منهج الإمام(عليه السلام) في هذه المرحلة

قد أملت الظروف السياسية الساخنة وساهمت في ايجاد بعض

(١) الملل والنحل للشهرستاني: ١ / ١٤٢.
(٢) وفيات الاعيان: ٣ / ١٤٥ وتاريخ مختصر الدول لابن العبري: ١٢١: سُئل بعضهم...
(٣) وفيات الأعيان: ١٤٥/٣.
(٤) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٦٧ والمسعودي: ٢٩١/٣ وتاريخ مختصر الدول: ١٢١.
(٥) الملل والنحل للشهرستاني: ١٥٤/١، تاريخ اليعقوبي: ٣٤٩/٢.

التصورات والارهاصات عند أصحاب الإمام (عليه السلام) أسوة بباقي الناس ، وقد لاحظ هؤلاء بأن الظرف مناسب لتفجير الوضع واستلام الحكم لضخامة ما كانوا يشاهدونه من شعبية الإمام وكثرة الناس التي تواليه. جاءت التصوّرات والتساؤلات عن ضرورة الثورة عند ما ورد إلى الإمام كتاب أبي مسلم الخراساني، فعن الفضل الكاتب قال كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فأتاه كتاب أبي مسلم فقال (عليه السلام) : **ليس لكتابك جواب أخرج عنا** ـ وقد مرّ جواب الإمام على العرض الذي تقدم به أبو مسلم ـ فجعلنا يُسار بعضنا بعضاً فقال :«**أيّ شيء تسارُّون يا فضل ؟ إن الله عز ذكره لا يعجل لعجلة العباد ، ولإزالة جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقض أجله**». ثم قال : **إن فلان بن فلان ، حتى بلغ السابع من ولد فلان.**

قلت : فما العلامة فيما بيننا وبينك جعلتُ فداك ؟ قال: «**لا تبرح الارض يا فضل حتى يخرج السفياني ، فإذا خرج السفياني فأجيبوا إلينا** ـ يقولها ثلاثاً ـ **وهو من المحتوم**»[1] .

وينقل المعلى بأنه جاء إلى الإمام بكتب كثيرة من شيعته تطالبه بالنهوض [2]. وقد مر جواب الإمام (عليه السلام) في البحوث السابقة بما حاصله أن الكثرة المزعومة وذلك العدد الذي لا يستهان به لهو أحوج إلى الاخلاص ورسوخ العقيدة في النفوس فلا يمكن للإمام أن يخوض المعركة بالطريقة التي يفكر بها فضل الكاتب أو سهل الخراساني وغيرهم، فإن المغامرة من هذا النوع والدخول في اللعب السياسية استغلالاً للظرف سيؤول إلى نتائج لم يدركها هؤلاء إذ تشكل تجربة كأداء تعطل المخطط الالهي الذي التزمه الإمام(عليه السلام) حتى في حالة نجاح الإمام (عليه السلام) وتسلمه مقاليد الحكم .

---

(١) روضة الكافي: ٢٢٩ وعنه في بحار الأنوار : ٤٧ / ٢٩٧ ، وسائل الشيعة : ١١ / ٣٧ .
(٢) الكافي : ٨ / ٢٧٤ .

التصعيد العباسي وموقف الإمام(عليه السلام)

وبعد أن تولىٰ أبو العباس السفاح الحكم وصار أوّل حاكم عباسي قام بتعيين الولاة في البلاد الإسلامية فعيّن عمه داود بن علي بن العباس والياً علىٰ يثرب ومكة واليمن. وقد خطب داود أول توليه المنصب خطاباً في أهالي المدينة وتضمن خطابه التهديد والوعيد بالقتل والتشريد قائلاً: أيها الناس أغركم الامهال حتىٰ حسبتموه الاهمال ، هيهات منكم ، وكيف بكم ؟ والسوط في كفي والسيف مشهر.

حتىٰ يبيد قبيلة فقبيلة ويعض كل مثقف بالهام
ويقمن ربات الخدور حواسراً يمسحن عرض ذوائب الأيتام[1]

وكان تعيين داود بن علي عم السفاح والياً علىٰ المدينة له الأثر السلبي علىٰ حركة الإمام الصادق (عليه السلام) فقد بادر هذا الاحمق بمواجهة الإمام عن طريق اعتقال مولىٰ الإمام (المعلىٰ بن خنيس) والتحقيق معه لغرض انتزاع أسماء الشيعة. وقد امتنع هذا المخلص وصمم علىٰ الشهادة ولم يذكر أي اسم حتىٰ استشهد.

عن أبي بصير قال: فلما ولي داود المدينة ، دعا المعلّىٰ وسأله عن شيعة أبي عبد الله (عليه السلام) فكتمه ، فقال اتكتمني !؟ أما إنك إن كتمتني قتلتك.

فقال المعلىٰ: أبالقتل تهددني ؟ ! والله لو كانوا تحت قدمي ما رفعت قدمي عنهم ، وإن أنت قتلتني لتسعدني ولتشقين ، فلما أراد قتله ، قال المعلىٰ أخرجني إلىٰ الناس ، فإنّ لي أشياء كثيرة ، حتىٰ أشهد بذلك.

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الاربعة : ١ / ١٣٩.

فأخرجه إلىٰ السوق ، فلما اجتمع الناس ، قال: أيها الناس ، إشهدوا أن ما تركت من مال عين ، أو دين ، أو أمة ، أو عبد ، أو دار ، أو قليل أو كثير ، فهو لجعفر بن محمد (عليه السلام) فقتل[١] .

لقد تألّم الإمام الصادق(عليه السلام) كثيراً لمقتل المُعلّىٰ بن خنيس ولما التقىٰ الإمام (عليه السلام) بداود بن علي بن العباس قال له : **قتلت قيّمي في مالي وعيالي** ، ثم قال **لأدعونّ الله عليك** . قال داود : اصنع ما شئت .

فلما جنّ الليل قال (عليه السلام) : «**اللّهم ارمه بسهم من سهامك فأفلق به قلبه**» فأصبح وقد مات داود والناس يهنئونه بموته ...[٢] .

لقد أدرك الإمام الصادق(عليه السلام) أن الظرف ينبئ بالخطر وأن الحاضر يحمل في داخله كثيراً من التعقيدات والمشاكل التي سوف يلقاها عن قريب ، لكن الوقت لازال فيه متسع من النشاط والتحرك ويمكن للإمام (عليه السلام) أن يثبت ما بقي من منهجه ويرسخه في ذهن الأمة ويمدها بالآفاق الرسالية التي تحصنها في المستقبل ؛ لأن العباسيين الآن مشغولون بملاحقة الأُمويين ، لذا نجده (عليه السلام) لم يصطدم مع داود بن علي بسبب قتله للمعلّىٰ بالطرق المتوقّعة ولم يعلنها ثورة ، كما لم ينسحب للمنطق الذي أبداه داود في تصعيده الموقف مع الإمام والذي كان يستهدف جهد الإمام وحركته ، بل قابله بمنطق أقوىٰ يعجز من مثل داود أن يواجهه به.

إن لجوء الإمام (عليه السلام) إلىٰ الدعاء سوف يدرك العباسيون من خلاله أن الإمام لا يريد المواجهة العسكرية ، لكن مثل هذه الاعمال لا تثنيه عن

(١) اختيار معرفة الرجال للكشي: ٣٧٧ ح ٧٠٨ و ٧١٣ وعنه في المناقب لابن شهر اشوب : ٣ / ٣٥٢ ، وبحار الأنوار : ٤٧ / ١٢٩ .

(٢) الكافي : ٢ / ٥١٣ والخرائج والجرائح : ٢ / ٦١١ ، وبحار الانوار : ٤٧ / ٢٠٩.

مواصلة نشاطه. ومن فوائد دعاء الإمام أنه كان يستبطن إيحاءاً لهم بأن الإمام(عليه السلام) لا يمتلك تلك القوة التي تمكنه من أن يقوم بعمل عسكري مثلاً يهدّد به كيانهم ، وهذا التصوّر الناشئ من هذا الموقف يُطمئن العباسيين ويتيح للإمام (عليه السلام) فرصاً جديدة من النشاط .

ثم نجد الإمام(عليه السلام) بعد أن أنهىٰ مشكلة المعلّىٰ بن خنيس بالطريقة التي مرّت وتفادىٰ المواجهة، يسافر إلىٰ الكوفة التي يكثر فيها انصاره وشيعته. ولعلم الإمام بأن السفّاح ليس بمقدوره مواجهة الإمام في الوقت الحاضر وليس من صالح سياسته المستفيدة من اسم الإمام (عليه السلام) هذه المواجهة، بل نجد السفّاح لا يفكّر حتىٰ في مواجهة بني الحسن الذين وصلته عنهم معلومات تفيد أنهم يخططون للثورة.

وبعد أن وصل الإمام الى الكوفة قام ببعض النشاطات ، منها:

أنّ الإمام(عليه السلام) أوضح لخواص الشيعة بأن الحكومة الجديدة لم تختلف عن سابقتها ، لأن البعض من الشيعة كان قد التبس عليه الأمر وظنّ أن العلاقة بين الإمام وبني العباس طيبة لذا طلب بعض الخواصّ من الإمام أن يتوسط له ليكون موظّفاً في حكومة بني العباس .

ولمّا امتنع الإمام عن إجابته ظنّ بأن الإمام منعه مخافة أن توقعه الوظيفة في الظلم، لذا قال: فانصرفت إلىٰ منزلي ، ففكّرت فقلت : ما أحسبه منعني إلّا مخافة أن اظلم أو أجور ، والله لآتينّه ولأعطينّه الطلاق والعتاق والأيمان المغلّظة أن لا أظلم أحداً ولا أجور ولأعدلنّ .

قال: فأتيته فقلت: جعلت فداك إني فكّرت في إبائك (امتناعك) عليّ فظننت أنك إنما منعتني وكرهت ذلك مخافة أن أجور أو أظلم وإنّ كلّ امرأة لي طالق ، وكل مملوك لي حُرّ عليّ وعليّ إن ظلمت أحداً أو جرت عليه ، وإن

لم أعدل.

فقال: كيف قلت ؟ قال: فأعدت عليه الأيمان، فرفع رأسه إلى السماء فقال: «تناول السماء أيسر عليك من ذلك!!»[1].

ثم نجد الإمام الصادق(عليه السلام) يؤكّد بأن لقب «أمير المؤمنين» خاصّ بالإمام علي(عليه السلام) ولا يجوز إطلاقه على غيره حتى من ولده الائمة (عليهم السلام) فكيف بمن هو ظالم لهم.

جاء في كتاب مناقب آل أبي طالب: لم يجوّز أصحابنا أن يطلق هذا اللفظ لغيره (أي لغير الإمام علي) من الائمة(عليهم السلام)).

وقال رجل ـ للصادق(عليه السلام): يا أمير المؤمنين. قال: «مَه، فانه لا يرضى بهذهِ التسمية أحد إلّا ابتلي ببلاء أبي جهل»[2].

ثم نجد للإمام توصيات كثيرة تحرّم التعاون مع الظلمة والتحاكم اليهم. لكن لا يمكن تحديد زمنها.

لقد كان موقف الإمام من الحكومتين واحداً. قال (عليه السلام): «لا تعنهم ـ أي حكام الجور ـ على بناء مسجد»[3].

وكان يقول لبعض أصحابه: «يا عذافر! نبّئت أنك تعامل أبا أيوب والربيع. فما حالك إذا نودي بك في أعوان الظلمة؟!»[4].

وكان حضور الإمام الصادق(عليه السلام) في الحيرة ـ المدينة القريبة من الكوفة ـ قد لفت أنظار الأُمة جميعاً واتجهت الناس حوله لتنهل من علومه وتستفيد

(١) الكافي ٥/١٠٧
(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٦٧.
(٣) وسائل الشيعة: ٦/١٣٠.
(٤) وسائل الشيعة: ٦ / ١٢٨.

من توصياته وتوجيهاته حتىٰ قال محمد بن معروف الهلالي: مضيت إلىٰ الحيرة إلىٰ جعفر بن محمد فما كان لي من حيلة من كثرة الناس فلمّا كان اليوم الرابع رآني ، فأدناني...[1].

وهذا الحشد الجماهيري الكبير الذي يؤمن بأهليّة الإمام وأعلميته والتفافه المستمر حول الإمام قد دفع بالحكومة العباسية الى أنْ تحدّ من هذه الظاهرة . لكن الإمام (عليه السلام) وانطلاقاً من محافظته علىٰ مسيرة الامة ودفاعاً عن الإسلام نجده قد مارس مع السفّاح أُسلوباً مرناً. فعن حذيفة بن منصور قال : كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) بالحيرة ، فأتاه رسول أبي العباس السفّاح الخليفة يدعوه فدعىٰ بممطر أحد وجهيه أسود والآخر أبيض ، فلبسه ، ثم قال أبو عبدالله (عليه السلام): **«أما إني ألبسه ، وأنا أعلم أنه لباس أهل النار»**[2].

وجاء عن رجل قال : قال أبو عبدالله(عليه السلام) : **«دخلت على أبي العبّاس بالحيرة فقال : يا أبا عبدالله ما تقول في الصيّام اليوم ؟ فقلت: ذاك الى الإمام إن صمت صمنا وإن أفطرت أفطرنا فقال: يا غلام عليّ بالمائدة فأكلت معه وأنا أعلم والله إنّه من شهر رمضان فكان إفطاري يوماً وقضاؤه أيسر عليّ من أنْ يضرب عنقي ولا يُعبد الله»**[3].

ومن جانب آخر قد انتقد الإمام القتل الجماعي للأُمويين وطلب من السفّاح الكفّ عن قتلهم بعدما أخذ الملك من أيديهم . ودهش السفّاح وتعجّب من موقف الإمام تجاه ألدّ أعدائه الذين صبّوا علىٰ أهل البيت(عليهم السلام) ألوان الظلم. لأنّ الإمام لاينطلق من العصبية الجاهلية وروح التشفّي[4].

---

(١) فرحة الغري : ٥٩

(٢) الكافي : ٦ / ٤٤٩ ، وبحار الأنوار : ٤٧ / ٤٥ .

(٣) الكافي : ٤ / ٨٣ .

(٤) حياة الإمام جعفر الصادق : ٧ / ٨٠ .

وانعكست إجراءات العباسيين للحدّ من ظاهرة الالتفاف حول الإمام والاستفادة من علومه، فقد روىٰ هارون بن خارجة ، فقال : كان رجل من أصحابنا طلّق امرأته ثلاثاً فسأل أصحابنا ، فقالوا : ليس بشيء ، فقالت امرأته لا أرضىٰ حتىٰ تسأل أبا عبد الله (عليه السلام) وكان في الحيرة إذ ذلك أيام أبي العباس السفّاح. قال : فذهبت إلىٰ الحيرة ولم أقدر علىٰ كلامه ، إذ منع الخليفة الناس من الدخول علىٰ أبي عبد الله وأنا أنظر كيف ألتمس لقاءه فإذا سواديّ[1] عليه جبّة صوف يبيع خياراً ، فقلت له : بكم خيارك هذا كله ؟ قال بدرهم، فأعطيته درهماً ، وقلت له أعطيني جبّتك هذه، فأخذتها ولبستها وناديت : مَنْ يشتري خياراً ؟ ودنوت منه ! فإذا غلام من ناحية ينادي يا صاحب الخيار ! فقال لي لمّا دنوت منه: ما أجود ما احتلت إلىٰ حاجتك ؟

قلت : إني ابتليت : فطلّقت أهلي في دفعة ثلاثاً، فسألت أصحابنا فقالوا : ليس بشيء ، وإن المرأة قالت : لا أرضىٰ حتىٰ تسأل أبا عبد الله (عليه السلام) فقال : **«ارجع إلىٰ أهلك فليس عليك شيء»**[2].

لقد لاحظ الإمام الصادق (عليه السلام) الدهاء العبّاسي وقدراته السياسية التي حقّق بها نصراً حاسماً علىٰ خصومه الأُمويين ، وعلم بأن المعركة سوف تنتقل إليه وإلىٰ أصحابه باعتبارهم الثقل الاكبر والخطر الداخلي الحقيقي الذي يخشاه العبّاسيون، كما لاحظ (عليه السلام) أن القاعدة الشعبية الكبيرة التي تؤيّده سوف تكون سبباً لانهيار حركته إذا لم تزوّد بتعاليم جديدة خصوصاً للجماعة الصالحة لأن سعة دائرة الانصار تسمح بدخول الأدعياء والمنتفعين الذين يحسبون للظرف السياسي ومستقبله.

---

(١) سواديّ : نسبة الىٰ العراق الذي سمي بأرض السواد أو إلىٰ اسوادية قرية بالكوفة .

(٢) الخرائج والجرائح : ٢ / ٦٤٢ ، وبحار الأنوار : ٤٧ / ١٧١ .

وقد صنّف الإمام (عليه السلام) جمهوره قائلاً : « **افترق الناس فينا على ثلاث فرق، فرقة أحبّونا انتظار قائمنا ليصيبوا دنيانا**»، وهذا هو الانتماء السياسي ـ وليس هو الانتماء القلبي ـ للتشيع والذي يطمع أصحابه للمواقع السياسية فيه مستقبلاً ، أما نشاط هؤلاء فيقول عنه الإمام: « **فقالوا وحفظوا كلامنا وقصّروا عن فعلنا فسيحشرهم الله إلى النار** ».

ويشير الإمام (عليه السلام) إلى الفرقة الثانية التي تؤيّد حركة الإمام وتحبّه لكنّها تستهدف المنافع الدنيوية من هذا التأييد.

قال (عليه السلام) : «**أحبّونا واسمعوا كلامنا ولم يقصّروا عن فعلنا**» هذه هي حركتهم ونشاطهم، أما هدفهم فيقول الإمام(عليه السلام): **ليستأكلوا الناس بنا فيملأ الله بطونهم ناراً ويسلّط عليهم الجوع والعطش**.

وأخيراً يشير الإمام إلى الفرقة المخلصة قائلاً : «**وفرقة أحبّونا وحفظوا قولنا، وأطاعوا أمرنا ،لم يخالفوا فعلنا فأولئك منا ونحن منهم**»[١] .

فالمستقبل ينذر بمعركة شرسة تريد استئصال حركة الإمام(عليه السلام) من الجذور ، قد بدأها داود بن علي ومن علائمها التضييق على الإمام في الحيرة، فلابدّ للإمام أن ينشّط باتجاه تثقيف الشيعة بمبادئ تكون كفيلة بالحفاظ عليهم وتمكنهم من مواصلة العمل البناء والتعايش مع الأُمة بسلام ـ كمبدأ التقيّة وكتمان السرّ ـ وتفوّت على الظالمين نواياهم كما أنّ الالتزام بها يحافظ على صحّة المعتقدات والأحكام الشرعية. لذا نجده وهو في معرض تربيته للخواصّ يقول : «**رحم الله عبداً سمع بمكنون علمنا فدفنه تحت قدميه والله إني لأعلم بشراركم من البيطار**[٢] **بالدواب، شراركم الذين لا يقرأون القرآن**

(١) تحف العقول : ٥١٤ ، وبحار الأنوار : ٧٨ / ٣٨٠ .
(٢) البيطار : في الأصل معرّب بهدار بالفارسية أي الصحّة ، ولكنه اختصّ في العربية بطبّ الحيوان. انظر بديع اللغة، والمعرّب من لغة العرب للجواليقي .

إلّا هجراً[1] ولا يأتون الصلاة إلّا دبراً ولا يحفظون ألسنتهم ، إعلم أن الحسن بن علي(عليه السلام) لما طعن ، واختلف الناس عليه ، سلّم الأمر لمعاوية فسلّمت عليه الشيعة : عليك السلام يا مذل المؤمنين . فقال (عليه السلام): ما أنا بمذل المؤمنين ، ولكني معز المؤمنين. إني لما رأيتكم ليس بكم عليهم قوة ، سلّمت الأمر لأبقى أنا وأنتم بين أظهرهم كما عاب العالم السفينة لتبقى لأصحابها ، وكذلك نفسي وأنتم لنبقى بينهم»[2] .

فالإمام (عليه السلام) يضرب المثل بالإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) الذي مارس التقية باسلوب دفاعي مع معاوية لغرض مواصلة العمل، فلم يصالح الإمام على أساس المبادئ والأحكام بل كان من أجلها ومن أجل إبراز هوية شيعة الإمام والاعتراف بحقوقهم المغصوبة ولتفتح لهم مجالاً واسعاً للتبليغ .

من هنا جاءت مهمّة تثبيت هذه المبادئ وتربية الشيعة عليها ووجوب العمل بها ليس لأنها مبادئ تخصّ نخبة من الناس وإنما باعتبارها مبادئ إسلامية عامّة ومشروعة حسب النصوص الثابتة في القرآن والسنة. لكن الظروف السيئة حالت دون اظهارها وأساءت فهمها، لأنها لا تخدم الحكّام وتعارض سياستهم .

يصف الإمام(عليه السلام) دور التقية في الجمع ذاك قائلاً : «إتقوا على دينكم وأحيوه بالتقيّة فإنه لا إيمان لمن لا تقيّة له. انما أنتم من الناس كالنحل في الطير، ولو أن الطير يعلم ما في أجواف النحل ما بقي منها شيء إلّا أكلته ، ولو أن الناس علموا ما في أجوافكم أنكم تحبّونا أهل البيت لأكلوكم بألسنتهم ، ولنحلوكم بالسرّ والعلانية ، رحم الله عبداً منكم كان على ولايتنا[3] .

---

(١) هَجَرَ: تباعد. ويقال هجر الفحل: ترك الضراب.

(٢) تحف العقول : ٣٠٧، والبحار : ٧٨ / ٢٨٦ .

(٣) وسائل الشيعة : ١١ / ٤٦١ .

وبعد أن ثبّت الإمام هذا المبدأ بوصايا وتوجيهات متعدّدة أتبعه بنشاطات تربوية مخافة أن يساء فهمه أثناء التطبيق، فحذّر (عليه السلام) من أن تكون التقية في مورد من موارد تطبيقها سبباً إلىٰ التهاون والضعف والجبن والاستسلام و خذلان المؤمنين وتضييع الشريعة وأحكامها. قال (عليه السلام): « **لم تبق الأرض إلّا وفيها منّا عالم ، فإذا بلغت التقيّة الدم فلا تقيّة . وأيم الله لو دعيتم لتنصرونا قلتم لا نفعل إنما نتقي !! ولكانت التقيّة أحبّ إليكم من آبائكم وأمهاتكم ، ولو قد قام القائم ما احتاج إلىٰ مساءلتكم عن ذلك ، ولأقام في كثير منكم من أهل النفاق حدّ الله** »[1].

ومن وسائله التربوية لترشيد هذا المبدأ الحسّاس في مجال العلاقات بين المؤمنين حذراً من أن تؤدّي التقيّة إلىٰ التفكيك بينهم ، نقرأ رواية إسحاق بن عمّار الصيرفي ، قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله (عليه السلام) وكنت تركت التسليم علىٰ أصحابنا في مسجد الكوفة وذلك لتقيّة علينا فيها شديدة ، فقال لي أبو عبد الله : «**يا إسحاق متىٰ أحدثت هذا الجفاء لإخوانك ! تمرُّ بهم فلا تسلّم عليهم؟!**»

فقلت له : ذلك لتقيّة كنت فيها.

فقال : «**ليس عليك في التقيّة ترك السلام ، وإنما عليك في التقيّة الإذاعة . إن المؤمن ليمرُّ بالمؤمنين فيسلّم عليهم فتردّ الملائكة: سلام عليك ورحمة الله وبركاته**»[2].

كما أكّد الإمام الصادق(عليه السلام) علىٰ ضرورة كتمان السرّ وجعله مرتبطاً بالإيمان والعقيدة وذمّ إفشاء السرّ وإذاعته بين الناس حتىٰ قال (عليه السلام) : «**إن المذيع ليس كقاتلنا بسيفه بل هو أعظم وزراً ، بل هو أعظم وزراً ، بل هو أعظم وزراً** »[3].

كما اثنىٰ علىٰ الذي يكتم السر بقوله (عليه السلام) «**رحم الله قوماً كانوا سراجاً ومناراً ، كانوا**

(١) وسائل الشيعة : ١١ / ٤٨٣ .
(٢) كشف الغمة : ٢ / ١٩٧ .
(٣) تحف العقول : ٢٣٨ وعنه في بحار الأنوار : ٧٨ / ٢٨٨ .

دعاة الينا بأعمالهم ، ومجهود طاقتهم ، ليس كمن يذيع أسرارنا »(١).

وشدّد الإمام على أهميّة الكتمان وبيّن أبعاده وعلاقته برسالة الإمام ودوره في نجاحها بعكس الإفشاء واذاعة الأسرار التي سببت عرقلة المسيرة وإضاعة فرص النجاح وتأخير النصر قائلاً لابن النعمان: « **إن العالم لا يقدر أن يخبرك بكل ما يعلم ؛ لأنه سرّ الله الذي أسرّه جبرئيل (عليه السلام) وأسرّه جبرئيل (عليه السلام) إلىٰ محمد (صلى الله عليه وآله) وأسرّه محمد إلىٰ علي وأسرّه علي إلىٰ الحسن وأسرّه الحسن إلىٰ الحسين وأسرّه الحسين إلىٰ علي وأسرّه علي إلىٰ محمد وأسرّه محمد إلىٰ من أسرّه، فلا تعجلوا فوالله لقد قرب هذا الأمر ـ ثلاث مرات ـ فأذعتموه ، فأخّره الله، والله مالكم سرّ إلّا وعدوّكم أعلم به منكم...**»(٢).



الحضور في أجهزة السلطة

و من الخطوات التي تحرك نحوها الإمام الصادق (عليه السلام) في هذه المرحلة وأسس لها عملياً هي الحضور المحدود في أجهزة السلطة لغرض الحفاظ علىٰ المسيرة الإسلامية من التحريف والدفاع عنها عن طريق رصد المعلومات والمخطّطات والمواقف التي يفكّر بها الحكّام بواسطة هذا النشاط ليتسنّىٰ للإمام دفع الأخطار وإحباط المؤامرات. ثم يوفّر هذا النشاط للإمام ردّ المظالم والقيام ببعض الخدمات للمحرومين، ولهذا نجد الإمام (عليه السلام) يصدر رسالة شفوية لبعض الشيعة تتضمّن توجيهات وتحذيرات للعاملين في هذا الميدان ردّاً علىٰ رسالة شيعي يطلب من الإمام توضيحاً لهذه المهمّة إذ جاء فيها: وحاجتي أن تهدي إليّ من تبصيرك علىٰ مداراة هذا السلطان وتدبير أمري

(١) بحار الأنوار : ٧٨ / ٢٨٠ عن تحف العقول : ٢٢١ .
(٢) تحف العقول: ٢٢٨ وعنه في بحار الأنوار: ٢٨٩/٧٨ .

كحاجتي إلىٰ دعائك لي .

فقال (عليه السلام) لرسوله : قل له، إحذر أن يعرفك السلطان : بالطعن عليه في اختيار الكفاة وإن أخطأ في اختيارهم أو مصافات من يباعد منهم ، وإن قربت الاواصر[1] بينك وبينه ، فإن الاولىٰ تغريه[2] بك والأُخرىٰ توحشه، ولكن تتوسط في الحالين ، واكتف بعيب من اصطُفوا له والامساك عن تقريظهم عنده ومخالفة من اقصوا بالتنائي عن تقريبهم. وإذا كدت فتأن في مكايدتك... إلىٰ أن قال فلا تبلغ بك نصيحة السلطان أن تعادي له حاشيته وخاصّته فإن ذلك ليس من حقّه عليك ، ولكن الاقصىٰ لحقه والأدعىٰ إليك للسلامة أن تستصلحهم جهدك...[3] .

وقد برز هذا النشاط بشكل ملحوظ زمن الإمام الكاظم (عليه السلام) بينما نجد الإمام الصادق (عليه السلام) قد حذّر كثيراً وحزم علىٰ شيعته التعاون مع الظالمين والاشتراك في أجهزتهم حفاظاً علىٰ الوجود الإسلامي من الضياع والتحريف فقد جاء عنه (عليه السلام) « لا تعنهم ـ حكّام الجور ـ علىٰ بناء المسجد »[4] وقال لبعض أصحابه: «يا عذافر نبّئت أنك تحامل أبا أيّوب والربيع فما حالك إذا نودي بك في اعوان الظلمة ؟!».[5]

الإمام الصادق يرسّخ الاعتقاد بالإمام المهدي (عليه السلام)

من المبادئ التي سعىٰ الإمام الصادق (عليه السلام) لترسيخها في نفوس الشيعة و ضمن الدور المشترك الذي مارسه الأئمة (عليهم السلام) من قبله هي مسألة القيادة

(١) بمعنى العهود .

(٢) غري بالشيء : أولع به ولزمه .

(٣) نزهة الناظر : ١١٤، ومستدرك الوسائل : ١٢ / ١٨٨ .

(٤) وسائل الشيعة : ١٧/ ١٨٠ ح٨ عن تهذيب الأحكام للطوسي .

(٥) المصدر السابق : ١٧/ ١٧٨ ح٣ عن الكافي .

العالميّة المهدويّة التي تمثّل الإمتداد الشرعي لقيادة الرسول (صلى الله عليه وآله) لأنها العقيدة التي تجسّد طموحات الأنبياء والأئمة حسب التفسير الإسلامي للتأريخ الذي يؤكّد بأن وراثة الأرض سوف تكون للصالحين من عباده قال تعالى: **﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذّكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾**[1].

وترسيخ فكرة الإمام المهدي وتربية الشيعة على الاعتقاد الدائم بها تمنح الإنسان الشيعي الثائر روح الأمل الذي لا يتوقّف والقدرة على الصمود والمصابرة وعدم التنازل للباطل، فكان الإمام الصادق (عليه السلام) يقول: «**إذا قام القائم المهدي لا تبقى أرض إلّا نودي فيها شهادة أن لا اله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله**»[2].

و بالإيمان بقضية الإمام المهدي (عليه السلام) يشعر الإنسان المسلم إلى جانب الدعم الغيبي بأنّ أهدافه التي سعى لإيجادها سوف تتحقّق وأن النصر حليفه مهما طال الزمن، فقد سأل عبد الله بن عطاء المكّي الإمام الصادق (عليه السلام) عن سيرة المهدي كيف تكون؟ قال: «**يصنع كما صنع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله أمر الجاهلية، ويستأنف الإسلام جديداً**»[3].

وبهذه الحقيقة التأريخية يزداد الشيعي اعتقاداً بأن جهده سوف يكون جزءاً من الحركة الإلهيّة بجهوده المستمرّة سوف يقترب من الهدف المنشود ويرى الاضطهاد الذي يتعرّض له الشيعة والمسلمون سيزول حتماً حين ينتقم اصحاب الحق ممن ظلمهم وتعمّ العدالة وجه الأرض جميعاً.

---

(١) الأنبياء (٢١): ١٠٥.

(٢) بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٤٠.

(٣) المصدر السابق: ٥٢ / ٣٥٢.

الفصل الثاني

حكومة المنصور واستشهاد الإمام الصادق (عليه السلام)

المنصور والتضييق على الإمام الصادق (عليه السلام)

حين تولّىٰ الحكم أبو جعفر المنصور بعد أخيه أبي العباس السفّاح سنة (١٣٦ هـ) عبّر عن مكنون حقده علىٰ الإمام الصادق (عليه السلام) وصحبه من العلويين وغيرهم، وقال عنه المؤرّخون: وكان المنصور خدّاعاً لا يتردّد في سفك الدماء وكان سادراً في بطشه مستهتراً في فتكه[1].

ووصفه ابن هبيرة وهو أحد معاصريه بقوله: مارأيت رجلاً في حرب أو سلم أمكر ولا أنكر ولا أشدّ تيقّظاً من المنصور[2].

لقد بادر المنصور إلىٰ قتل أبي مسلم الخراساني الذي كان يبغضه، وأبو مسلم هو القائد الأوّل للإنقلاب العبّاسي، وذلك بعد أن أعدّ له المنصور مكيدة وأغراه بالمجيء إلىٰ بغداد. وجرّده من جميع مناصبه العسكرية.

ولمّا دخل أبو مسلم الخراساني علىٰ المنصور قابله بقساوة بالغة وأخذ يعدّد عليه أعماله وأبو مسلم يعتذر عن ذلك.

ثمّ صفّق المنصور عالياً حسب الاتّفاق مع حرّاسه لتكون الصفقة بمثابة

---

(١) الكامل في التأريخ: ٤ / ٣٥٥.

(٢) تأريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٩٩.

ساعة الصفر ، فدخل الحرّاس وبأيديهم السيوف فقال : أبو مسلم للمنصور متوسّلاً استبقني لعدوّك. فصاح به: وأيّ عدو أعدىٰ لي منك ؟!

وبمثل هذا الاسلوب أيضاً قد غدر بعمّه عبد الله بن علي حيث ارسل عليه بعد أن أعطاه الأمان ثم قتله بعد ذلك[1] .

أما مخطّطه الخبيث ضدّ الإمام الصادق(عليه السلام) ونهضته الإسلاميّة بشكل عام فقد أخذ ثلاثة اتّجاهات :

الاتّجاه الأول :

اتّخذ المنصور في هذا الاتّجاه اسلوباً مرناً محاولاً فيه الاستفادة من جهد الإمام (عليه السلام) واحتوائه ضمن سياسة الخلافة العباسية فقد كتب إليه: « لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس ؟

فأجابه الإمام (عليه السلام): **«ليس لنا ما نخافك ولا عندك من أمر الآخرة مانرجوك له ، ولا أنت في نعمة فنهنّئك بها ولا تراها نقمة فنعزّيك بها ، فما نصنع عنك !؟»**

فكتب اليه : تصحبنا لتنصحنا .

فأجابه (عليه السلام): **«من أراد الدنيا لا ينصحك ، ومن أراد الآخرة لا يصحبك»**.

قال : المنصور : والله لقد ميّز عندي منازل الناس ، من يريد الدنيا ممن يريد الآخرة وإنه ممّن يريد الاخرة لا الدنيا[2] .

ومن أساليب المنصور مع الإمام(عليه السلام) في هذا الاتّجاه ما جاء عن عبد الوهّاب عن أبيه حيث قال :

بعث أبو جعفر المنصور إلىٰ أبي عبد الله جعفر بن محمّد(عليه السلام) وأمر

(١) تاريخ اليعقوبي: ٣٦٩/٢ وتاريخ الأمم والملوك : ٦ / ٢٦٦ .

(٢) كشف الغمة : ٤٢٠/٢ عن تذكرة ابن حمدون، وعنه في بحار الأنوار : ٤٧ / ١٨٤ .

بفرش فطرحت له إلىٰ جانبه ، فأجلسه عليها ثم قال عليّ بمحمد، عليَّ بالمهدي. فأقبل المنصور علىٰ جعفر (عليه السلام) فقال : يا أبا عبد الله حديث حدّثتنيه في صلة الرحم ، اذكره، يسمعه المهدي .

قال : «**نعم ، حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن جدّه عن علي (عليه السلام) قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين ، فيصيرها الله عزّ وجّل ثلاثين سنة ويقطعها وقد بقي من عمره ثلاثون سنة ، فيصيرها الله ثلاث سنين**» ثم تلا(عليه السلام): ﴿**يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**﴾[1] .

قال : هذا حسن يا أبا عبد الله ، وليس إيّاه أردت، قال أبو عبد الله (عليه السلام): **نعم حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عن عليّ (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): صلة الرحم تعمّر الديار وتزيد في الاعمار وان كان أهلها غير أخيار**».

قال هذا حسن يا أبا عبد الله ، وليس هذا أردت .

فقال أبو عبد الله (عليه السلام): «**نعم حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عن علي (عليه السلام) قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) صلة الرحم تهوّن الحساب وتقي ميتة السوء**».

قال المنصور : نعم إيّاه أردت[2] .

إنّ السلاطين يخافون الموت ، فالإمام (عليه السلام) ركّز علىٰ هذه الناحية وربطها بصلة الرحم لتعالج الحقد والكيد الذي يشغل ذهن المنصور ضدّ الإمام والعلويين من أهل بيته ، لذا أكّد (عليه السلام) عن طريق الأحاديث بأن طول العمر يرتبط بصلة الرحم .

---

(١) الرعد (١٣): ٣٩.

(٢) أمالي ابن الشيخ : ٤٨٠ ح١٠٤٩ وعنه في بحار الأنوار : ٤٧ / ١٦٣، والبرهان : ٢ / ٢٩٩ .

الاتّجاه الثاني:

كما تحرّك المنصور بقوة نحو الإمام (عليه السلام) عن طريق نشر عيونه وجواسيسه التي كانت تراقب حركة الإمام الصادق وترصد نشاطاته لتزوّده بآخر المعلومات، ليتّخذ منها مسوّغاً للنيل من الإمام(عليه السلام) والتضييق على حركته التي كان يرى فيها المنصور خطراً حقيقياً على سلطانه وبالتالي تمهّد له تلك التقارير أن يصوغ ما يريده من الاتّهامات لأجل أن يتخذها ذريعة في قتله. وقد تضمّن هذا الاتّجاه جملة من الاساليب .

الاسلوب الأول : عن رزام بن مسلم مولى خالد القسري قال : بعثني أبو جعفر المنصور إلى المدينة ، وأمرني إذا دخلت المدينة أن أفض الكتاب الّذي دفعه إليّ وأعمل بما فيه ؛ قال : فما شعرت إلّا بركب قد طلعوا عليّ حين قربت من المدينة ، وإذا رجل قد صار إلى جانبي ، فقال : يا رزام اتق الله ، ولا تشرك في دم آل محمّد قال : فأنكرت ذلك فقال لي : دعاك صاحبك نصف الليل ، وخاط رقعة في جانب قباك ، وأمرك إذا صرت إلى المدينة ، تفضها وتعمل بما فيها .

قال : فرميت بنفسي من المحمل ، وقبّلت رجليه ، وقلت : ظننت أن ذلك صاحبي وأنت يا سيّدي صاحبي ، فما أصنع ؟ قال : ارجع إليه ، واذهب بين يديه وتعال ، فإنه رجل نسّاء ، وقد أُنسي ذلك ، فليس يسألك عنه، قال :

فرجعت إليه ، فلم يسألني عن شيء ، فقلت صدق مولاي[1] .

وعن مهاجر بن عمار الخزاعي ، قال : بعثني أبو الدوانيق إلىٰ المدينة ، وبعث معي بمال كثير ، وأمرني أن أتضرّع لأهل هذا البيت ، وأتحفّظ مقالتهم، ، قال : فلزمت الزاوية التي مما يلي القبلة ، فلم أكن أتنحىٰ منها في وقت الصلاة ، لا في ليل ولا في نهار .

قال : وأقبلت أطرح إلىٰ السؤال الذين حول القبر الدارهم ومن هو فوقهم الشيء بعد الشيء حتىٰ ناولت شباباً من بني الحسن ومشيخة [منهم] حتىٰ ألفوني وألفتهم في السّر .

قال : وكنت كلما دنوت من أبي عبد الله (عليه السلام) يُلاطفني ويكرمني حتىٰ إذا كان يوماً من الايام ـ بعد ما نلت حاجتي ممن كنت أريد من بني الحسن وغيرهم ـ دنوت من أبي عبد الله (عليه السلام) وهو يُصلّي ، فلما قضىٰ صلاته ، التفت إليّ وقال :

تعال يا مهاجر! ـ ولم أكن أتسمّىٰ [با سمي] ولا أتكنّىٰ بكنيتي ـ **فقال : قل لصاحبك : يقول لك جعفر : « كان أهل بيتك إلىٰ غير هذا أحوج منهم إلىٰ هذا ، تجيء إلى قوم شباب محتاجين فتدسّ إليهم ، فلعلّ أحدهم يتكلّم بكلمة تستحلُّ بها سفك دمه ، فلو بررتهم ووصلتهم [وانلتهم] واغنيتهم ، كانوا إلىٰ هذا أحوج مما تريد منهم ».**

قال : فلما أتيت أبا الدوانيق ، قلت له : جئتك من عند ساحر، كذّاب كاهن كان من أمره كذا وكذا فقال : صدق والله لقد كانوا إلىٰ غير هذا أحوج ، وإيّاك أن يسمع هذا الكلام منك انسان[2] .

---

(١) دلائل الإمامة : ١٢٩ ، ومدينة المعاجز : ٣٦٤ ، واثبات الهداة : ٥ / ٤٥٦ .

(٢) الخرائج والجرائح : ٢ / ٦٤٦ ، وبحار الانوار : ٤٧ / ١٧٢ .

الأُسلوب الثاني: ومن اساليبه باتّجاه سياسة التضييق التي فرضها على الإمام (عليه السلام) محاولة تسليط الضوء على بعض الشخصيّات ليجعل منها بدائل علميّة تغطّي على الإمام وتؤيّد سياسته وتساهم من جانب آخر في تضعيف القدسية والانجذاب الجماهيري نحو الإمام وتؤدّي بالنتيجة إلى شق وحدة التيار الاسلامي الذي يقرّ بزعامة الإمام(عليه السلام) وأعلميته وايجاد الفرقة والاختلاف.

وقد نجح المنصور بهذه الخطوة فكسب البعض من طلّاب الإمام(عليه السلام) حين أحاطهم بهالة من الاحترام والتقدير وخلق منهم وجوداً قبال مذهب الإمام ونهجه الاسلامي الاصيل.

ذكر أبو القاسم البغّار في مسند أبي حنيفة فقال: قال الحسن بن زياد سمعت أبا حنيفة وقد سئل: من أفقه من رأيت؟ قال جعفر بن محمد، لمّا أقدمه المنصور بعث إليّ، فقال يا أبا حنيفة! ان الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهيّء له من مسائلك الشداد.

فهيّأت له أربعين مسألة، ثم بعث إليّ أبي جعفر وهو بالحيرة فأتيته.

فدخلت عليه، وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر مالم يدخل لأبي جعفر، فسلّمت عليه، فأومىٰ إليّ فجلست، ثم التفت إليه، فقال:

يا أبا عبد الله: هذا أبو حنيفة، قال: نعم أعرفه. ثم التفت إليّ فقال: يا أبا حنيفة ألق على أبي عبد الله (عليه السلام) من مسائلك.

فجعلت ألقي عليه فيجيبني، فيقول: «**أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة**

يقولون كذا ونحن نقول كذا» فربما تابعنا، وربما تابعهم، وربما خالفنا جميعاً حتىٰ أتيت علىٰ الاربعين مسألة، فما أخلّ منها بشيء ثم قال أبو حنيفة: أليس إنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس؟![1].

الأسلوب الثالث: لقد كانت سياسة الإمام (عليه السلام) ازاء حكومة المنصور ذات طابع غير ثوري، وإنما سلك الإمام نفس نهجه السابق في التغيير والاصلاح، وقد أوحىٰ للمنصور في وقت سابق بأنه لم يكن بصدد التخطيط للثورة ضدّه بل صرّح له في اكثر من مرة بذلك، إلّا أن المنصور لم يطمئن لعدم تحرك الإمام وثورته التغييرية وذلك بسبب ماكان يشاهده من كثرة مؤيديه.

يحدثنا الإمام الصادق(عليه السلام) عن الشكوك والتساؤلات التي أثارها المنصور بوجه الإمام عند لقائه به كما في النصّ التالي:

عن حمران قال: «قال أبو عبد الله (عليه السلام) وبعد ذكر هؤلاء عنده وسوء حال الشيعة عندهم فقال: **«إني سرت مع أبي جعفر المنصور وهو في موكبه، وهو علىٰ فرس وبين يديه خيل ومن خلفه خيل، وأنا علىٰ حمار إلىٰ جانبه، فقال لي:**

يا أبا عبد الله! قد كان ينبغي لك أن تفرح بما أعطانا الله من القوة وفتح لنا من العزّ، ولا تخبر الناس أنك أحق بهذا الأمر منا وأهل بيتك، فتغرينا بك وبهم.

قال: فقلت: **«ومن رفع هذا إليك عنّي فقد كذب»**. فقال: أتحلف علىٰ ما تقول؟

قال: فقلت: **«إن الناس سحرة يحبّون أن يفسدوا قلبك عليّ، فلا تمكنّهم من**

---

(١) سير اعلام النبلاء: ٩ / ٥٤٣ ومناقب آل أبي طالب: ٢٧٧/٤ عن مسند أبي حنيفة لأبي القاسم البغار.

سمعك ، فأنا إليك أحوج منك إلينا».

فقال لي : تذكر يوم سألتك هل لنا ملك ؟ فقلت : نعم طويل عريض شديد ، فلا تزالون في مهلة من أمركم وفسحة في دنياكم حتى تصيبوا منّا دماً حراماً في شهر حرام في بلد حرام !

فعرفت أنه قد حفظ الحديث، فقلت: لعلّ الله (عزّ وجلّ) أن يكفيك ، فإني لم أخصك بهذا ، وإنما هو حديث رؤيته، ثم لعلّ غيرك من أهل بيتك يتولّى ذلك ، فسكت عني[1].

الاتّجاه الثالث:

واستخدم المنصور مع الإمام (عليه السلام) أيضاً سياسة الاستدعاء والمقابلة المصحوبة بالتهم والافتراءات ، أو الاستدعاءات الفارغة من أيّ سؤال، محاولاً عن طريق هذه السياسة شلّ حركة الإمام وجعله تحت ضوء رقابة أجهزته ليطمئنّ المنصور من خطر الإمام ، كما استخدم بعض الاساليب التي من شأنها أن تنال من كرامة الإمام (عليه السلام)، فمن أساليبه بهذا الاتّجاه :

١ ـ ما جاء عن بشير النبّال أنه قال : كنت على الصفا وأبو عبد الله (عليه السلام) قائم عليها إذ انحدر وانحدرت معه ، وأقبل أبو الدوانيق على حمارته ، ومعه جنده على خيل وعلى إبل ، فزاحموا أبا عبد الله (عليه السلام) حتى خفت عليه من خيلهم وأقبلت أقيه بنفسي وأكون بينهم وبينه ، قال : فقلت في نفسي : يا رب عبدك وخير خلقك في أرضك ، وهؤلاء شرّ من الكلاب قد كانوا يفتنونه !

(١) روضة الكافي: ٣١ حديث الصادق مع المنصور في موكبه، وعنه في بحار الأنوار : ٥٢ / ٢٥٥ ، واثبات الهداة : ٥ / ٣٥١.

قال : فالتفت إليّ وقال: «يا بشير ! قلت : لبيك. قال : ارفع طرفك لتنظر».

قال : فإذا ـ والله ـ واقية من الله أعظم مما عسيت أن أصفه .

قال فقال : يا بشير ! إنا أُعطينا ما ترىٰ ، ولكنّا أُمرنا أن نصبر ، فصبرنا»[١] .

٢ ـ ما جاء عن المفضل بن عمر أنه قال: إن المنصور قد كان هَمّ بقتل أبي عبد الله (عليه السلام) غير مرّة ، فكان إذا بعث إليه ودعاه ليقتله ، فإذا نظر إليه هابه ولم يقتله، غير أنه منع الناس عنه ، ومنعه من القعود للناس ، واستقصىٰ عليه أشدّ الاستقصاء حتىٰ أنه كان يقع لأحدهم مسألة في دينه ، في نكاح أو طلاق أو غير ذلك فلا يكون علم ذلك عندهم ، ولا يصلون إليه ، فيعتزل الرجل أهله .

فشقّ ذلك علىٰ شيعته وصعب عليهم ، حتىٰ ألقىٰ الله عزّ وجلّ في روع المنصور أن يسأل الصادق (عليه السلام) ليتحفه بشيء من عنده ، لا يكون لأحد مثله ، فبعث إليه بمخصرة[٢] كانت للنبي (صلى الله عليه وآله) طولها ذراع ، ففرح بها فرحاً شديداً ، وأمر أن تشق له أربعة أرباع ، وقسمها في أربعة مواضع .

ثم قال له: ماجزاؤك عندي إلّا أن أُطلق لك ، وتفشي علمك لشيعتك ، ولا أتعرّض لك ، ولا لهم ، فاقعد غير مُحتشم ، وافت الناس ، ولا تكن في بلد أنا فيه، ففشىٰ العلم عن الصادق(عليه السلام)[٣] .

٣ ـ وعن عبد الله بن أبي ليلىٰ ، قال :كنت بالربذة مع المنصور ، وكان قد وجّه إلىٰ أبي عبد الله (عليه السلام) فأُتي به ، وبعث إليّ المنصور فدعاني ، فلما انتهيت إلىٰ الباب سمعته يقول : عجلّوا عليّ به قتلني الله إن لم أقتله ، سقى الله الارض

(١) الأُصول الستة عشر : ١٠٠ ، واثبات الهداة : ٥ / ٤٦٥ .

(٢) المخصرة : شيء كالسوط ما يتوكأ عليه كالعصا .

(٣) المناقب لابن شهر آشوب : ٢٥٩/٤ وعنه في بحار الأنوار : ٤٧ / ١٨٠ .

من دمي إن لم أسق الارض من دمه.

فسألت الحاجب من يعني؟ قال: جعفر بن محمد (عليه السلام). فإذا هو قد أُتي به مع عدّة جلاوزة[1]، فلما انتهىٰ إلىٰ باب ـ قبل أن يرفع الستر ـ رأيته قد تململت شفتاه عند رفع الستر، فدخل.

فلما نظر إليه المنصور قال: مرحبا يابن عمّ، مرحباً يابن رسول الله. فما زال يرفعه حتىٰ أجلسه علىٰ وسادته، ثم دعا بالطعام، فرفعت رأسي، وأقبلت أنظر إليه، وجعل يلقمه جيّداً بارداً، وقضىٰ حوائجه، وأمره بالانصراف.

فلما خرج، قلت له: قد عرفت موالاتي لك، وما قد ابتليت به في دخولي عليهم، وقد سمعت كلام الرجل وما كان يقول، فلما صرت إلىٰ الباب رأيتك قد تململت شفتاك، وما أشك أنه شيء قلته، ورأيت ما صنع بك، فإن رأيت أن تعلّمني ذلك، فأقوله إذا دخلت عليه.

قال: نعم، قلت: «**ما شاء الله، ما شاء الله، لا يأتي بالخير إلّا الله، ما شاء الله، ما شاء الله، لا يصرف السوء إلّا الله ...**»[2].

تحرّك العلويين نحو الثورة

بعد أن تأكّد المنصور عن طريق المعلومات التي كانت تصله من جواسيسه بأن السادة الحسنيين يخططون للثورة عليه، انتظر المنصور موسم الحجّ فلمّا حان الموسم سافر هو وحاشيته إلىٰ بيت الله الحرام، وبعد انتهائه من

(١) الجلاوزة: جمع الجلواز معرّب من الفارسية: گلوبازاى المفتوح الجيب كناية عن الشرطي المستعد لتنفيذ الأوامر.

(٢) كشف الغمة: ٢/٤٠٧ عن الدلائل للحميري، وعنه في بحار الأنوار: ٤٧ / ١٨٣.

مناسك الحجّ رجع إلىٰ يثرب وقد صحب معه عقبة بن مسلم الجاسوس الذي عيّنه المنصور لمراقبة تحرّك آل الحسن وكان قد أوصاه قبل سفره فقال له : إذا لقيني بنو الحسن وفيهم عبد الله فأنا مكرمه ورافع محمله وداعٍ بالغذاء فإذا فرغنا من طعامنا فلحظتك فامتثل بين يديه فإنه سيصرف عنك بصره ، فاستدر حتىٰ ترمز ظهره بإبهام رجلك حتىٰ يملأ عينه منك .

ولمّا انتهىٰ المنصور إلىٰ يثرب استقبله السادة الحسنيّون وفيهم عبد الله ابن الحسن ، فأجلسه المنصور إلىٰ جانبه ودعا بالغذاء فأصابوا منه فقام عقبة ، ونفّذ ما عهد إليه المنصور ، وجلس أمامه ففزع منه عبد الله وقال للمنصور: أقلني أقالك الله ...

فصاح به: لا أقالني الله إن أقلتك[1].

وأمر أن يكبّل بالحديد ويزجّ في السجن فكبّل مع جماعة من العلويين وحبس في بيت مروان .

وأرادوا من عبد الله أن يخبر بمكان ولديه: محمد ذي النفس الزكيّة وأخيه إبراهيم وإن لم يخبر بمكانهما فسوف يتعرّض للانتقام والقتل.

وقد عبّر عبد الله عن عمق هذه المأساة للحسن بن زيد قائلاً: يابن أخي، والله لبليّتي أعظم من بليّة إبراهيم (عليه السلام)؛ إن الله عزّوجلّ أمر ابراهيم أن يذبح ابنه ، وهو لله طاعة ، فقال إبراهيم : ﴿ إن هذا لهو البلاء المبين ﴾[2]. وإنكم جئتموني في أن آتي بابني هذا الرجل فيقتلهما وهو لله جلّ وعزّ معصية ...[3].

(١) الكامل في التاريخ: ٣٧١/٤.

(٢) الصافات (٣٧): ١٠٦ .

(٣) مقاتل الطالبيين : ١٩١ ـ ١٩٤ تحقيق السيد أحمد صقر .

وبقي السادة الحسنيّون في السجن لمدة ثلاث سنين، وفي سنة (١٤٢ هـ) سافر المنصور مرّة أخرىٰ إلىٰ الحجّ لغرض تدارك الوضع في المدينة والوقوف أمام التصعيد الثوري هناك، وبعد أن أنهىٰ مناسكه اتّجه نحو الربذة التي تبعد ثلاثة أميال عن المدينة وبعد وصوله إليها أمر بإشخاص السادة الحسنيين ومن معهم من العلويين إليه وقد تكفّل عقبة بن مسلم بعملية إخراجهم من السجن والسير بهم نحو الربذة.

وبعد إخراجهم من السجن وضع الحديد في أيديهم وجيء بهم إلىٰ مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث ازدحم الناس عليهم وهم بين باك ومتأسّف والشرطة تشتمهم وقد طلبت من الناس أن يشتموهم.

لكن الذي حدث كان علىٰ العكس من ذلك إذ أخذ الناس يسبّون عقبة ابن مسلم والمنصور ويترحمون علىٰ العلويين ...[1].

موقف الإمام (عليه السلام) من آل الحسن

وكتب الإمام الصادق (عليه السلام) إلىٰ عبد الله بن الحسن رسالة يعزّيه فيها ويُصبّرهُ علىٰ المصاب الذي جرىٰ عليه وعلى أصحابه.

عن اسحاق بن عمّار الصيرفي أنّه قال: إن أبا عبد الله جعفر بن محمد(عليه السلام) كتب إلىٰ عبد الله بن الحسن حين حمل هو وأهل بيته، يعزّيه عمّا صار إليه: « **بسم الله الرحمن الرحيم، إلىٰ الخلف الصالح، والذريّة الطيّبة من ولد أخيه وابن عمّه: أما بعد: فلئن كنت قد تفرّدت أنت وأهل بيتك ـ ممّن حُمل معك ـ بما أصابكم، ما انفردت ـ بالحزن والغيظ والكآبة، وأليم وجع القلب ـ دوني ولقد نالني من ذلك من**

(١) مقاتل الطالبيين: ٢١٩ ـ ٢٢٠.

الجزع والقلق ، وحرّ المصيبة مثل ما نالك ولكن رجعت الى ما أمر الله ـ جلّ جلاله ـ به المتقين من الصبر ، وحُسن العزاء ، حين يقول لنبيّه (صلى الله عليه وآله): ﴿ واصبر لحكم ربك فإنّك بأعيننا﴾[1] . وحين يقول : ﴿ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت﴾[2] إلى أن قال: (واعلم أيِ عمّ وابن عمّ إن الله ـ جل جلاله ـ لم يُبال بضرّ الدنيا لوليه ساعة قط ولا شيء أحبّ إليه من الضرر والجهد والأذى مع الصبر . وانه تعالى لم يُبال بنعم الدنيا لعدوّه ساعة قط ولو لا ذلك ماكان أعداؤه يقتلون أولياءه ويخوفونهم ويمنعونهم وأعداؤه آمنون مطمئنّون عالون ظاهرون ولولا ذلك لما قتل زكريا واحتجب يحيى ظلماً وعدواناً في بغيّ من البغايا . ولو لا ذلك لما قتل جدّك علي بن أبي طالب (عليه السلام) لمّا قام بأمر الله ـ جلّ وعزّ ـ ظلماً ، وعمّك الحسين بن فاطمة اضطهاداً وعدواناً»[3] .

واعترف المنصور بسياسته الغاشمة ضد العلويين القائمة على القتل والإبادة لذريّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث يقول : قتلت من ذرية فاطمة ألفاً أو يزيدون وتركت سيّدهم ومولاهم جعفر بن محمد[4] .

ثورة محمد بن عبد الله (ذي النفس الزكية)

إن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي الملقّب بذي النفس الزكية قد رشّح باتّفاق الهاشميين للخلافة، وكان المنصور يسير بخدمته ويسوّي عليه ثيابه ويمسك له دابته تقرّباً إليه، وقد بايعه مع أخيه السفّاح مرّتين. وبعد اختلاس العبّاسيين للحكم واستبدادهم وشياع ظلمهم تألّم محمد

---

(١) الطور (٥٢): ٤٨ .

(٢) القلم (٦٨): ٤٨ .

(٣) إقبال الاعمال : ٥٧٨ ، وبحار الأنوار : ٤٧ / ٢٩٨ .

(٤) الأدب في ظل التشيع لعبد الله نعمة : ٦٣ ، نقلاً عن شرح القصيدة الشافية لأبي فراس : ١٦١ .

فأخذ يدعو الناس إلىٰ نفسه فاستجاب له الناس وظلّ مختفياً مع أخيه إبراهيم، وقد انتشرت دعاتهم في البلاد الإسلامية داعية المسلمين إلىٰ بيعة محمد هذا.

ولمّا انتهت الأنباء بشهادة عبد الله وسائر السادة الذين كانوا معه الى محمد ؛ أعلن محمّد ثورته في المدينة وبايعه الناس وحتىٰ الفقهاء منهم وقد استبشروا ببيعته، وحينما انتشر الأمر سارع أهالي اليمن ومكة إلىٰ بيعته وقام خطيباً فيهم فقال :

اما بعد : أيها الناس فإنه كان من أمر هذا الطاغية عدوّ الله أبي جعفر مالم يخف عليكم من بنائه القبّة الخضراء التي بناها معانداً لله في ملكه تصغيراً للكعبة الحرام ، وإنما أخذ فرعون حين قال : أنا ربكم الأعلىٰ ، وإن أحق الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين والأنصار المواسين .

اللّهم إنهم قد أحلّوا حرامك وحرّموا حلالك وآمنوا من أخفت وأخافوا من آمنت ، اللّهم فاحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً[1] .

و لمّا علم المنصور بالثورة وجّه جيشاً يقدّر بأربعة آلاف فارس بقيادة عيسىٰ بن موسىٰ، وبعد أن اندلعت الحرب بين الفريقين ـ خارج المدينة ـ رغبة من محمد وحفاظاً علىٰ سكّانها من عبث جيش المنصور وأُصيب محمد بن عبد الله بجراح خطيرة بسبب تفرّق جنده، وبرك إلىٰ الأرض، فبادر الأثيم حميد بن قحطبة فاحتزّ رأسه الشريف[2] .

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٦ / ١٨٨ ـ ١٨٩ .

(٢) اليعقوبي: ٢/٣٧٦ والمسعودي: ٣/٢٩٤ ـ ٢٩٦ وعن الطبري في الكامل في التاريخ: ٥/٥٤٩ .

موقف الإمام (عليه السلام) من الثورة :

لقد حذّر الإمام الصادق (عليه السلام) عبد الله بن الحسن من الترويج لابنه محمّد على أساس أنه المهدي لهذه الأمة، وأخبر (عليه السلام) بمستقبل الأحداث ونبّه على أنّها ستنتهي باستشهاد محمد وأخيه إبراهيم، وأنّ الخلافة بعد أبي العباس السفّاح ستكون للمنصور العباسي.

وحينما سئل (عليه السلام) عن محمد بن عبد الله ودعوته قبل أن يعلن محمد ثورته أجاب (عليه السلام) : « **إن عندي كتابين فيها اسم كل نبي وكل ملك يملك، لا والله ما محمد بن عبد الله في أحدهما** »(١) .

ولما ثار محمد بن عبد الله (ذي النفس الزكية) ترك الإمام الصادق (عليه السلام) المدينة، وذهب إلى أرض له بالفُرع، فلم يزل هناك مقيماً حتى قتل محمّد فلما قتل واطمأنّ الناس وأمنوا رجع إلى المدينة (٢) .

الإمام الصادق يهيّء الخط الشيعي للمواصلة

لقد كانت الفترة الأخيرة من حياة الإمام الصادق (عليه السلام) مع حكومة المنصور فترة تشدّد ومراقبة لحركة الإمام، تخللتها محاولات اغتيال عديدة، لكن الإمام(عليه السلام) علم أن المنصور قد صمّم على قتله، ولهذا مارس جملة من الانشطة ليهيّء فيها الخط الشيعي لمواصلة الطريق من بعده.

---

(١) بحار الأنوار : ٢٦ / ١١٥ عن بصائر الدرجات : ١٦٩ .

(٢) كشف الغمة : ٢ / ١٦٢ ، عنه في بحار الأنوار : ٤٧ / ٥ .

النشاط الأول: حاول الإمام الصادق (عليه السلام) أن يجعل من الصف الشيعي صفاً متماسكاً في عمله و نشاطه، وركّز على قيادة الإمام الكاظم (عليه السلام) من بعده فيما لو تعرّض لعملية قتل من قبل المنصور. وقد قطع الطريق أمام المنتفعين والادعياء الذين كانوا يتربصون الفرص؛ لأن اسماعيل ابن الإمام الصادق (عليه السلام) الذي كان قد توفّي في هذه الفترة كان يصلح كفكرة لتفتيت الصفّ الشيعي باعتباره الابن التقي الأكبر للإمام (عليه السلام).

والغريب أنا نجد ـ رغم التأكيدات المتكرّرة ـ والحزن الذي أبداه الإمام (عليه السلام) والتصريح الذي أبداه أمام حشد كبير من أعيان الشيعة بأن اسماعيل قد توفّي ودفن استغلال بعضهم لقضية إسماعيل وزعمهم بأن الإمامة تقع في إسماعيل وأنّه حيّ وقد خرج في البصرة وشاهده بعض الناس.

وهنا يقوم الإمام الصادق (عليه السلام) بجملة من الخطوات لمعالجة هذه المشكلة التي سوف تُفتّت الصفّ الشيعي من بعده.

١ ـ قال زرارة بن أعين: دعا الإمام الصادق (عليه السلام) داود بن كثير الرقي وحمران بن أعين، وأبا بصير، ودخل عليه المفضّل بن عمر وأتىٰ بجماعة حتىٰ صاروا ثلاثين رجلاً فقال: « **يا داود اكشف عن وجه اسماعيل** »، فكشف عن وجهه، فقال: «**تأمّله يا داود، فانظره أحيّ هو أم ميّت ؟**» فقال: بل هو ميّت. فجعل يعرّضه علىٰ رجل رجل حتىٰ أتىٰ علىٰ أخرهم فقال: «**اللّهم اشهد**». ثم أمر بغسله وتجهيزه.

ثم قال: «**يا مفضّل احسر عن وجهه، فحسر عن وجهه**»، فقال: «**أحيّ هو أم ميت؟» انظروه أجمعكم**» فقال: بل هو يا سيدنا ميّت.

فقال: «**شهدتم بذلك وتحققتموه**»؟ قالوا: نعم، وقد تعجبوا من فعله.

فقال: «**اللّهم أشهد عليهم**». ثم حمل إلىٰ قبره، فلمّا وضع في لحده، قال: «**يا مفضل، اكشف عن وجهه**» فكشف، فقال للجماعة: «**انظروا أحيّ هو أم**

ميتّ ؟» فقالوا : بل ميّت، يا وليّ الله .

فقال: «اللّهم اشهد فإنه سيرتاب المبطلون ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله﴾ » ـ ثم أومىٰ إلىٰ موسىٰ (عليه السلام) وقال: ﴿والله مُتم نوره ولو كره الكافرون﴾ .

ثم حثّوا عليه التراب ، ثم اعاد علينا القول فقال: «الميّت المكفّن المدفون في هذا اللحد من هو ؟» قلنا : اسماعيل ولدك .

فقال: «اللّهم أشهد». ثم أخذ بيد موسىٰ فقال : «هو حق ، والحق معه ومنه ، إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها »[١] .

٢ ـ قال عنبسة العابد : لما مات اسماعيل بن جعفر بن محمد (عليهما السلام) وفرغنا من جنازته ، جلس الصادق (عليه السلام) وجلسنا حوله وهو مطرق ، ثم رفع رأسه فقال :

«أيها الناس : إن هذه الدنيا دار فراق ، ودار التواء لا دار استواء ، علىٰ أن فراق المألوف حرقة لا تدفع ، ولوعة لا تردّ، وإنما يتفاضل الناس بحسن العزاء وصحة الفكر ، فمن لم يشكل أخاه شكله أخوه ، ومن لم يقدم ولداً هو المقدم دون الولد» ، ثم تمثّل بقول أبي خراش الهذلي يرثي أخاه .

ولا تحسبي أنـي تناسيت عـهده ولكـن صـبري يـا أمـيم جـميل[٢]

٣ ـ قال اسحاق بن عمار: وصف إسماعيل أخي لأبي عبد الله (عليه السلام) دينه واعتقاده فقال : إنـي أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله وانكم ـ ووصفهم يعني الأئمة ـ واحداً واحداً حتىٰ انتهىٰ إلىٰ أبي عبد الله .ثم قال : واسماعيل من بعدك ! قال : «أما اسماعيل فلا»[٣] .

(١) المناقب لابن شهر آشوب : ٣٢٧/١ عن الصدوق وعنه في بحار الأنوار : ٤٧ / ٢٥٣

(٢) كمال الدين: ٧٢، ٧٣ وأمالي الصدوق : ١٩٧ وعنهما في بحار الأنوار : ٤٧ / ٢٤٥ .

(٣) الغيبة للنعماني : ٢٢٤ ، وعنه في بحار الأنوار : ٤٧ / ٢٦١ .

النشاط الثاني : رغم الحرب الباردة التي كانت بين المنصور والإمام الصادق(عليه السلام) نلاحظ أن الإمام قد مارس بعض الأدوار مع السلطة لغرض الحفاظ على الأُمة وسلامة مسيرتها وابقاء روح الرفض قائمة في نفوسها ، مخافة أن تسبب ممارسات المنصور حالة من الانكسار للشيعة حين الاستجابة لمخططاته .

١ ـ قال أبو جعفر المنصور للإمام الصادق (عليه السلام) : إني قد عزمت على أن أخرب المدينة ولا أدع فيها نافخ ضرمة.

فقال: **«يا أمير المؤمنين ! لا أجد بداً من النصاحة لك ، فاقبلها إن شئت أولا»** .

ثم قال (عليه السلام): **«إنه قد مضى لك ثلاثة أسلاف : أيوب (عليه السلام) ابتلي فصبر ، وسليمان(عليه السلام) أُعطي فشكر، ويوسف (عليه السلام) قدر فغفر . فاقتد بأيهم شئت»**. قال: قد عفوت[1] .

٢ ـ قال عبد الله بن سليمان التميمي: لما قتل محمد وإبراهيم ابنا عبد الله ابن الحسن صار إلى المدينة رجل يقال له شبّة عقال، ولّاه المنصور على أهلها، فلمّا قدمها وحضرت الجمعة صار الى المسجد فرقى المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد فإن علي بن أبي طالب شقّ عصا المسلمين ، وحارب المؤمنين ، وأراد الأمر لنفسه، ومنعه أهله فحرمه الله عليه وأماته بغصّته . وهؤلاء ولده يتبعون أثره في الفساد وطلب الأمر بغير استحقاق له ، فهم في نواحي الارض مقتولون ، وبالدماء مضرجون.

---

(١) أمالي الطوسي: ٥٠ ح ٦٦ وعنه في بحار الأنوار: ١٨٤/٤٧ وانظر مناقب آل أبي طالب: ٢٥١/٤، كشف الغمة: ٤٢٠/٢ .

قال: فعظم هذا الكلام منه على الناس ، ولم يجسر أحد منهم أن ينطق بحرف . فقام إليه رجل عليه إزار قومسي سخين فقال : **ونحن نحمد الله ونصلي على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى رسل الله وأنبيائه أجمعين. أمّا ما قلت من خير فنحن أهله ، وما قلت من سوء فأنت وصاحبك به أولى وأحرى. يا من ركب غير راحلته وأكل غير زاده ، ارجع مأزوراً .**

ثم أقبل على الناس ، فقال : **ألا آتيكم بأخفّ الناس ميزاناً يوم القيامة ، وأبينهم خسراناً ؟ : من باع آخرته بدنيا غيره ، وهو هذا الفاسق .**

فأسكت الناس ، وخرج الوالي من المسجد ولم ينطق بحرف.

فسألت عن الرجل: فقيل لي : هذا جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)[1] .

النشاط الثالث : وهو نشاط الإمام الصادق (عليه السلام) الخاص مع الشيعة في هذا الظرف العصيب وأساليب الاتصال معهم.

وقد ذكرنا في البحوث السابقة أن الإمام قد ركّز على مبادئ اسلامية وممارسات إصلاحية في نفوس شيعته ، مثل التقيّة ، وكتمان السر ، والعلاقة بالثورة الحسينية لتحافظ هذه المبادئ والممارسات على الوجود الشيعي وتقيه من الضربات والمخططات الخارجية .

والرواية التالية تصوّر لنا نشاط الإمام السري مع صحبه في هذه الفترة .

روي أن الوليد بن صبيح قال :كنا عند أبي عبد الله (عليه السلام) في ليلة إذ طرق الباب طارق ، فقال للجارية : انظري من هذا ؟

(١) أمالي الشيخ الطوسي : ٦٦ ، وبحار الأنوار : ٤٧ / ١٦٥ وحلية الأبرار : ٢ / ٢١٥ .

فخرجت ثم دخلت فقالت : هذا عمّك عبد الله بن علي (عليه السلام) فقال : أدخليه . وقال لنا : ادخلوا البيت فدخلنا بيتاً ، فسمعنا منه حسّاً ، ظننّا أن الداخل بعض نسائه ، فلصق بعضنا ببعض ، فلما دخل أقبل على أبي عبدالله (عليه السلام) فلم يدع شيئاً من القبيح إلا قاله في أبي عبد الله (عليه السلام) ثم خرج وخرجنا ، فأقبل يحدّثنا من الموضع الذي قطع كلامه .

فقال بعضنا : لقد استقبلك هذا بشيء ما ظننّا أنّ أحداً يستقبل به أحداً، حتىٰ لقد همّ بعضنا أن يخرج إليه فيوقع به .

فقال (عليه السلام) مه ، لا تدخلوا فيما بيننا .

فلمّا مضىٰ من الليل ما مضىٰ ، طرق الباب طارق فقال للجارية : انظري من هذا ؟ فخرجت ، ثم عادت ، فقالت : هذا عمّك عبد الله بن علي (عليه السلام) فقال لنا : عودوا إلىٰ مواضعكم، ثم اذن له.

فدخل بشهيق ونحيب وبكاء وهو يقول : يابن أخي ، اغفر لي غفر الله لك ، اصفح عني صفح الله عنك .

فقال : غفر الله لك يا عم ، ما الّذي أحوجك إلى هذا ؟

قال : إني لما أويت إلى فراشي أتاني رجلان أسودان فشدّا وثاقي ، ثم قال أحدهما للآخر : انطلق به إلىٰ النار : فانطلق بي ، فمررت برسول الله فقلت : يا رسول الله ، لا أعود . فأمره فخلّى عنّي ، وأني لأجد ألم الوثاق .

فقال أبو عبد الله (عليه السلام): **أوص .**

قال : بم أوصي ؟ ما لي مال ، وإن لي عيالاً كثيرة وعليّ دين .

فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : **دينك عليّ ، وعيالك عيالي ، فأوص.**

فما خرجنا من المدينة حتىٰ مات ، وضمّ أبو عبد الله (عليه السلام) عياله إليه ،

وقضى دينه ، وزوّج ابنه ابنته[1] .

وأغلب الظن أن نشاط الإمام الصادق (عليه السلام) من هذا النوع قد تركّز أيام المنصور لكثرة الجواسيس والعيون التي كانت ترصد حركة الإمام(عليه السلام) ممّا دفع بالامام الى أن يلجأ إلى عقد الاجتماعات في بيته سرّاً لغرض مواصلة دوره الالهي مع الأُمة عن طريق توجيه النخبة الصالحة التي وفقت لهذا الدور.

محاصرة الإمام(عليه السلام) قبيل استشهاده

صعّد المنصور من تضييقه على الإمام الصادق(عليه السلام)، ومهّد لقتله.

فقد روى الفضل بن الربيع عن أبيه ، فقال : دعاني المنصور ، فقال : إن جعفر بن محمد يلحد في سلطاني ، قتلني الله إن لم أقتله . فأتيته ، فقلت : أجب أمير المؤمنين . فتطهّر ولبس ثياباً جدداً .

فأقبلت به ، فاستأذنت له فقال : أدخله ، قتلني الله إن لم أقتله .

فلما نظر إليه مقبلاً ، قام من مجلسه فتلقّاه وقال : مرحباً بالتقيّ الساحة البريء من الدغل والخيانة ، أخي وابن عمي .

فأقعده على سريره ، وأقبل عليه بوجهه ، وسأله عن حاله ، ثم قال : سلني حاجتك ، فقال(عليه السلام): **أهل مكّة والمدينة قد تأخر عطاؤهم، فتأمر لهم به** .

قال : أفعل ، ثم قال : يا جارية ! ائتني بالتحفة فأتته بمدهن زجاج، فيه غالية ، فغلّفه بيده وانصرف فأتبعته ، فقلت:

---

(١) الخرائج والجرائح : ٢ / ٦١٩ وعنه في بحار الأنوار: ٤٧ / ٩٦، واثبات الهداة : ٥ / ٤١٠ ح ١٤٣.

يابن رسول الله ! أتيت بك ولا أشك أنه قاتلك ، فكان منه ما رأيت، وقد رأيتك تحرك شفتيك بشيء عند الدخول ، فما هو ؟

قال : قلت : «**اللّهم احرسني بعينك التي لاتنام ، واكنفني بركنك الذي لا يرام ، واحفظني بقدرتك عليّ ، ولا تهلكني وانت رجائي ...**»[١] .

ولم يكن هذا الاستدعاء للإمام من قبل المنصور هو الاستدعاء الأول من نوعه بل إنّه قد أرسل عليه عدّة مرات وفي كل منها أراد قتله[٢] .

لقد صور لنا الإمام الصادق (عليه السلام) عمق المأساة التي كان يعانيها في هذا الظرف بالذات والاذى الّذي كان المنصور يصبه عليه، حتى قال (عليه السلام) ـ كما ينقله لنا عنبسة ـ قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «**أشكو إلى الله وحدتي وتقلقلي من أهل المدينة حتى تقدموا[٣] وأراكم أسرّ بكم، فليت هذا الطاغية أذن لي فاتخذت قصراً في الطائف فسكنته ، وأسكنتكم معي ، وأضمن له أن لا يجيء من ناحيتنا مكروه أبداً**»[٤] .

الإمام الصادق(عليه السلام) في ذمّة الخلود

وتتابعت المحن على سليل النبوّة وعملاق الفكر الإسلامي ـ الإمام الصادق(عليه السلام) ـ في عهد المنصور الدوانيقي ـ فقد رأى ما قاساه العلويون وشيعتهم من ضروب المحن والبلاء، وما كابده هو بالذات من صنوف

(١) سير اعلام النبلاء : ٦ / ٢٦٦ ، ملحقات احقاق الحق : ١٩ / ٥١٣ ، والفرج بعد الشدة : ٧٠ عن التذكرة لابن الجوزي : ٣٠٨، ٣٠٩ مسنداً.

(٢) الكافي : ٥٥٩/٢ و ٤٤٥/٦ وعنه في الخرائج والجرائح : ٢ / ١٩٥ وتاريخ مدينة دمشق : ١٩ / ٥١٦.

(٣) الموالون لأهل البيت أو خاصة الإمام.

(٤) الكافي : ٨ / ٢١٥ ورجال الكشي : ٣٦٥ وبحار الأنوار : ٤٧ / ٨٥.

الإرهاق والتنكيل، فقد كان الطاغية يستدعيه بين فترة وأخرى ، ويقابله بالشتم والتهديد ولم يحترم مركزه العلمي، وشيخوخته، وانصرافه عن الدنيا الى العبادة، وإشاعة العلم، ولم يحفل الطاغيه بذلك كلّه، فقد كان الإمام شبحاً مخيفاً له... ونعرض ـ بإيجاز ـ للشؤون الأخيرة من حياة الإمام ووفاته.

وأعلن الإمام الصادق(عليه السلام) للناس بدنوّ الأجل المحتوم منه، وان لقاءه بربّه لقريب، وإليك بعض ما أخبر به:

أ ـ قال شهاب بن عبد ربّه : قال لي أبو عبدالله(عليه السلام): **كيف بك إذا نعاني إليك محمد بن سليمان؟** قال: فلا والله ما عرفت محمد بن سليمان من هو. فكنت يوماً بالبصرة عند محمد بن سليمان، وهو والي البصرة إذ ألقى إليّ كتاباً، وقال لي: يا شهاب، عظّم الله أجرك وأجرنا في إمامك جعفر بن محمد. قال: فذكرت الكلام فخنقتني العبرة[1].

ب ـ أخبر الإمام(عليه السلام) المنصور بدنوّ أجله لمّا أراد الطاغية أن يقتله فقد قال له: **ارفق فوالله لقلّ ما أصحبك.** ثم انصرف عنه، فقال المنصور لعيسى بن علي: قم اسأله، أبي أم به؟ ـ وكان يعني الوفاة ـ.

فلحقه عيسى ، وأخبره بمقالة المنصور، فقال(عليه السلام): **لا بل بي**[2].

وتحقّق ما تنبأ به الإمام(عليه السلام) فلم تمضِ فترة يسيرة من الزمن حتى وافته المنية.

كان الإمام الصادق(عليه السلام) شجي يعترض في حلق الطاغية الدوانيقي، فقد ضاق ذرعاً منه، وقد حكى ذلك لصديقه وصاحب سرّه محمد بن عبدالله

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٤١٤ ح ٧٨١ ودلائل الإمامة: ١٣٨ وإعلام الورى: ١/٥٢٢، ٥٢٣ ومناقب آل أبي طالب: ٤/٢٤٢ .

(٢) مهج الدعوات: ٢٣١.

الاسكندري.

يقول محمد: دخلت على المنصور فرأيته مغتمّاً، فقلت له: ما هذه الفكرة؟

فقال: يا محمد لقد هلك من أولاد فاطمة(عليها السلام) مقدار مائة ويزيدون - وهؤلاء كلهم كانوا قد قتلهم المنصور - وبقي سيّدهم وإمامهم.

فقلت: من ذلك؟

فقال: جعفر بن محمد الصادق.

وحاول محمد أن يصرفه عنه، فقال له: إنه رجل أنحلته العبادة، واشتغل بالله عن طلب الملاك والخلافة.

ولم يرتض المنصور مقالته فردّ عليه: يا محمد قد علمتُ أنك تقول به، وبإمامته ولكن الملك عقيم[1].

وأخذ الطاغية يضيّق على الإمام، وأحاط داره بالعيون وهم يسجّلون كل بادرة تصدر من الإمام، ويرفعونها له، وقد حكى الإمام(عليه السلام) ما كان يعانيه من الضيق، حتى قال: «**عزّت السلامة، حتى لقد خفي مطلبها، فإن تكن في شيء فيوشك أن تكون في الخمول، فإن طلبت في الخمول فلم توجد فيوشك أن تكون في الصمت، والسعيد من وجد في نفسه خلوة يشتغل بها**»[2].

لقد صمّم على اغتياله[3] غير حافل بالعار والنار، فدسّ اليه سمّاً فاتكاً على يد عامله فسقاه به، ولمّا تناوله الإمام(عليه السلام) تقطّعت أمعاؤه وأخذ يعاني الآلام القاسية، وأيقن بأن النهاية الأخيرة من حياته قد دنت منه.

---

(١) مهج الدعوات: ٢٤٧.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر: ١/٤١٢.

(٣) نور الأبصار: ١٣٣، الإتحاف بحب الأشراف: ٥٤، سبائك الذهب: ٧٢.

ولمّا شعر الإمام(عليه السلام) بدنوّ الأجل المحتوم منه أوصى بعدّة وصايا كان من بينها ما يلي:

أ ـ إنه أوصى للحسن بن علي المعروف بالأفطس بسبعين ديناراً، فقال له شخص: أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة؟ فقال(عليه السلام) له: ويحك ما تقرأ القرآن؟! **﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل، ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾**[1].

لقد أخلص الإمام(عليه السلام) كأعظم ما يكون الإخلاص للدين العظيم، وآمن بجميع قيمه وأهدافه، وابتعد عن العواطف والأهواء، فقد أوصى بالبرّ لهذا الرجل الذي رام قتله لأن في الإحسان اليه صلة للرحم التي أوصى الله بها.

ب ـ إنه أوصى بوصاياه الخاصّة، وعهد بأمره أمام الناس الى خمسة أشخاص: وهم المنصور الدوانيقي، ومحمد بن سليمان، وعبدالله، وولده الإمام موسى، وحميدة زوجته.

وإنما أوصى بذلك خوفاً على ولده الإمام الكاظم(عليه السلام) من السلطة الجائرة، وقد تبيّن ذلك بوضوح بعد وفاته، فقد كتب المنصور الى عامله على يثرب، بقتل وصي الإمام ، فكتب إليه: إنه أوصى الى خمسة، وهو أحدهم ، فأجابه المنصور: ليس الى قتل هؤلاء من سبيل[2].

ج ـ إنه أوصى بجميع وصاياه الى ولده الإمام الكاظم(عليه السلام) وأوصاه بتجهيزه وغسله وتكفينه، والصلاة عليه، كما نصبه إماماً من بعده، ووجّه خواصّ شيعته إليه وأمرهم بلزوم طاعته.

---

(١) الغيبة للطوسي : ١٩٧، بحار الأنوار: ٤٧/٢٧٦.

(٢) الكافي: ١ / ٣١٠ وانظر مناقب آل أبي طالب: ٤/٣٤٥.

د ـ إنه دعا السيّدة حميدة زوجته، وأمرها باحضار جماعة من جيرانه، ومواليه، فلمّا حضروا عنده قال لهم: **«إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة...»**[١].

وأخذ الموت يدنو سريعاً من سليل النبوة، ورائد النهضة الفكرية في الإسلام، وفي اللحظات الأخيرة من حياته أخذ يوصي أهل بيته بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، ويحذّرهم من مخالفة أوامر الله وأحكامه، كما أخذ يقرأ سوراً وآيات من القرآن الكريم، ثم ألقى النظرة الأخيرة على ولده الإمام موسى الكاظم(عليه السلام)، وفاضت روحه الزكية الى بارئها.

لقد كان استشهاد الإمام من الأحداث الخطيرة التي مُني بها العالم الاسلامي في ذلك العصر، فقد اهتزّت لهوله جميع ارجائه، وارتفعت الصيحة من بيوت الهاشميين وغيرهم وهرعت الناس نحو دار الإمام وهم ما بين واجم ونائح على فقد الراحل العظيم الذي كان ملاذاً ومفزعاً لجميع المسلمين.

وقام الإمام موسى الكاظم(عليه السلام)، وهو مكلوم القلب، فأخذ في تجهيز جثمان أبيه، فغسل الجسد الطاهر، وكفّنه بثوبين شطويين[٢] كان يحرم فيهما، وفي قميص وعمامة كانت لجدّه الإمام زين العابدين(عليه السلام)، ولفّه ببرد اشتراه الإمام موسى(عليه السلام) بأربعين ديناراً وبعد الفراغ من تجهيزه صلّى عليه الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) وقد إئتمّ به مئات المسلمين.

وحمل الجثمان المقدّس على أطراف الأنامل تحت هالة من التكبير، وقد غرق الناس بالبكاء وهم يذكرون فضل الإمام وعائدته على هذه الأُمة بما بثّه من الطاقات العلمية التي شملت جميع أنواع العلم. وجيء بالجثمان العظيم

---

(١) بحار الأنوار: ٤٧/٢ عن عقاب الأعمال للصدوق: ٢٧٢ ط طهران ـ الصدوق.

(٢) شطويين: مفرده شطا إحدى قرى مصر.

الى البقيع المقدّس، فدفن في مقرّه الأخير بجوار جدّه الإمام زين العابدين وأبيه الإمام محمد الباقر(عليهما السلام) وقد واروا معه العلم والحلم، وكل ما يسمو به هذا الكائن الحيّ من بني الإنسان[1].

ويناسب أن نختم الكلام عن الإمام الصادق(عليه السلام) برثائه على لسان أحد أصحابه وهو أبي هريرة العجلي بقوله:

أقول وقد راحوا به يحملونه   على كاهل من حامليه وعاتق
أتدرون ماذا تحملون الى الثرى   ثبيراً ثوى من رأس علياء شاهق
غداة حثى الحاثون فوق ضريحه   تراباً، وأول كان فوق المفارق[2]



(١) عصر الإمام الصادق، باقر شريف القرشي: ١٦٧ ـ ١٧٠.
(٢) مقتضب الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، للجوهري: ٥٢ .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثالث

تراث الإمام الصادق (عليه السلام)

إنّ الحقبة الزمنية التي نشط فيها الإمام الصادق(عليه السلام) لإرساء دعائم منهج أهل البيت(عليهم السلام) ورسم خطوطه التفصيلية تبلغ ثلاثة عقود ونصف عقد تقريباً.

وقد تميّزت بأنها كانت تعاصر نهايات الدولة الأُموية وبدايات الدولة العباسية وهي فترة ضعف الدولتين سياسياً وبالتالي كانت فرصة متميّزة وفريدة لنشر الوعي والثقافة الإسلامية الأصيلة. وقد عرف أتباع أهل البيت(عليهم السلام) بأنهم أتباع وشيعة جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام)، ووسم الشيعي بأنه جعفري؛ ولهذا الوسام دلالته التأريخية ومغزاه الثقافي.

من هنا نعرف السرّ في عظمة التراث الذي خلّفه لنا الإمام الصادق(عليه السلام) ومدى سعته وثرائه في جانبي الكّم والكيف معاً، الى جانب كثرة من تتلمذ على يدي الإمام أبي عبدالله الصادق(عليه السلام) ممّن حمل تراثه ورواه الى الأجيال المتعاقبة. وبهذا الصدد ينقل لنا الشيخ المظفر جملة من الاشادات والتصاريح التي أدلى بها كبار رواة أهل السنة وعلمائهم بفضل الإمام الصادق ورجوع أئمة المذاهب وأهل الحديث إليه، وإليك بيانها.

«كان رواة أبي عبدالله(عليه السلام) أربعة آلاف أو يزيدون كما أشرنا إليه غير

مرّة، قال الشيخ المفيد طاب ثراه في الإرشاد: فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقامات، فكانوا أربعة آلاف رجل[1]. وذكر ابن شهراشوب أن الجامع لهم ابن عقدة وزاد غيره أن ابن عقدة ذكر لكلّ واحد منهم رواية، وأشار الى عددهم الطبرسي في أعلام الورى، والمحقق الحلّي في المعتبر، وذكر اسماءهم الشيخ الطوسي طاب رمسه في كتاب الرجال.

ولا يزيده كثرة الرواة عنه رفعة وجلالة قدر، وإنّما يزداد الرواة فضلاً وعلوّ شأن بالرواية عنه، نعم إنّما يكشف هذا عن علوّ شأنه في العلم وانعقاد الخناصر على فضله من طلّاب العلم والفضيلة على اختلافهم في المقالات والنِحل.

أعلام السنّة الذين أخذوا عن الإمام الصادق (عليه السلام):

أخذ عنه عدّة من أعلام السنّة وأئمتهم، وما كان أخذهم عنه كما يأخذ التلميذ عن الأستاذ، بل لم يأخذوا عنه إلّا وهم متّفقون على إمامته وجلالته وسيادته، كما يقول الشيخ سليمان في الينابيع، والنووي في تهذيب الأسماء واللغات، بل عدّوا أخذهم عنه منقبة شرّفوا بها، وفضيلة اكتسبوها كما يقول الشافعي في مطالب السؤل، ونحن اولاء نورد لك شطراً من أُولئك الأعلام.

أبو حنيفة: منهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي من الموالي وأصله من كابل ولد بالكوفة، وبها نشأ ودرس، وكانت له فيها حوزة وانتقل الى بغداد وبها مات عام ١٥٠، وقبره بها معروف، وهو أحد المذاهب الأربعة عند أهل السنّة، وحاله أشهر من أن يذكر.

وأخذه عن الصادق (عليه السلام) معروف، وممّن ذكر ذلك الشبلنجي في نور

(١) الارشاد للمفيد: ٢٧١.

الأبصار، وابن حجر في الصواعق، والشيخ سليمان في الينابيع ، وابن الصبّاغ في الفصول، الى غير هؤلاء ، وقال الآلوسي في مختصر التحفة الاثني عشرية (ص٨) : وهذا أبو حنيفة وهو هوبين أهل السنّة كان يفتخر ويقول بأفصح لسان: «لولا السنتان لهلك النعمان» يريد السنتين اللتين صحب فيها ـ لأخذ العلم ـ الإمام جعفر الصادق(عليه السلام).

مالك بن أنس: ومنهم مالك بن أنس المدني أحد المذاهب الأربعة أيضاً، قال ابن النديم في الفهرست: هو ابن أبي عامر من حمير وعداده في بني تيم بن مرّة من قريش، وحمل به ثلاث سنين، وقال : وسعى به الى جعفر بن سليمان العبّاسي وكان والي المدينة فقيل له: إنّه لا يرى ايمان بيعتكم. فدعى به وجرّده وضربه أسواطاً ومدّده فانخلع كتفه وتوفي عام (١٧٩ هـ) عن (٨٤) سنة، وذكر مثله ابن خلكان.

وأخذه عن أبي عبدالله(عليه السلام) معلوم مشهور، وممّن أشار الى ذلك النووي في التهذيب، والشبلنجي في نور الأبصار، والسبط في التذكرة ، والشافعي في المطالب، وابن حجر في الصواعق، والشيخ سليمان في الينابيع ، وأبو نعيم في الحلية، وابن الصبّاغ في الفصول، الى ما سوى هؤلاء.

سفيان الثوري: ومنهم سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، ورد بغداد عدّة مرّات، وروى عن الصادق(عليه السلام) جملة أشياء، وأوصاه الصادق بأُمور ثمينة مرّت في الوصايا ، وناظر الصادق في الزهد كما سلف، وارتحل الى البصرة وبها مات (١٦١ هـ)، وولادته في نيف وتسعين ، قيل شهد وقعة زيد الشهيد وكان في شرطة هشام بن عبدالملك.

جاء أخذه عن الصادق(عليه السلام) في التهذيب، ونور الأبصار، والتذكرة، والمطالب، والصواعق، والينابيع، والحلية، والفصول المهمة، وغيرها، وذكره الرجاليون من الشيعة في رجاله(عليه السلام).

سفيان بن عيينة: ومنهم سفيان بن عيينة بن أبي عمران الكوفي المكّي ولد بالكوفة عام (١٠٧ هـ) ومات بمكّة عام (١٩٨ هـ)، ودخل الكوفة وهو شاب على عهد أبي حنيفة.

ذكر أخذه عن الصادق(عليه السلام) في التهذيب، ونور الأبصار، والمطالب، والصواعق، والينابيع، والحلية، والفصول، وما سواها، وذكر ذلك الرجاليون من الشيعة أيضاً.

يحيى بن سعيد الأنصاري: ومنهم يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري من بني النجّار تابعي، كان قاضياً للمنصور في المدينة، ثم قاضي القضاة، مات بالهاشميّة عام (١٤٣ هـ).

انظر المصادر المتقدّمة في روايته عن الصادق(عليه السلام) وما عداها كما ذكر ذلك الرجاليّون من الشيعة.

ابن جريح: ومنهم عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريح المكّي، سمع جمعاً كثيراً من العلماء، وكان من علماء العامّة، الذين يرون حلية المتعة كما رأى حلّيتها آخرون منهم، وجاء في طريق الصدوق في باب ما يُقبل من الدعاوى بغير بيّنة، وجاء في الكافي في باب ما أحلّ الله من المتعة سؤال أحدهم من الصادق(عليه السلام) عن المتعة فقال: «**الق عبدالملك بن جريح فاسأله عنها فإنّ عنده منها علماً**»، فأتاه فأملى عليه شيئاً كثيراً عن المتعة وحلّيتها.

وقال ابن خلكان: عبدالملك أحد العلماء المشهورين، وكانت ولادته

سنة (٨٠ هـ) وقدم بغداد على أبي جعفر المنصور، وتوفى سنة (١٤٩ هـ) وقيل (١٥٠ هـ)، وقيل (١٥١ هـ).

وذكرت المصادر السابقة أخذه عن الصادق(عليه السلام)، كما ذكرته رجال الشيعة.

القطّان: ومنهم أبو سعيد يحيى بن سعيد القطّان البصري، كان من أئمة الحديث بل عُدّ محدّث زمانه، واحتجّ به أصحاب الصحاح الستة وغيرهم، توفي عام (١٩٨ هـ)، وحكي عن ابن قتيبة عداده في رجال الشيعة، ولكن الشيعة لا تعرفه من رجالها.

ذكره في رجال الصادق(عليه السلام) التهذيب، والينابيع، وغيرهما من السنّة، والشيخ، وابن داود، والنجاشي، وغيرهم من الشيعة.

محمّد بن إسحاق: ومنهم محمّد بن إسحاق بن يسار صاحب المغازي والسير، ومدنيّ سكن مكّة، أثنى عليه ابن خلكان كثيراً، وكان بينه وبين مالك عداء، فكان كلّ منهما يطعن في الآخر، قدم الحيرة على المنصور فكتب له المغازي.

وقدم بغداد وبها مات عام (١٥١ هـ) على المشهور، ذكر أخذه عن الصادق(عليه السلام) في التهذيب، والينابيع، وغيرهما من السنّة، والشيخ في رجاله، والعلّامة في الخلاصة، والكشي في رجاله، وغيرهم من الشيعة.

شعبة بن الحجّاج: ومنهم شعبة بن الحجّاج الأزدي كان من أئمة السنّة وأعلامهم وكان يفتي بالخروج مع إبراهيم بن عبدالله بن الحسن، وقيل كان

ممّن خرج من أصحاب الحديث مع إبراهيم بن عبدالله.

وعدّه في أصحاق الصادق(عليه السلام) جماعة من السنّة منهم صاحب التهذيب، والصواعق، والحلية، والينابيع، والفصول، والتذكرة وغيرها، وذكرته كتب الشيعة في رجاله أيضاً.

أيوب السجستاني: ومنهم أيوب بن أبي تميمة السجستاني البصري، وقيل السختياني، والأول أشهر، مولى عمّار بن ياسر وعدّوه في كبار الفقهاء التابعين، مات عام (١٣١ هـ) بالطاعون بالبصرة عن (٦٥ هـ) سنة.

عدّه في رجال الصادق(عليه السلام) في نور الأبصار، والتذكرة، والمطالب، والصواعق، والحلية، والفصول، وغيرها، وذكرته كتب رجال الشيعة في أصحابه أيضاً.

وهؤلاء بعض من نسبوه الى تلمذة الصادق(عليه السلام) من أعلام السنّة وفقهائهم البارزين، وقد عدّوا غير هؤلاء فيهم أيضاً، انظر في ذلك حلية الأولياء، على أن غير أبي نعيم أشار الى غير هؤلاء بقوله وغيرهم، أو ما سوى ذلك ممّا يؤدّي هذا المفاد»[1][2].

إنّ الحضارة الإنسانية اليوم ـ بما فيها الحضارة الأُوربيّة ـ مدينة الى تراث الإمام الصادق(عليه السلام) بشكل خاص، باعتبار عنايته الفائقة بجملة من العلوم الطبيعية التي لاحظنا نماذج منها خلال بحوث هذا الكتاب.

---

(١) الإمام الصادق(عليه السلام)، محمد حسين المظفر: ١٢٧ ـ ١٣٠.

(٢) ورغم اعترافات علماء أهل السنّة وأشاداتهم بالإمام الصادق(عليه السلام) وانّ أئمة مذاهبهم وكبار علمائهم قد تتلمذوا على يديه ونقلت الرواة ما يملئ الخافقين من الأحاديث، نجد البخاري الذي يروي للخوارج والفساق والمجاهيل لم يروِ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) ولا حديثاً واحداً.

إن التراث الذي جمعه علماء مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) والذي رووه عن الإمام الصادق(عليه السلام) يفوق تراث كلّ واحد من المعصومين من حيث الكمّ ومن حيث الاهتمام بشتّى العلوم الإنسانية والطبيعية جميعاً.

وقد وقفنا على شيء من اهتماماته الواسعة في بحوث سبقت في هذا الكتاب ، مثل: جامعة أهل البيت(عليهم السلام) والجماعة الصالحة. وإتماماً للفائدة واتّساقاً مع سائر أجزاء هذه الموسوعة سوف نلمّ بطرفٍ آخر من رواياته وتراثه في شتّىٰ فروع المعرفة الإسلامية.

مصادر المعرفة وآثارها

١ ـ عن علي بن الحكم، عن هشام، عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: «**لمّا خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له: أقبل فأقبل، فقال له: أدبر فأدبر، فقال: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحبُّ إليّ منك، بك آخذ، وبك اعطي وعليك أُثيب**»[١].

٢ ـ عن عبدالله بن سنان قال: سألت أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: «**قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام): إنّ الله ركّب[٢] في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شرّ من البهائم**»[٣].

٣ ـ عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: «**حجّة الله على العباد**

---

(١) المحاسن: ١/١٩٢، كتاب مصابيح الظلم، باب ١ ، باب العقل، ح ٧.

(٢) ركّب: أي خلق.

(٣) علل الشرائع: ١/٤، باب ٦ .

النبيّ، والحجّة فيما بين العباد وبين الله العقل»[١].

الأنبياء والأئمة

١ ـ عن أبي حمزة الثمالي، قال أبو عبدالله (عليه السلام): «إياك والرياسة وإياك أن تطأ أعقاب الرجال ـ الى أن قال ـ: إيّاك أن تنصب رجلاً دون الحجّة، فتصدقه في كل ما قال»[٢].

٢ ـ عن الفضيل، قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله عزّ وجل: ﴿إنّما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾؟ فقال: «كل إمام هادٍ للقرن الذي هو فيهم»[٣].

٣ ـ عن عمّار الساباطي، قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن الإمام، يعلم الغيب؟ قال: «لا ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء، أعلمه الله ذلك»[٤].

٤ ـ وعن بريدة بن معاوية، عن أحدهما (عليهما السلام)، في قول الله عزّ وجل ﴿وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم﴾، «فرسول الله أفضل الراسخين في العلم قد علّمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلّمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلّه، الى أن قال: والقرآن خاص وعام ومحكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ، فالراسخون في العلم يعلمونه»[٥].

الإسلام والإيمان

١ ـ عن جميل بن صالح، قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) اخبرني عن

(١) الكافي: ٢٥/١، كتاب العقل والجهل: ٢٢.

(٢) معاني الأخبار: ١٦٤/١، باب معنى وطء أعقاب الرجال.

(٣) الكافي: ١٩١/١، كتاب الحجّة، باب أن الأئمة (عليهم السلام) هم الهداة، ح ١.

(٤) الكافي: ٢٥٧/١، كتاب الحجّة، باب نادر فيه ذكر الغيب، ح ٤.

(٥) الكافي: ٢١٣/١، كتاب الحجّة باب أن الراسخين في العلم هم الأئمة (عليهم السلام)، ح ٢.

الإسلام والإيمان، أهما مختلفان؟ قال: «إنّ الإيمان يشارك الإسلام، والإسلام لا يشارك الإيمان، فقلت: فصفهما لي قال: «الإسلام شهادة أن لا إله إلّا الله والتصديق برسول الله (صلى الله عليه وآله)، به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث وعلى ظاهره جماعة الناس، والإيمان الهدىٰ وما ثبت في القلوب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل، والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة»[١].

٢ ـ عن عبدالرحيم القصير، قال كتبت مع عبدالملك بن أعين الى أبي عبدالله (عليه السلام): أسأله عن الايمان ماهو؟ فكتب (عليه السلام) إليّ مع عبدالملك بن أعين: «سألت يرحمك الله عن الإيمان، والإيمان هو الإقرار باللسان وعقد في القلب وعمل بالأركان والإيمان بعضه من بعض، وهو دار، وكذلك الإسلام دار، والكفر دار، فقد يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً، ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً، فالإسلام قبل الإيمان وهو يشارك الإسلام»[٢].

٣ ـ عن عبدالله بن مسكان، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت له: ما الإسلام؟ قال: «دين الله، اسمه الإسلام وهو دين الله قبل أن تكونوا حيث كنتم وبعد أن تكونوا، فمن أقرّ بدين الله فهو مسلم، ومن عمل بما أمر الله عزّ وجل فهو مؤمن»[٣].

---

(١) الكافي: ٢/٢٥، كتاب الايمان والكفر باب أن الايمان يشارك الإسلام، ح ١.

(٢) الكافي: ٢/٢٧، كتاب الايمان والكفر، باب أن الإسلام قبل الإيمان، ح ١.

(٣) الكافي: ٢/٣٨، كتاب الايمان والكفر، باب ٣٠، باب أن الايمان مبثوث لجوارح البدن كلّها، ح ٤.

التفقّه في الدين

١ ـ عن عبدالرحمن بن زيد عن أبيه عن أبي عبدالله(عليه السلام)، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا وأن الله يحب بغاة العلم**»(١).

٢ ـ عن أبي جعفر الأحول عن أبي عبدالله(عليه السلام)، قال: «**لا يسع الناس حتّى يسألوا ويتفقهوا ويعرفوا إمامهم. ويسعهم أن يأخذوا بما يقول وإن كان تقيّة**»(٢).

٣ ـ عن جميل، عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: سمعته يقول: «**يغدو الناس على ثلاثة أصناف: عالم ومتعلم وغثاء، فنحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء**»(٣).

٤ ـ عن أبي البختري، عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: «**إن العلماء ورثة الأنبياء، وذاك أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنّما ورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظّاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه فإنّ فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**»(٤).

مصادر التشريع الإسلامي

١ ـ عن حمّاد، عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: سمعته يقول: «**ما من شيء إلّا وفيه كتاب أو سنّة**»(٥).

٢ ـ عن مُرازم عن أبي عبدالله(عليه السلام)، قال: «**إنّ الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيءٍ، حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبد أن يقول: لو**

---

(١) الكافي: ٣٠/١، كتاب فضل العلم الباب ١، باب فرض العلم، ح ١.

(٢) الكافي: ٤٠/١، كتاب فضل العلم، الباب ٩ باب سؤال العالم وتذاكره، ح ٤.

(٣) الكافي: ٣٤/١، كتاب فضل العلم، الباب ٣، باب أصناف الناس، الحديث ٤.

(٤) الكافي: ٣٢/١، كتاب فضل العلم، الباب ٢، باب فضل العلماء، الحديث ٢.

(٥) الكافي: ٥٩/١، كتاب فضل لعلم، الباب ٢٠، باب الرد الى الكتاب، ح ٤.

كان هذا أنزل في القرآن، إلّا وقد أنزل الله فيه»(١).

٣ ـ عن المعلى بن خنيس قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): «ما من أمر يختلف فيه اثنان، إلّا وله أصل في كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال»(٢).

علم الأئمة (عليهم السلام)

١ ـ عن عبدالأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: قد ولدني(٣) رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأنا أعلم كتاب الله وفيه بدء الخلق وماهو كائن الى يوم القيامة وفيه خبر السماء والأرض، وخبر الجنّة، وخبر النار، وخبر ما كان وماهو كائن، اعلم ذلك كأني انظر الى كفّي، ان الله يقول: ﴿فيه تبيان كل شيء﴾»(٤).

٢ ـ عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في حديث، قال: «علّم رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) ألف باب، يفتح كل باب منها ألف باب، الى أن قال: فإن عندنا الجامعة، صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإملائه من فلق فيه(٥) وخطّ علي (عليه السلام) بيمينه، فيها كل حلال وحرام وكلّ شيء يحتاج إليه الناس حتى الأرش في الخدش، وضرب بيده، اليّ فقال لي: تأذن لي يا أبا محمّد؟ قال: قلت: جعلت فداك، إنّما أنا لك، فاصنع ما شئت، قال: فغمزني بيده ثم قال: «حتى أرش هذا ـ كأنه مغضب ـ»(٦).

٣ ـ عن الحسين بن أبي العلاء قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: «إن

(١) الكافي: ٥٩/١، كتاب فضل العلم، الباب ٢٠، باب الرد الى الكتاب، ح ١.
(٢) المصدر السابق: ٦٠/١، ح ٦.
(٣) أي حصلني.
(٤) الكافي: ٦١/١، كتاب فضل العلم، الباب ٢٠، باب الردّ إلى الكتاب، الحديث ٨.
(٥) أي من شق فمه.
(٦) الكافي: ٢٣٨/١، كتاب الحجة، باب فيه ذكر الصحيفة، ح ١.

عندي الجفر الأبيض»، قال: قلت: فأي شيء فيه؟ قال: «زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، ما ازعم أن فيه قرآناً[١] وفيه ما يحتاج الناس إلينا، ولا نحتاج الى أحد حتى فيه الجلدة، ونصف الجلدة، وربع الجلدة، وارش الخدش»[٢].

المناهج المنحرفة

١ ـ قال الصادق(عليه السلام) : «دع القياس والرأي وما قال قوم في دين الله ليس له برهان»[٣].

٢ ـ عن أبي شيبة الخراساني قال: سمعت أبا عبدالله(عليه السلام)، يقول: «إن أصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس، فلم تزدهم المقاييس من الحق إلّا بعداً، وان دين الله لا يصاب بالمقاييس»[٤].

٣ ـ وجاء في رسالة له الى أصحاب الرأي والمقاييس: «وقالوا لا شيء إلّا ما أدركته عقولنا وأدركته ألبابنا، فولّاهم الله ما تولّوا وأهملهم وخذلهم، حتى صاروا عبدة أنفسهم من حيث لا يعلمون، ولو كان الله رضي منهم ارتياءهم واجتهادهم في ذلك، لم يبعث الله إليهم رسولاً فاصلاً لما بينهم ولا زاجراً عن وصفهم...»[٥].

٤ ـ وفي وصية المفضّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبدالله(عليه السلام) ، يقول: «من شكّ أو ظنّ فأقام على أحدهما، فقد حبط عمله، انّ حجّة الله هي الحجّة الواضحة»[٦].

(١) يعني: لا أقول فيه قرآناً، بل في الجفر علم ماكان وما يكون الى يوم القيامة.
(٢) الكافي: ١/٢٤٠، كتاب الحجة، باب فيه ذكر الصحيفة ، الحديث ٣.
(٣) علل الشرائع: ١/٨٨، الباب ٨١، باب علّة المرارة في الأذنين... ح ٤ .
(٤) الوسائل عن الكافي: ٢٧/٤٣، القضاء، باب ٦، من أبواب صفات القاضي ح ١٨.
(٥) المحاسن: ١/٢٠٩، كتاب مصابيح الظلم، الباب ٧، ح ٧٦.
(٦) الكافي: ٢/٤٠٠، كتاب الايمان والكفر، باب الشكّ، ح ٨.

٥ ـ عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد(عليه السلام)، عن آبائه(عليهم السلام)، قال: «قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): إيّاكم والظنّ فإنّ الظنّ أكذب الكذب»(١).

نماذج من الفهم الخاطئ

١ ـ عن عبدالمؤمن الأنصاري، قال: قلت لأبي عبدالله(عليه السلام): إنّ قوماً يروون عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)، قال: «اختلاف أُمّتي رحمة، فقال: «صدقوا»، فقلت: إن كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب! فقال: «ليس حيث تذهب وذهبوا، إنّما أراد، قول الله عزّ وجلّ: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة﴾ الآية. فأمرهم أن ينفروا الى رسول الله(صلى الله عليه وآله) فيتعلّموا، ثم يرجعوا الى قومهم فيعلّموهم، إنّما أراد اختلافهم من البلدان لا اختلافاً في دين الله، إنّما الدين واحد، إنّما الدين واحد»(٢).

٢ ـ عن اسماعيل بن مخلّد السراج، قال: خرجت هذه الرسالة من أبي عبدالله(عليه السلام) الى أصحابه وذكر الرسالة، الى أن قال: «وقد عهد إليهم رسول الله(صلى الله عليه وآله) قبل موته فقالوا: نحن بعد ما قبض الله عزّ وجل رسوله(صلى الله عليه وآله)، يسعنا أن نأخذ بما اجتمع عليه رأي الناس بعد قبض الله رسوله(صلى الله عليه وآله)، وبعد عهده الذي عهده إلينا وأمرنا به، مخالفاً لله ولرسوله، فما أحد اجرأ على الله ولا أبين ضلالة ممّن أخذ بذلك وزعم أن ذلك يسعه» الى أن قال:

«وكما أنه لم يكن لأحدٍ من الناس مع محمد(صلى الله عليه وآله) أن يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقاييسه خلافاً لأمر محمد(صلى الله عليه وآله)، كذلك لم يكن لأحد بعد محمد(صلى الله عليه وآله) أن يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقاييسه»، ثم قال: «واتبعوا آثار رسول الله وسنّته فخذوا بها ولا تتّبعوا أهواءكم ورأيكم، فإنّ أضلّ الناس عند الله من اتّبع هواه ورأيه بغير هدىً من الله».

---

(١) قرب الأسناد: ٢٩، الأحاديث المتفرقة، ح ٩٤.

(٢) معاني الأخبار: ١/١٥٧ في معنى قوله اختلاف أُمّتي رحمة، والاية في التوبة: ١٢٢.

وقال: «أيّتها العصابة، عليكم بآثار رسول الله(صلى الله عليه وآله) وسنّته، وآثار الأئمة الهداة من أهل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) من بعده وسنتهم، فإنّه من أخذ بذلك فقد اهتدى ومن ترك ذلك ورغب عنه ضلّ..». وذكر الرسالة بطولها(١).

منهج التفقه في الدين

١ ـ عن هشام بن سالم، قال: قلت لأبي عبدالله(عليه السلام): ما حقّ الله على خلقه؟ قال: «أن يقولوا ما يعلمون ويكفّوا عمّا لا يعلمون، فإذا فعلوا ذلك فقد أدّوا الى الله حقّه»(٢).

٢ ـ عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله(عليه السلام)، قال: «إنّما علينا أن نلقي إليكم الأصول وعليكم التفريع»(٣).

٣ ـ عن ابن مسكان، عن حبيب قال: قال لنا أبو عبدالله(عليه السلام): «ما أحد أحبّ إليّ منكم، إن الناس سلكوا سبلاً شتّى(٤) منهم من أخذ بهواه، ومنهم من أخذ برأيه وإنّكم أخذتم بأمر له أصل»(٥).

٤ ـ عن هشام، عن أبي عبدالله(عليه السلام)، قال: قيل له: روى عنكم أنّ الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجال؟ فقال: «ما كان الله ليخاطب خلقه بما لا يعقلون»(٦).

---

(١) روضة الكافي: ٢/٨، كتاب الروضة، رسالة أبي عبدالله، ح ١.

(٢) المحاسن: ٢٠٤/١، كتاب مصابيح الظلم، الباب ٤، حق الله عزّ وجلّ في خلقه، الحديث ٥٣.

(٣) السرائر: ٥٧٥/٣، ما استطرفه من جامع البزنطي.

(٤) شتّى: أي متفرقاً.

(٥) المحاسن: ٢٥٤/١ كتاب الصفوة والنور والرحمة، باب ٢٣، باب الأهواء، ح ٨٨ ط المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام).

(٦) الوسائل: ١٦٧/١٧، الباب ٣٥، من أبواب ما يكتسب به، الحديث ١٣.

٥ ـ عن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبدالله(عليه السلام) عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث، فقال: «**ينظران من كان منكم ممّن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً، فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه، فإنّما استخفّ بحكم الله وعلينا ردّ، والرادّ علينا الرادّ على الله وهو على حدّ الشرك بالله...**»[1].

وعن عمر بن حنظلة، عن أبي عبدالله(عليه السلام) في الحديث السابق قال: قلت: فان كان كل واحد منهما اختار رجلاً من أصحابنا فرضيا أنّ يكونا الناظرين في حقّهما، فاختلفا فيما حكما وكلاهما اختلفا في حديثكم.

فقال(عليه السلام): **الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما، ولا يلتفت الى ما يحكم به الآخر.**

فقلت: فانهما عدلان مرضيان عند أصحابنا لا يفضّل واحد منهما على صاحبه؟

فقال(عليه السلام): **ينظر الى ما كان من روايتهما عنّا في ذلك الذي حكما به المجمع عليه من أصحابك فيؤخذ به من حكمنا، ويترك الشاذّ الذي ليس بمشهور عند أصحابك فإن المجمع عليه لا ريب فيه**، الى أنّ قال:

قلت: فان كان الخبران عنكم مشهورين، قد رواهما الثقات عنكم؟

قال(عليه السلام): **ينظر، فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنّة وخالف العامّة فيؤخذ به، ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنّة ووافق العامّة.**

قلت: جعلت فداك، أرأيت إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنّة، ووجدنا أحد الخبرين موافقاً للعامّة والآخر مخالفاً لهم، بأيّ

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٨/٣، القضايا والأحكام، باب الاتفاق على عدلين في الحكومة، ح ٣٢٢٣.

الخبرين يؤخذ؟

فقال(عليه السلام): **ما خالف العامّة ففيه الرشاد.**

فقلت: جعلت فداك ، فان وافقهما الخبران جميعاً؟ قال: **ينظر الى ماهم اليه أميل، حكامهم وقضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر.**

قلت: فإن وافق حكامهم الخبرين جميعاً؟ قال: **إذا كان ذلك، فارجئه حتى تلقى امامك[1]، فان الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات»[2].**

قواعد فقهيّة عامّة

١ ـ عن موسى بن بكر، قال: قلت لأبي عبدالله(عليه السلام)، الرجل يغمى عليه يوماً أو يومين أو الثلاثة أو الأربعة أو أكثر من ذلك، كم يقضي من صلاته؟ قال: **«ألا أخبرك بما يجمع لك هذه الأشياء كلّها؟ كلّما غلب الله عليه من أمر فالله أعذر لعبده»[3].**

٢ ـ عن محمد بن علي بن الحسين قال: قال الصادق(عليه السلام) : **«كلّ شيء مطلق حتّى يرد فيه نهي»[4].**

٣ ـ عن داود بن فرقد قال: سمعت أبا عبدالله(عليه السلام) يقول: **«أنتم أفقه الناس إذا عرفتم معاني كلامنا، إن الكلمة لتنصرف على وجوه، فلو شاء إنسان لصرف كلامه كيف شاء ولا يكذب»[5].**

٤ ـ عن أبي اسحاق الارجاني رفعه قال: قال أبو عبدالله(عليه السلام): **«أتدري لم أمرتم بالأخذ بخلاف ما تقول العامّة؟ فقلت: لا أدري، فقال: إن علياً(عليه السلام) لم يكن يدين**

(١) الى أن تلقى إمام زمانك.

(٢) الكافي: ١/٦٧، كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث، الحديث ١٠.

(٣) الخصال: ٢/٦٤٤، أبواب ما بعد الألف، ح ٢٤.

(٤) الفقيه: ١/٣١٧، باب وصف الصلاة... القنوت واستحبابه، الحديث ٩٣٧.

(٥) معاني الأخبار: ١/١، الباب ١.

الله بدين إلا خالف عليه الأمّة الى غيره، إرادة لإبطال أمره وكانوا يسألون المؤمنين (عليه السلام) عن الشيء الذي لا يعلمونه فإذا أفتاهم جعلوا له ضدّاً من عندهم ليلبسوا على الناس»[١].

٥ ـ عن منصور بن حازم قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): «الناس مأمورون ومنهيّون ومن كان له عذر، عذره الله»[٢].

٦ ـ عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن المريض هل تمسك له المرأة شيئاً فيسجد عليه؟ قال: «لا، إلّا أن يكون مضطرّاً ليس عنده غيرها وليس شيء ممّا حرّم الله إلّا وقد أحلّه لمن اضطرّ إليه»[٣].

٧ ـ عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «الله أكرم من أن يكلّف الناس ما لا يطيقون والله أعزّ من أن يكون في سلطانه ما لا يريد»[٤].

٨ ـ عن عبدالأعلى مولى آل سام قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): عثرت، فانقطع ظفري فجعلت على اصبعي مرارة فكيف أصنع بالوضوء؟ فقال: «تعرف هذا وأشباهه من كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ امسح عليه»[٥].

٩ ـ عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله (عليه السلام)، قال: «كل شيء فيه حلال وحرام، فهو لك حلال، حتى تعرف الحرام منه بعينه فتدعه»[٦].

١٠ ـ عن معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين فرغ من طوافه وركعتيه، قال: «ابدءوا بما بدأ الله عزّ وجل به من اتيان الصفا، أنّ الله

---

(١) علل الشرائع: ٥٣١/٢، الباب ٣١٥، العلّة التي من أجلها يجب الأخذ بخلاف...، الحديث ١.

(٢) المحاسن: ٢٤٥/١، كتاب مصابيح الظلم، الباب ٢٦، باب الأمر والنهي، الحديث ٢٤٢.

(٣) التهذيب: ١٧٧/٣، الباب ١٤، باب صلاة الغريق والمتوحّل والمضطرب بغير ذلك، الحديث ١.

(٤) الكافي: ١٦٠/١، كتاب التوحيد، باب الجبر والقدر والامر بين الأمرين، الحديث ١٤.

(٥) التهذيب: ٣٦٣/١، الباب ١٦، باب في صفة الوضوء والفرض منه، الحديث ٢٧.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ٣٤١/٣، باب الذبائح والمآكل، ح ٤٢٠٨.

يقول: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾»[١].

١١ ـ عن زكريا بن يحيى، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «ما حجب الله علمه عن العباد، فهو موضوع عنهم»[٢].

١٢ ـ عن حريز، عن زرارة، قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن الحلال والحرام؟ فقال: «حلال محمّد حلال الى يوم القيامة، وحرامه حرام الى يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يجيء غيره»[٣].

نماذج من فقه الإمام الصادق (عليه السلام)

١ ـ عن ابن أُذينة، عن أبي عبدالله (عليه السلام)، قال: قال: «ما تروى هذه الناصبة؟ فقلت: جعلت فداك فيماذا؟ فقال: في أذانهم وركوعهم وسجودهم، فقلت: إنهم يقولون: إن أُبيّ بن كعب رآه في النوم، فقال: كذبوا، فإن دين الله اعزّ من أن يرى في النوم»[٤].

٢ ـ عن عيص بن القاسم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «إذا خرج الرجل في شهر رمضان مسافراً أفطر، وقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج من المدينة الى مكّة في شهر رمضان ومعه الناس وفيهم المشاة، فلما انتهى الى كراع الغميم[٥] دعا بقدح من ماء فيما بين الظهر والعصر، فشربه وأفطر ثم أفطر الناس معه وتمّ ناس على صومهم، فسمّاهم العصاة وإنّما يؤخذ بآخر أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله)»[٦].

---

(١) التهذيب: ١٤٥/٥، الباب ١٠، الحديث ٦.

(٢) التوحيد: ٩/٤١٣، الباب ٦٤، باب التعريف والبيان والحجّة والهداية.

(٣) الكافي: ٥٨/١، كتاب فضل العلم باب البدع والرأي والمقاييس، ح ١٩.

(٤) الكافي: ٤٨٢/٣، كتاب الصلاة، باب النوادر.

(٥) وهي على ثلاثة أميال من المدينة.

(٦) الكافي: ١٢٧/٤، كتاب الصيام، باب كراهية الصوم في السفر، ح ٥.

٣ ـ قال الصادق(عليه السلام): «خلق الله الماء طهوراً لا ينجّسه شيء إلّا ما غيّر لونه أو طعمه أو ريحه».

٤ ـ قال الصادق(عليه السلام): «إذا كان الماء قدر كرّ، لم ينجّسه شيء».

٥ ـ قال(عليه السلام): «اغسل ثوبك من بول كلّ ما لا يؤكل لحمه».:

٦ ـ قال الصادق(عليه السلام): «إذا نامت العين والأُذن والقلب وجب الوضوء»، قيل: فإن حرّك الى جنبه شيء ولم يعلم به، قال: «لا حتى يستيقن أنه قد نام حتى يجيء من ذلك أمر بيّن، وإلّا فإنّه على يقين من وضوئه، ولا تنقض اليقين أبداً بالشك وإنّما تنقضه بيقين آخر».

٧ ـ وقال(عليه السلام): «لا ينقض الوضوء إلّا حدث والنوم حدث».

٨ ـ قال أبو عبدالله(عليه السلام): «إن سمعت الأذان وأنت على الخلا، فقل مثل ما يقول المؤذّن ولا تَدَع ذكر الله في تلك الحال، لأنَ ذكر الله حسن على كلّ حال».

٩ ـ وقال(عليه السلام): «إذا شككت في شيء من الوضوء وقد دخلت في غيره فليس شكك بشيء، إنّما الشك إذا كنت في شيء لم تجزه».

١٠ ـ وسُئل أبو عبدالله(عليه السلام) عن الجنب يجلس في المساجد؟ قال: «لا، ولكن يمرّ فيها كلّها، إلّا المسجد الحرام ومسجد النبي(صلى الله عليه وآله)».

١١ ـ قال الصادق(عليه السلام): «صلِّ على من مات من أهل القبلة وحسابه على الله».

١٢ ـ قال الصّادق(عليه السلام): «كلّ ما جعل على القبر من غير تراب القبر(١) فهو ثقل على الميّت».

١٣ ـ قال رجل للصادق(عليه السلام): إنّي أُعير الذمي ثوبي وأنا أعلم أنّه يشرب الخمر ويأكل لحم الخنزير، فيردّه عليّ فاغسله قبل أن أُصلّي فيه؟ فقال أبو

(١) وسائل الشيعة: ج٢ أبواب الدفن، الباب ٣٦ «باب انّه يكره أن يوضع على القبر من غير ترابه».

عبدالله (عليه السلام): صلّ فيه ولا تغسله، من أجل انّك اعرته إيّاه وهو طاهر ولم تستيقن أنّه قد نجّسه، فلا بأس أن تصلّي فيه حتى تستيقن أنّه نجّسه».

١٤ ـ وقال الصادق (عليه السلام): «لكلّ صلاة وقتان وأوّل الوقت أفضلهما».

١٥ ـ قال الصادق (عليه السلام): «إنّما النافلة بمنزلة الهدية، متى ما أُتا بها قبلت».

١٦ ـ قال (عليه السلام): «السجود لا يجوز إلّا على الأرض أو على ما أنبتت الأرض إلّا ما أكل أو لبس».

١٧ ـ وقال (عليه السلام): «من صلّى الصلوات الخمس جماعة، فظنّوا به كلّ خير»[١].

١٨ ـ سئل الصادق عليه السلام عن القراءة خلف الإمام؟ فقال: «لا، إنّ الإمام ضامن للقراءة وليس يضمن الإمام صلاة الذين خلفه إنّما يضمن القراءة».

١٩ ـ وقال الصادق (عليه السلام): «ما فرض الله على هذه الأُمّة شيئاً أشدّ عليهم من الزكاة وفيها تهلك عامّتهم».

٢٠ ـ وقال الصادق (عليه السلام): «ما ضاع مال في برّ ولا بحر إلّا بتضييع الزكاة ولا يصاد من الطير إلّا ما ضيّع تسبيحه».

٢١ ـ وقال (عليه السلام): «إنّما فرض الله الصيام ليستوي به الغني والفقير».

٢٢ ـ قال (عليه السلام): «لا صيام في السفر إلّا الثلاثة أيام التي قال الله في الحجّ»[٢].

٢٣ ـ وقال الصادق عليه السلام: «إذا جئت بصوم شهر رمضان لم تسئل عن صوم».

٢٤ ـ وقال (عليه السلام): «إن صوم شهر رمضان لم يفرض الله صيامه على أحد من الأُمم قبلنا».

٢٥ ـ وسئل عن قوله تعالى: ﴿كتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من

---

(١) وسائل الشيعة: ج٥ كتاب الصلاة، أبواب صلاة الجماعة، الباب ١ (باب تأكّد استحبابها في الفرائض وعدم وجوبها فيما عدا الجمعة والعيدين».

(٢) وسائل الشيعة: أبواب من يصح منه الصوم، الباب ١١ (باب عدم جواز صوم شهر من الواجب في السفر إلّا النذر المعيّن سفراً وحضراً وثلاثة أيام...».

قبلكم﴾؟ قال: «إنّما فرض الله صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الأُمم ففضّل به هذه الأُمّة فجعل صيامه فرضاً على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى أُمّته».

٢٦ ـ وقيل للصادق(عليه السلام): «ليلة القدر كانت أو تكون في كلّ عام؟ فقال: «لو رفعت ليلة القدر، لرفع القرآن».

٢٧ ـ قال الصادق(عليه السلام): «لو ترك الناس الحجّ لما نوظروا العذاب».

٢٨ ـ وقال(عليه السلام): «لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة».

٢٩ ـ وقال الصادق(عليه السلام): «لو أن الناس تركوا الحج لكان على الوالي أن يجبرهم على ذلك وعلى المقام عنده، ولو تركوا زيارة النبي(صلى الله عليه وآله) كان على الوالي أن يجبرهم على ذلك وعلى المقام عنده، فإن لم يكن لهم مال أنفق عليهم من بيت مال المسلمين».

٣٠ ـ وقال الصادق(عليه السلام): «المعتمر يعتمر في أيّ شهور السنة، وأفضل العمرة عمرة رجب».

٣١ ـ قال الصادق(عليه السلام): «كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) يستلم الحجر في كلّ طواف فريضة، ونافلة».

نماذج من مواعظ الإمام الصادق(عليه السلام)

١ ـ قال(عليه السلام): «ليس منّا ولا كرامة من كان في مصر فيه مائة ألف أو يزيدون وفيهم من هو أورع منه».

٢ ـ قال الصادق(عليه السلام): «أيّما أهل بيت أعطوا حظّهم[1] من الرفق فقد وسّع الله عليهم في الرزق، والرفق في تقدير المعيشة خير من السعة في المال، والرفق لا يعجز عنه شيء، والتبذير لا يبقى معه شيء، انّ الله عزّ وجل رفيق يحب الرفق».

---

(١) وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس وما يناسبه، الباب ٢٧ (باب استحباب الرفق في الأُمور). الجديد، ١٥/ ٢٧٠ / ٥ [٢٠٤٤٩]؛ القديم، ١١ : ٢٠٦ / ٥.

٣ ـ قال الصادق(عليه السلام) لرجل: «أوصيك إذا أنت هممت بامر فتدبّر عاقبته، فإن يك رشداً فأمضه وإن يك غيّاً فانته عنه».

٤ ـ وقال الصادق(عليه السلام): «ليس من عِرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلّا بذنب وما يعفو الله أكثر».

٥ ـ وقال(عليه السلام): «إن الذنب يحرم العبد الرزق».

وقال الصادق(عليه السلام): «لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار».

٦ ـ قال الصادق(عليه السلام): «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان على من أمكنه ذلك ولم يخف على نفسه ولا على أصحابه».

٧ ـ قال(عليه السلام): «من شهد أمراً فكرهه، كان كمن غاب عنه، ومن غاب عن أمر فرضيه، كان كمن شهده».

٨ ـ قال الصادق(عليه السلام) : «إن الله فوّض الى المؤمن كلّ شيءٍ إلّا اذلال نفسه».

٩ ـ وقال(عليه السلام): «لا ينبغي للمؤمن أن يذلّ نفسه»، قيل: كيف يذل نفسه؟ قال: «يتعرّض لما لا يطيق».

١٠ ـ قال الصادق(عليه السلام): «لا يتكلّم الرجل بكلمة حق فيؤخذ بها إلا كان له مثل أجر من أخذ بها، ولا يتكلّم بكلمة ضلال يؤخذ بها إلّا كان عليه مثل وزر من أخذ بها».

١١ ـ وقال(عليه السلام): «المسلمون عند شروطهم، إلّا كل شرط خالف كتاب الله، فلا يجوز».

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

الفهرس التفصيلي

الباب الثاني

الباب الثالث: